رحلتي مع عبدالله إلى بيت الحمد

سنلتقي بإذن الله في بيت الحمد

سنلتقي بإذن الله في بيت الحمد

سنلتقي بإذن الله في بيت الحمد

سنلتقي بإذن الله في بيت الحمد

سنلتقي بإذن الله في بيت الحمد

سنلتقي بإذن الله في بيت الحمد

د. عبدالمحسن عبدالله الجار الله الخرافي

الكويت

٢٠١٦

رحلتي مع عبدالله إلى بيت الحمد

سنلتقي بإذن الله في بيت الحَمْدِ

د. عبدالمحسن عبدالله الجار الله الخرافي

الكويت
٢٠١٦

فهرسة
مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

267.6 الخرافي، عبدالمحسن الجارالله.

رحلتي مع عبدالله إلى بيت الحمد / عبدالمحسن الجارالله الخرافي .-.ط**1**.- الكويت: عبدالمحسن عبدالله الجارالله الخرافي، **2015**.

280 : صور : **24** سم.

1. الصبر والابتلاء **2**. الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ردمك: **978-99966-1-041-7**

رقم الإيداع: **1043/ 2015**

عبدالله يا ثمرة فؤادي

إنمـــا ما يمثل هذا الكتاب تجربةً خضناها بمشـــاعر والدية فياضة أراد والدك أن يدونها و أن يعطي فوق العَبْرة عِبْرة .

فإن كان التاريخ يُكتب وحكايةً تُروى فإنك يا مهجة القلب لن تكون لي تاريخاً ، بل ستكون في قلبي حياً ما دمُتُ أبداً .

والدتك

محطات في طريق الرحلة

إهداء	١١
ثناء ودعاء	١٢
شكر وتقدير للأمير الإنسان	١٣
لماذا هذا الكتاب؟	١٥
المستفيدون من هذا الكتاب	١٦
إشارة إلى ما تفرد وتميز به الكتاب	١٧
منطلق الكتاب	١٨
فلسفة ترتيب محتويات الكتاب	١٩
لغة الكتاب	٢١
كلمة شكر بين يدي الرحلة	٢٣
معالم الرحلة	٢٧
التعريف ببيت الحمد (القصور والخيام والغُرف)	٢٨
• مجالس أهل الجنة في بيت الحمد	٣١
ما ورد في ثواب المصاب بفقد الولد (الأولاد)	٣٥
• العبرة والسلوى بأخبار الثكالى الأولين	٣٨
• الصبر على البلاء	٤١
• معنى الصبر	٤١
• منزلة الرضا ومحلها من الصبر	٤٢

• للبلاء ثمار (ثمار الصبر على البلاء)	٤٣
• الصابرون هم أهل الفوز والنجاة	٤٣
• يُوفَّون أجرهم بغير حساب	٤٤
• يعوِّض الله تعالى الصابرين خيراً	٤٤
• الصبر سبب تكفير السيئات وزيادة الحسنات	٤٥
• الصبر سبب لهداية القلوب	٤٥
• بين البأساء والضراء	٤٦
• النهي عن النياحة والبكاء المفرِط	٤٦
حول إكرام الميت	٥١
ومَن أصدق من الله قيلاً!	٥٣
تلقين المحتضَر كلمة التوحيد	٥٥
فلسفة المرض في الإسلام	٥٦
فلسفة الموت في الإسلام	٦١
فلسفة الأدعية والرُّقَى في الإسلام	٦٦
الأدعية والرُّقَى	٧١
صور استجابة الدعاء	٧٦
نصُّ الرسالة الشاملة للرقية الشرعية لأبرز المشايخ	٨٠
رسالة أم عبدالله إلى أحبابها وأحباب عبدالله تسألهم الدعاء له	٨٣

علاج المرضى: الصدقات	٨٧
اعذرني حينها يا عبدالله الحبيب ولكن إلى حين	٩١
ما ينبغي لمن يرافق المريض أو يزوره	٩٤
• أجر مُرافِق المريض	٩٧
• استحباب عدم الإطالة عند المريض	٩٧
علمتني الرحلة إلى بيت الحمد	١٠٠
اكتشفوا العوالم الأخرى في حياة أبنائكم	١٠٨
أي دراما تجذب الأبناء؟	١١١
الأم الرؤوم... ماما أنيسة	١١٣
الدلالات الاجتماعية للعزاء عند الكويتيين	١١٥
أهمية التداوي وعدم تعارضه مع التوكل	١١٨
المتوفَّى بمرض السرطان شهيد	١٢٣
مشروعية رفع أجهزة الإنعاش عن الميت دماغياً	١٣١
تزاحم النصائح الطبية على المريض وذويه ومدى صحتها!	١٣٣
أهلاً بجارنا في بيت الحمد: خالد عبداللطيف الشايع	١٣٥
الالتزام الحضاري للأمة الإسلامية تجاه مرضاها:	١٣٨
• الوقف الصحي	١٣٨
• الوقف الإسلامي ودوره في الرعاية الصحية والنفسية	١٣٨

• البيمارستان العضدي في بغداد	١٤٠
• وقف مؤنِس المرضى والغرباء	١٤١
• وقف الإيحاء إلى المريض بالشفاء	١٤١
• البيمارستان النوري الكبير في دمشق	١٤٢
• البيمارستان الصلاحي	١٤٢
• بيمارستان قلاوون (المستشفى المنصوري)	١٤٣
• مستشفى مراكش	١٤٦
• حالة المستشفيات حينها في أوروبا	١٤٦
صديقنا المعداد أنيس كريم بين يدي المريض وذويه	١٤٨
ردُّ الوسواس الخناس	١٥٢
العلم الشرعي وأثره في الوقاية من الفتن والوساوس عند المريض	١٥٤
الأسلوب الأمريكي في التعامل المعلوماتي مع المريض	١٦٠
الجمع بين التعمق التخصصي وتكامل التخصصات	١٦٤
الجمع بين المنهج العلاجي الحذر وتحمُّل المسئولية باتخاذ القرار لإجراء اللازم	١٦٦
الانسيابية والشفافية التامة مع المريض وذويه في حجم المعلومات المقدَّمة لهم	١٦٨

دور التأمين الصحي في النمط السخي للإنفاق على العلاج	١٦٩
حُسن اختيار المركز الطبي بجامعة سان فرانسيسكو	١٧٠
غُرف حضارية في المستشفيات الأمريكية	١٧١
• غرفة الانتظار للعمليات	١٧١
• غرفة الاجتماع بعائلة المريض	١٧٢
• غرفة التأمل Meditation Room	١٧٢
• غُرف العناية المركَّزة	١٧٤
• غُرف العناية المتوسطة والعادية	١٧٥
بلاغ الولادة الحقيقية... في رسالة هاتفية	١٧٦
أو والدٍ صالح يدعو له!	١٧٩
اكتشاف رصيد الثروة: أنا ملياردير!	١٨٤
من علامات القَبول	١٨٨
• أولاً: ضجيج الأحباب والناس بالدعاء له	١٨٨
• ثانياً: تيسير الصدقات له	١٨٩
• ثالثاً: الحجَّات الثماني عنه	١٩٠
• رابعاً: الرضا والقناعة بقضاء الله وقدره	١٩١
• خامساً: السهولة والتيسير الكبيرين في العلاج والوفاة	١٩٢
الرؤى الصالحة المبشِّرة بحسن الخاتمة	١٩٤

عظمة الإسلام في مشروعية إهداء ثواب الأعمال الصالحة للميت	١٩٩
كيف نمنح السرور لأهل القبور؟	٢٠٤
الجنة ليست «حور عين فقط!»	٢٠٧
بشرى عظيمة للمرأة المسلمة في الجنة	٢٠٩
النفس المطمئنة : الراضية المرضية	٢١١
عبدالله	٢١٣
عبدالله في تأملات الشاعر الكبير الإنسان شريف حاج قاسم	٢١٨
عبدالله في تأملات سليمان ماجد الشاهين	٢٢٢
تجربة عملية (مي عبدالله عبدالعزيز الفارس)	٢٢٥
دعوة إلى توثيق التجارب الأخرى	٢٣٠
وفاة الأبناء في قرائح الشعراء	٢٣١
• أولاً: المقاطع الشعرية	٢٣١
• ثانياً: القصائد المطوَّلة	٢٣٦
• القصيدة الأولى: من أشهر قصائد أبي الحسن التهامي في رثاء ولده	٢٣٦
• القصيدة الثانية: لعائشة التيمورية في رثاء ابنتها	٢٤١

• القصيدة الثالثة: عينية أبي ذؤيب الهذلي في رثاء بنيه	٢٤٣
• القصيدة الرابعة: لابن الرومي في رثاء ولديه	٢٤٧
كلمات طيبة: مقالات كتبت في رثاء عبدالله رحمه الله	٢٤٩
• آن الأوان: د. عصام الفليج	٢٤٩
• هكذا نتعلم الصبر: د. مطلق القراوي	٢٥١
• كلمة وفاء: أ. وفاء العماني	٢٥٤
• إلى لقاءٍ جديدٍ إلى الابن البار عبدالله: أ. محمد سالم الخضر	٢٥٦
حصر ببليوغرافي للمراجع والكتب القديمة والحديثة التي تصدَّت لموضوع الكتاب «المرض والوفاة»	٢٥٩
الخاتمة	٢٦٦
الخلجة الأخيرة في النفس	٢٦٨
هل انتهت محطات الرحلة؟	٢٦٩
وأين الصور؟	٢٧١
ما تفرَّد وتميَّز به الكتاب	٢٧٢
ملحق قائمة المقالات في حلقات سلسلة «رحلتي مع عبدالله إلى بيت الحمد» في جريدة القبس	٢٧٨

إهداء

إلى روح ابني عبدالله الذي سبقني إلى بيت الحمد بإذن الله وفضله ووعده الصادق

وإلى رفيقة الرحلة إلى بيت الحمد رفيقة الدرب أم عبدالله الوالدة الرؤوم

وإلى أخوات عبدالله المشفِقات عليه وعلى والديه

وإلى سائر أهله وأحبابه المفجوعين بشبابه

وإلى أصدقائه الأوفياء الذين كانوا له نعم الإخوة في حياته وبعد رحيله.

وإلى كل المحبين الداعين له بالشفاء أيام العلاج،

وبالرحمة والمغفرة بعد رحيله إلى بيت الحمد بإذن الله وفضله ورحمته

أهدي هذا الكتاب

المؤلف

ثناء ودعاء

الحمد لله رب العالمين

الحمد لله على كل حال

الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروهٍ سواه

أعطى وأخذ.. ولا رادَّ لقضائه سبحانه

وهب الحياة.. وكتب الآجال... واصطفى بها من يشاء من عباده للكرامة بالشهادة

قدَّر بآجال الشباب أن يحرم والديهم فرصة دعائهم لهم من بعدهم كذرية صالحة تدعو لهم، ولكنه عَّوضهم بأكبر العوض، وخلف لهم بأحسن الخلف حين وعدهم ببيت الحمد إذا صبروا واحتسبوا وحمدوا الله تعالى واسترجعوا[1].

فاللهم أنزل على عبدك عبدالله سحائب رحمتك، وأسكنه فسيح جناتك، واكتب له أجر الشهداء الذين أخبر عنهم حبيبك المصطفى ﷺ، ونوِّر له قبره، وأجعله روضة من رياض الجنة يارب العالمين.

واكتبنا اللهم من عبادك الصالحين الصابرين المحتسبين المغفور لهم المرضي عنهم، وبارك اللهم ما بقي من أعمارنا وأعمالنا وأسْكِنا أعلى الجنان مع والدينا وأحبابنا والصالحين والشهداء وحسَن أولئك رفيقاً، واملأ قلوبنا وقلوب ذريتنا حباً ورغبة في طاعتك لنسعد بها في الدارين.

---

(١) الاسترجاع هو الاحتساب بالقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

شكر وتقدير للأمير الإنسان[١]

ترك بصمة في نفوسنا ضمن معالم الرحلة إلى بيت الحمد.

صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح... الأمير الإنسان.

كان وكعادته الأمير الحاني على شعبه، ولي ولولدي من هذا الحنان نصيب.

فبلا تكلُّفٍ وبعفويةٍ تامةٍ كان مشفقاً على عبدالله منذ بداية مرضه سائلاً عنه وهو يعلم أنه الابن الوحيد لوالديه وأخواته حديث التخرُّج ولكن الله غالب على أمره.

وما إن توفي عبدالله رحمه الله إلا وكان سموه متابعاً لدفنه راغباً في الحضور المبكر لمجلس العزاء، فلما بلغ بتمام الدفن عصر الأربعاء ٢٠١٤/١٠/١م حتى قطع استراحته الخاصة صباح الخميس ٢٠١٤/١٠/٢م وحضر وحده بمعية سائق السيارة بلا موكبٍ رسمي، ولا حرس، ولا حماية؛ لأنه يعلم أن قلوب أهله وناسه من أهل الكويت هي الحماية الحقيقية.

ولبث في مجلس العزاء زمناً استمع فيه بكل رحابة صدر إلى شكري له على اهتمامه الكبير، وأبديت له بكل أمانة الثناء العاطر على كل المسؤولين المعنيين عن علاجه في الكويت وخارجها، وذكرت له – دون مجاملة – أنني الآن فقط أحسست بكَمِّ الشعور الحزين الذي شعر به عندما افتقد ابنته الغالية «سلوى» والتي ألمَّ بها نفس المرض في موضعٍ آخر من الجسد، وهو مرض عضال يحلُّ بأي عضوٍ من أعضاء الجسم دون تمييز، والحمد لله على كل حال.

---

(١) تم نشر هذا المقال في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٦/١/١٧.

فلما أخذ العزاء وقته همَّ بالإنصراف، ولما هممت بالخروج مع سموه لمرافقته إلى سيارته تعبيراً عن شكري وتقديري لحضوره العزاء توقف في مكانه وأقسم على أن لا أبرح مكاني، وقدَّر الله لي أن أعبِّر وبشكل عفوي وبالقسم أيضاً أن أرافقه إلى السيارة شكراً وتقديراً له، فلما أصرَّ على أن أبقى مكاني مازحت سموه قائلاً: «طويل العمر... يعني أصوم ثلاثة أيام تكفيراً لقسمي بمرافقتك»... فبادر ببديهته الطبيعية وابتسامته العريضة وروحه الطيبة قائلاً: «وأنا تبيني أصوم ثلاثة أيام بعد»!

فابتسم الجميع، ورافقه غيري ممن هو أكبر مني سناً ومنزلةً من الأهل، وبما يليق بسموه حفظه الله.

ونحن بذلك في الكويت محلّ غبطة و سرور لهذا التواصل بين الحاكم والمحكوم، فمنذ أن عرفت الحياة وأن أرى حُكَّام الكويت وأولياء العهد وسائر أفراد الأسرة الحاكمة يختلطون جيداً بشعبهم في أفراحهم وأتراحهم، وليس هذا بغريب عليهم، وهذا ما ينعم به المجتمع الكويتي من تواصل دائم بين الحاكم والمحكوم.

شكراً لسموك أيها الأمير الإنسان.

لماذا هـذا الكتاب؟

لسبعة أسباب:

١- لأنه نقل لمعاناة و توثيق لتجربة لعلها تكون مفيدة لمن يحتاجها.

٢- ولأنه تجميع غير مسبوق لما ينبغي معرفته عن كل من:

* المرض * العلاج * الوفاة

٣- ولأن فيه تنبيهاً لغافل، وتبصرةً لجاهل، وتثبيتاً لعامل، كل في مجاله.

٤- ولأنه جمع بين عبق الماضي ومداد الحاضر في مجاله وموضوعه بين دفتي كتابٍ واحدٍ.

٥- ولأنه هدية لكل محتاج في موضوعه، ففيه تبصرةً وذكرى.

٦- ولأن فيه تقريباً لمعلومة مفيدة، وحكمة سديدة، وفائدة جديدة.

٧- لأن هناك من عاشوا تجارب مثيلة ثرية المضمون لكنهم قد لا يحوزون ملكة التعبير، أو حُســن البيان، لصياغة تجربتهم بلا تكلف أو تصنع بغية استفادة الآخرين منها.

المستفيدون من هذا الكتاب

١- المبتلون بالمرض وذووهم والمرافقون لهم.

٢- المعالجون للمرض.

٣- المبتلون بوفاة أبنائهم وأحبابهم.

٤- المغتربون للعلاج في الكويت، أو الخارج عموماً، وفي الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل التحديد خصوصاً.

٥- الراغبون من الأصحاء بالتزود بثقافة المرض، وثقافة العلاج، وثقافة الابتلاء بوفاة الأبناء والأحباب.

و نلتمس منهم الدعاء مأجورين مشكورين لا مأمورين

إشارة إلى ما تفرَّد وتميَّز به الكتاب

من المعروف أن تقريظ الكاتب لكتابه مجروح

ويعلم الله لم تكن في النية البتة الثناء على الكتاب

لــولا قدر الله الذي جرت به الأمور في الاســتعانة بالتدقيق اللغوي بعــد الفراغ من تأليف الكتــاب تمهيداً لدفعه إلى المطبعة من خلال الأخ المفضال الشيخ د. أحمد سيد أحمد علي أفضل من استقطبته مبرة الآل والأصحاب من الأزهر الشــريف، غير أنه مشكوراً وعلى هامش تدقيقه اللغوي واســتدراكاته العلمية الطيبة على تخريج بعض الأحاديث الواردة وبعــض الملحوظات اللغويــة تأثر وتفاعل مع الكتاب وبيَّن لي – حســب مرئياته الكريمة – أوجهاً متعددة لتفرد الكتاب في بابه وتميزه في المكتبة العربية والإسلامية.

ولما كنت لم أفضل أن أســتهلَّ كتابــي هذا بالتزكية من خلال البداية بجوانب التفــرد والتميز التي ذكرها، فقد آثــرت تأخيرها إلى ما «بعد الخاتمــة» وكأنها تلخيص لنتائــج الكتاب وثماره للقــارئ الكريم المهتم والذي وصل بالكتاب إلى منتهاه، ومع رحلتي إلى بيت الحمد إلى نهايتها الدنيوية.

مُنطلق الكتاب

ينطلــق الكتاب من اليقين التــام - وبلا أدنى ريب - بتحقق وعد الله ســبحانه الوارد في الحديث الذي فصَّلنا روايته في ثنايا الكتاب، والذي ينص على أن الله ســبحانه يأمر ملائكته الكرام بأن يبنوا بيتاً في الجنة ويسموه بيت الحمد لكل مَن فقد ولده، فصبر وحمد الله سبحانه وتعالى واسترجع «أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون» فهي رحلة مباركة في رحاب الكتاب والســنة -إن شاء الله تعالى - نتحرى بها نقل التجربة المتواضعة في مراحل المرض والوفاة لمن يمكن أن يستفيد منها.

وكم شــجعني على المضــي قدماً في منطلقي لإصــدار هذا الكتاب التفاعل الكبير والطيب من قِبَل القراء الكرام ومتابعتهم حلقات السلسلة الطيبة لمقالاتي في جريــدة القبس تحت عنوان «رحلتي مع عبدالله إلى بيت الحمد».

فلسفة ترتيب محتويات الكتاب

لم يتم تقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول كعادتي في كثير من مؤلفاتي حسب طبيعة موضوعات تلك الكتب، ولكن لأن هذا الكتاب – كما سيبدو للقارئ الكريم – عبارة عن خواطر متفرقة هي أشبه بمعالم للرحلة الطيبة مع عبد الله إلى بيت الحمد؛ لذلك سقتها كما هي دون ترتيب منطقي يقتضي تصنيفها إلى أبواب وفصول، ولعل من ثمار ذلك المحافظة على عنصر التشويق في عرض محتويات تلك المعالم عندما تنتقل من موضوع إلى موضوع آخر دون ترتيب منطقي متوقع.

وهي اجتهادات مختلفة على كل حال يقتضيها طبيعة المقال ومقتضياته.

ومما ساعد في التوجه بهذا إلى الاتجاه أن كثيراً من محتويات الكتاب بدأت على شكل مقالات صحفية استمرت لأكثر من عام كامل وبشكل شبه أسبوعي، وكلنا يعلم محدودية المساحة المتاحة في المقال المنشور في أي صحيفة، فضلاً عن صحيفة القبس التي لديها من الأعراف الصحفية ما يشكل ضابطاً مهماً لي أراعيه ويراعيه سائر كُتَّابها عند كتابة مقالاتهم.

ولعل مما ساعد في الدفع إلى هذا الاتجاه أيضاً هو القبول الحسن لهذا المقالات التي تحريت بها تعميم الفائدة ونقل التجربة بحيث لا يبدأ غيري من الصفر في بعض المعلومات التي يجهلها في كلٍ من ثقافة المرض، وثقافة العلاج، وثقافة الوفاة.

وقــد أوردت في ملحق الكتاب تسلســل تلك المقالات حســب تاريخ نشــرها للعلم، ومعرفة الربط بينها وبين محتويــات الكتاب، وباعتبارها المحطات في طريق الرحلة، وهو العنوان الذي اخترته لتسمية محتويات هذا الكتاب.

وهــذا الترتيب في تسلســله لا يعني البتة أنه ترتيــب يراعي أهمية الموضوعــات وفائدتهــا، بل كلها ذات فائدة، وهي كلهــا متكاملة لم أجد بينها من الفوارق ما يجعلها تحتاج إلى تصنيف إلى أبواب وفصول.

كمــا أنه من طبيعة مثــل هذه الكتابات أن تتحــرر من أغلال وقيود البحث العلمي المنهجي والتي قد تشــكل ثقلاً على بعض القراء وتشغلهم عن الهدف الأسمى من وراء كتابتها.

لغة الكتاب

بحمد الله سبحانه الذي وفقني إلى كتابة وإصدار خمسة عشر كتاباً كمؤلف وعدة سلاسل كرئيس للتحرير، كُتبت كلها بلغة سهلة حسب سياق موضوعها، وقد لاقت القبول - بحمد الله - لبعدها عن التعقيد والتكلُّف، وقد كانت موضوعاتها توثيقية تبتعد عن التحليل العميق الذي هو شأن الباحثين المتخصصين في التاريخ والدلالات السياسية للأحداث.

وقد كان الباعث لتأليف تلك الكتب الحاجة إلى توثيق ما لم يتم توثيقه خصوصاً في مجالٍ لم تتم خدمته، وهو توثيق السِّير والتراجم للمحسنين والمحسنات بشكل خاص في كويت الماضي والحاضر، ورجالات الكويت ونسائها البارزات بشكل عام؛ لذا كان من الطبيعي استخدام لغة السرد التاريخي الأمين المجرد مع تعليقات إيمانية أو اجتماعية أو تربوية حسب مقتضى الحاجة.

أما لغة هذا الكتاب فقد كتبت من أعماق الوجدان تكاد كل صفحة منها تختلط بدموع كاتبها، تمازجت فيها العبرات بالمداد، فهي تعبر عن واقع معاش لا تصور نظري، أو إطار تخيلي، أو تفكير اجتهادي، وكم كنت أردد في كثير من الأحاديث الجانبية إن «ما خرج من القلب وصل إلى القلب، وما خرج من الآذان لم يتعد الآذان».

وهذه هي الروح التي كتبت بها لغة الكتاب، وطبيعة اختيار موضوعاتها، وإلا فاللغة العربية -كما هو واضح للعيان- لغة الكتاب، بيد أن اللغة العربية حمَّاله أوجه: فهمي تحمل الطابع الأدبي، والطابع

العملي، والطابع العلمي المتأدب، وتحمل الرصانة والركاكة حسب حرص كاتبهـــا وقدرته، وهي متجلية بأبدع صورهـــا في القرآن الكريم الذي لو أُنزل على جبل لرأيته خاشـــعاً متصدعاً من خشـــية الله سبحانه، وهذا يدل على عظمـــة اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم، كيف لا وقد تحدى الله ســـبحانه بها فصحاء العـــرب وبلغاءهم أن يأتوا بآية من مثله فضلاً عن سورة، فعجزوا وبُهتوا.

وعوداً علـــى بدء.... فالمقصود هو بيان طبيعـــة اللغة التي كتبت بها هذا الكتاب وأنها خرجت من سويداء القلب، بلا تكلف؛ لتعبر عن مكنون نفـــس كاتبها، فلا يحتاج بعد ذلك إلى تأكيد مصداقيته قيد أنملة، والله على ما يقول شهيد.

ولعله من المستحق في هذا السياق تقديم الشكر الجزيل إلى الأستاذ حـــازم علي ماهر الذي كانت له بصمة طيبة في إظهار رصانة هذه اللغة في بعض مواضع هذا الكتاب.

كلمة شكر بين يدي الرحلة[١]

انطلاقاً من أن خصوص السبب لا يمنع عموم الفائدة كانت هذه الوقفات عند معالم رحلتي مع ابني عبدالله إلى «بيت الحمد» الذي وعد به الله سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم للوالدين اللذين يتقبلان فاجعة فَقْد ابن أو بنت لهما بالحمد لله رب العالمين والاسترجاع بإنا لله وإنا إليه راجعون، وذلك فيما يرويه أحمد والترمذي في الحديث الصحيح، ولعل أول وقفة في هذه الرحلة ستكون عند كلمة صادقة من القلب أوجهها إلى كل من أحب عبدالله ودعى له بالشفاء أولاً، ثم بالمغفرة والرحمة بعد وفاته آخراً، وأحب والديه ودعى لهما بالصبر والثبات، وذلك بعد أن أزجى شكري إلى أهل الكويت عامة: أميراً وحكومة وشعباً على ما أولوه من اهتمام كبير بالمرحوم بإذن الله تعالى ومتابعة علاجه.

إخواني وأخواتي الذين دعوا لعبدالله بالشفاء خلال العلاج والرحمة والمغفرة بعد الوفاة، وقدَّموا لنا العزاء بشتى الوسائل من داخل الكويت وخارجها: جزاكم الله خيراً وشكراً جزيلاً لكم على مشاعركم الصادقة الفياضة التي أثلجت صدورنا أنا ووالدته الحنون وأخواته وعائلته وبعثت السكينة والطمأنينة في قلوبنا حيث أيقنا بأن الله سبحانه مستجيب لنا كما وعدنا بفضله وكرمه ورحمته مع يقيننا بإمكانية تعدد صور الإجابة كما ورد عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، إما بتحقق المطلوب في الحياة الدنيا، أو ادخار الأجر كمثله في الآخرة، أو محو السيئات بمثله، واللهَ

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٤/١٠/١٢م.

نسأل أن يكون لعبدالله من البشارتين الثانية والثالثة نصيب وافر كما وعد سبحانه، وأبشركم بما أفتى به العلماء من أن الميت بالسرطان شهيد إن شاء الله قياساً على ما ورد في الحديث الصحيح من تحديد أنواع الشهداء وهم الشهيد في سبيل الله والمطعون «الميت بداء الطاعون» والمبطون «الميت بداء في بطنه» والغريق والحريق وصاحب الهدم، وهذه رحمة عظيمة بأمة محمد ﷺ بكثرة الشهداء الشفعاء فيها لوالديهم وذويهم، ونسأل الله أن يكون عبدالله منهم فيرزقنا الله الشفاعة. كيف لا؟ وكأني أنظر إلى بيت الحمد الذي رزقنا الله به في الجنة -إن شاء الله- من خلال حبيبنا عبدالله، وكأني أنظر إلى الأرائك المعدَّة لنا فيه كما ورد في القرآن الكريم، وكأني أنظر إلى ثيابه الوضَّاءة الخضر من السندس والإستبرق، وكأني بحول ربي وتوفيقه وإحسانه بالولدان المخلدين الذي يطوفون علينا بأكواب وأباريق وكأسٍ من معين، ولي أن أسبح في فضاء التفكير تاركاً لخيالي العنان في سائر الأوصاف الواردة في الكتاب والسنة عن أهل الجنة ونعيمها آخذاً بالاعتبار أنني مهما وصفت أو حتى تخيلت فإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر!

وكما كان الله قد أكرمه وأكرمنا برحيله إلى بيت الحمد إن شاء الله في الثالث من العشر المباركات من ذي الحجة حين يتوجَّه الحجيج إلى بيت الله الحرام فهنا أبشركم بعلامات القبول والرضا على عبدالله من قبل شهداء الله في أرضه أهل الكويت وغيرهم سواء من العدد الطيب الذين تطوعوا- دون طلب منا على الإطلاق- بأداء فريضة الحج بالإنابة عنه بحمد الله وتوفيقه، أو بالعدد الطيب من الرؤى الصالحة المبشرة وفيها عبدالله بأحوال طيبة تبعث على السرور والطمأنينة عليه وهو في جنب الله سبحانه.

ولما كان الناس - كما أخبرنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم - شهداء الله سبحانه في أرضه فإني أبشركم بأن الجموع التي حضرت المقبرة للصلاة عليه واتِّباع جنازته قد استمرت في تقديم العزاء لأهله حتى بعد أذان المغرب، وهي حالات قليلة الحدوث مع كامل التقدير لأصحاب الجنائز الثماني الأخرى التي دفنت بجواره أو في الأيام السابقة.

علماً بأن الذين أتوا لذلك لا يحدوهم من ذويه أي مصلحة دنيوية، هذا فضلاً عن الجموع التي اختارت الانصراف بعد الصلاة والدفن ولم تقدم العزاء في المقبرة لشدة الازدحام، وقد أجَّلوا ذلك إلى الغد في الديوان خصوصاً وأنهم مرتبطون بالإفطار من صيامهم يوم السابع من ذي الحجة. وذلك أيضاً فضلاً عن الجموع الغفيرة لأهل الكويت والتي ذهبت قبل الدفن بأيام إلى الحج فرزق الله سبحانه عبده عبدالله منهم الدعاء في أيام الحج وبخاصةٍ على صعيد عرفة، فأي شيء في الدنيا أفضل من هذه العطايا الربانية، وهذه الهدايا الرحمانية المتمثلة في الدعاء في يوم عرفة وعلى صعيد عرفة من هذا العدد الوافر من أهل الكويت وغيرهم من الأحباب ولله الحمد؟

وفي الختام فإنني أؤكد لكم - دون مبالغة مني حيث إن حديثي فيه مجروح - على ملاحظة كل مَن رأى وجهه المشرق قبل دفنه وأنه قد ازدادت وسامته بعد الوفاة بحمد الله وفضله.

حفظكم الله له ولنا بدعائكم الطيب، ونرجوكم باسمنا وباسم ابنكم وأخيكم عبدالله - رحمه الله - أن تستمروا في الدعاء له ضمن الدعاء لأحبابكم فهو منهم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

معالم الرحلة

التعريف ببيت الحمد[١]
(القصور والخيام والغُرف)

لقد أخذت هـذا المفهوم من حديث نبوي رائع يُؤنِس كل من تُوفي له ولد، ويبشـره بأنه إذا حمد الله واسـترجع فإن جزاءه سيكون من جنس عملـه، بل أعظـم وأرحم، وهـو أن يكون له بيت في الجنة اسـمه بيت الحمد.

فعن أبي موسـى الأشـعري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسـول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إذا مـات ولـد الرجل يقول اللـه تعالى لملائكته: أَقَبضتـم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: فماذا قال عبدي؟ قال: حمدك واسـترجع. فيقول: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمُّوه بيت الحمد[٢]».

ويلاحـظ أن الحديث قد سـمى البيت الذي جعله الله سـبحانه لمن يصبر ويحتسب موت ولده «بيت الحمد»، وقد استنبط العلماء من تسمية البيت بهذا الاسم أن «الأسقام والمصائب» لا يثاب عليها لأنها ليست بفعل اختياري بل المثوبة على الصبر، وهو ما عليه ابن عبدالسـلام وابن القيم قـالا: فهو إنما ينال ذلك البيت بحمده واسـترجاعه لا بمصيبته، وإنما

---

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٤/١٠/١٩م.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: ح (١٠٢١)، والإمام أحمد في مسنده: ح (١٩٧٢٥)، وابن حبان في صحيحه: ح (٢٩٤٨)، والبيهقي في سننه: ح (٧١٤٦)، والبغوي في شرح السنة: ح (١٥٥٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب: ح (٣٠٦٥)، والسيوطي في الجامع الكبير ح (٢٨٠٨)، والهيثمي في موارد الظمآن ح (٧٢٦)، وقال الترمذي - واللفظ له -: حسن غريب، وحسَّنه الألباني، وأورده في السلسلة الصحيحة (٣٩٨/٣)، حديث رقم ١٤٠٨، وعلَّق عليه بقوله: «فالحديث بمجموع طرقه حسن على أقل الأحوال».

بثواب المصيبة يكفر الخطايا، لكن الأصح خلافه... وظاهر ترتيب الأمر ببناء البيت على الحمد والاسترجاع معاً أنه لو أتى بأحدهما دون الآخر لا يبنى له شيء وعليه فكان القياس في وجه التسمية أن يقال: سموه بيت الحمد والاسترجاع لكن الأقرب أن الخصلة التي يستحق بها ذلك إنما هي الحمد، وذلك الاسترجاع معه كالتتمة والرديف بدليل إفراده بالتسمية[١].

ومن المعلوم أن الله سبحانه قد وعد عباده الصالحين أن يرزقهم مساكن طيبة في الجنة جزاء منه سبحانه عطاء حساباً، مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢].

ومساكن أهل الجنة يأتي ذكرها عادة بأحد ألفاظ ثلاثة: القصور «أو البيوت»، الخيام، وثالثها الغرف؛ أما القصور فقد جاء ذكرها في أكثر من حديث للنبي ﷺ سواء بلفظ القصر أو البيت، مثل قول النبي ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣] حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصراً في الجنة»[٤] «أورده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٦/٢) رقم (٥٨٩)، وقال: «حسن»، وأما

(١) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (٤٤٠/١) مصر: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

(٢) سورة التوبة الآية (٧٢).

(٣) سورة الإخلاص الآية (١).

(٤) أخرجه أحمد في المسند: ح (١٥٦١٠).

الخيـــام فقد وردت في قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾[١]، بينمـــا وردت «الغرف» في أكثر من موضع فـــي القرآن الكريم، مثل قوله تعالـــى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[٢]، وقولـــه: ﴿ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾[٣].

وحـــين يذكر لفظ «البيت» في الجنة فهو يقصـــد به «القصر» وذلك حسبما أشار الإمام النووي فيما نقله عن الخطابي وغيره[٤].

وقـــد يلتبس الأمر على البعض ويخلط بين هذه الأســـماء – أي أسماء مساكن أهل الجنة- وبين نظائرها في الدنيا، وهذا يقتضي أن نذكـــر بـــأن كل ما ذُكر عـــن نعيم الجنة هو – فقـــط – تقريب للأذهان وليس له من شـــبه فـــي الدنيا إلا الأســـماء فقط، وذلك مصداقًا لقوله تعالـــى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٥]، وتصديقًا لما جاء في الحديث القدســـي الذي رواه أبوهريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رســـول الله ﷺ : قال الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[٦].

---

(١) سورة الرحمن الآية (٧٢).
(٢) سورة الزمر الآية (٢٠).
(٣) سورة سبأ الآية (٣٧).
(٤) شرح النووي على مسلم: (١٥/ ٢٠٠).
(٥) سورة السجدة الآية (١٧).
(٦) رواه البخاري: ح (٣٢٤٤) ومسلم: ح (٢٨٢٤).

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء»[١].

وليس أدل على ذلك مثلاً من أن ذهننا ينصرف عند ذكر قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ إلى الشكل الذي اعتدنا عليه في حياتنا الدنيا للخيام، بينما هناك حديث نبوي صحيح يصف لنا الخيام بشكل مغاير تمامًا عما اعتدنا عليه؛ فعن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمنون»[٢].

مجالس أهل الجنة في بيت الحمد:

ما شاء الله

تبارك ربنا حين بشرنا مقدماً بأوصاف مجالسنا في الجنة في بيت الحمد وغيره من قصور الجنة وخيامها وغرفها.

دعنا عزيزي القارئ الكريم نستعرض في البداية بعض الآيات الواردة في وصف المجالس الجميلة لأهل الجنة:

وحين يخبرنا النبي ﷺ بأن الصابر المحتسب الحامد لربه بعد قبض روح ولده له بيت في الجنة اسمه بيت الحمد، ينبغي ألا تنصرف أذهاننا

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور: ح (٣٣٢). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٢١٩/٥) ح (٢١٨٨).

(٢) رواه البخاري: ح (٤٨٧٩)، ومسلم: ح (٢٨٣٨).

إلى الشكل التقليدي للبيت لا سيما بعد أن نستحضر الآيات العديدة التي تصف حال أهل الجنة ومساكنهم، مثل قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[2]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[4].

فهذا الوصف يدل على تشابه الجِلسة من حيث الطبيعة العامة بوجود سرر متقابلة فيما بينها، وهذا التقابل يتيح للجالسين عليها – كما هو الحال في مجالسنا الدنيوية – الحديث المباشر وتبادل أطراف الحوار في جو يُنزع في الغل من الصدور ليصبحوا إخواناً وقد تركوا خلفهم خلافات الدنيا وأكدارها واستمتعوا بروح الأخوة الحقة.

ثم تأتي آية أخرى لتصف هيئتهم في جِلستهم هذه وهم على هذه السرر المتقابلة، وهي الاتكاء على الأرائك في منتهى الراحة والحب بحمد الله وفضله، ووضْع الاتكاء يعكس مدى الارتياح الشديد الذي يشعر به أصحابه لما آلوا إليه من نعمة عظيمة في جنة الخلد.

---

(١) سورة الحجر الآية (٤٧).
(٢) سورة الكهف الآية (٣١).
(٣) سورة يس الآية (٥٥-٥٦).
(٤) سورة الإنسان الآية (١٢-١٤).

وينتقل الحديث العظيم من آية إلى أخرى، فالأولى تصف الجلسات المتقابلة على الأرائك بين الإخوان، أما الآية الأخرى فتصف أهل الجنة: ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾[1]، ولم يذكر السياق هنا التقابل بل ترك التقارب والالتصاق لفهم المستمع إلى الآية وقارئها في أدب جم وذوقٍ رفيع.

وفي كل الأحوال فهم مع إخوانهم وأهلهم كما ورد في آية أخرى – متكئون لا يرون في الآخرة شمساً ولا زمهريراً، أي عذاباً بالحرارة أو البرودة على السواء، بل وخلال تلك الجلسات تدنو عليهم قطوف الجنة وهم في مجالسهم هذا.

يا لعظم الوصف.... ويا لجمال المجالس.

اللهم بلغنا هذه المجالس، حيث لا جنسية لأصحابها، ولا مستوى اجتماعي ووظيفي، الكل فيها إخوان، وأكرمهم عند الله اتقاهم.

إن الغوص في هذه المعاني وتلك الأوصاف يثير في النفس الرغبة ويبعث فيها الهمة ويحرك فيها الأمل إلى موعود الصمد، إنها أوصاف تهون أمامها كل مصيبة، ويتلاشى قبالها كل خطر، وتتصاغر دونها كل نعمة، ومن منا لا يحب هذا؟ ومن منا لا تتوق إليه نفسه؟ ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾[2].

وختاماً فيكفي لبيان قيمة أن يكون لإنسان بيت في الجنة أن هذا كان رجاء إحدى اثنتين ضرب الله بهما مثلاً للذين آمنوا من النساء وهي امرأة

(١) سورة يس الآية (٥٦).
(٢) سورة الصافات الآية (٦٠-٦١).

فرعون، حيث دعت ربها سبحانه أن يبني لها بيتًا في الجنة: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

فاللهم ابن بيتًا عندك سبحانك لكل صابر محتسب على فقدان ولده فلذة كبده، برحمتك يا أرحم الراحمين.

لمن يكون بيت الحمد في الجنة
د. عمر عبدالكافي (١٠:٠٧)

يرجى التكرم بالعلم بأهمية تنزيل التطبيق QR Reader وهو باختصار المصطلح Quick Response اي قارئ الاستجابة السريع، وذلك بتشغيل التطبيق ليحول شاشة الهاتف بأكملها إلى كاميرا ثم توجيهها إلى رمز QR code الظاهر اعلاه في الصفحة، وهو الجيل الجديد من الرمز Bar Code والمستخدم بكثرة حالياً لقراءة أسعار السلع، ليفتح رابط المادة المبرمجة فيه والمشار إليها في هذه الصفحة وبقية صفحات الكتاب لاحقاً، وبذلك تتم إضافة المواد المرئية والمسموعة المدعمة للمادة المكتوبة في هذا الكتاب .

(١) سورة التحريم الآية (١١) .

ما ورد في ثواب المصاب بفقد الولد (الأولاد)

يقول اللَّهُ الَّذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ جَلَّ جَلَالُهُ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[1].

الابتلاء بفقد الولد من أعظم الابتلاء، وهو أَلَمٌ ينال من القلوب فيزيدها حرقة ولوعة، ففراق المحبوب يُعد من أعظم المصائب، حتى يكاد يزيغ له قلب كل ذي عقل، الموصوف بالحدس الصائب، فكيف إذا ما كان الفراق بلا عودة، وكان فراقاً للأبناء ثمرة الفؤاد، ومهجة الألباب، فلذة الأكباد، ونور البصائر.. فإذا ما صبر واحتسب، وحمد واسترجع، بنفس مؤمنة بقضاء الله وقدره، قضى الله جزيل الثواب، ووعد الأبوين بشفاعته في يوم المآب.

قال رسول الله ﷺ: إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد[2].

---

(١) سورة البقرة الآية (١٥٣ - ١٥٧).

(٢) رواه الترمذي: ح (١٠٢١).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: ما لعبدي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة[١].

فالحمد لله الذي قضى بالفناء والزوال على جميع عباده، وأنفذ أمره فيهم على وفق حكمته ومراده، ووعد الصابرين على قضائه جميل ثوابه، وأوعد الساخطين جزيل نكاله في معاده، وأثلج صدور العارفين بتدبيره، فبهجة نفوسهم في تسليمها بقضاء الله وقدره، فإياه ـ سبحانه ـ أحمد على كل حال، وأسأله الإمداد بتوفيقه وإرشاده.

وهذه بشريات لأهل الجلد عند فقد الولد:

البشارة الأولى: صلوات من الله تعالى ورحمة وهداية:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[٢].

البشارة الثانية: النجاة من النار:

الصبر على فقد الأولاد فيه وقاية من النار ومن غضب الجبار، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِصَبِيٍّ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ لَهُ، فَقَدْ دَفَنْتُ ثَلَاثَةً، فَقَالَ: لَقَدِ احْتَظَرْتِ بِحِظَارٍ شَدِيدٍ مِنَ النَّارِ. أي: امتنعت بمانع وثيق[٣].

---

(١) رواه البخاري: ح (٦٤٢٤).

(٢) سورة البقرة الآية (١٥٥-١٥٧).

(٣) رواه مسلم: ح (٢٦٣٦).

البشارة الثالثة: دخول الجنة:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾[١]. وعن أنس بن مالك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ، يَمُوتُ لَهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ[٢].

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، فَاحْتَسَبَهُمْ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، وَاثْنَانِ؟ قَالَ: وَاثْنَانِ. قَالَ مَحْمُودٌ: فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: أُرَاكُمْ لَوْ قُلْتُمْ «وَاحِدٌ» لَقَالَ: وَاحِدٌ»؟ قَالَ: وَأَنَا، وَالله، أَظُنُّ ذَلِكَ[٣].

البشارة الرابعة: بيت الحمد:

كتب الله سبحانه وتعالى لمن صبر على فَقْدِ الولد بأن يكون له بيت خاص باسمه في الجنة يكون شامة وعلامة عليه، وهو بيت الحمد ، فعن أَبي موسى رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلاَئِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: نَعَمْ. فيقولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فيقولونَ: نَعَمْ. فيقولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فيقول اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً في الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ[٤].

---

(١) سورة الطور الآية (٢١).

(٢) أخرجه البخاري: ح (١٢٤٨).

(٣) أخرجه أحمد ٣٠٦/٣ (١٤٣٣٦) والبُخَارِي في (الأدب المفرد) ح (١٤٦).

(٤) أخرجه أحمد (٤١٥/٤، رقم ١٩٧٤٠)، والترمذي (٣٤١/٣، رقم ١٠٢١)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٩٨/٣).

العبرة والسلوى بأخبار الثكالى الأولين:

إن هــذه الحيــاة دارُ هم وغم وكــدر، لا تخلوا مــن مصائبَ ومِحن وابتلاءات وفتن، والمرءُ فيها مُعرضٌ لنكبات لا تذهبُ عنه إلا بذهابه عن هــذه الحياة، والنفسُ لا تزكو إلا بالتمحيص، والبلايا تُظهر الرجال كما قال الإمام ابن الجوزي: «من أراد أن تدوم له الســلامة والعافية من غير بلاء فما عرفَ التكليف ولا أدرك التسليم، ولا بد من حصول الألم لكل نفسٍ ســواء آمنت أو كفرت، ولا يطمع أحد أن يخلص من المحنة والألم، والمرء يتقلب في زمانه في تحول النعم واستقبال المحن».

ولكــن من عرَفَ حقيقة هذا الفراق، وأنــه لابُدّ منه، فقد حلّ بمن هو خيــرٌ منه، أيقنَ أن الفزع والجزع لا يردُّ فائتــاً ولا يجلبُ غائباً بل يُغضِبُ المولى سبحانه وتعالى، ويُشمِتُ الأعداء، فمن عرَفَ هذه الحقيقة فعليه أنْ يصبر ويتأسى بما فعل السلف الأولون حينما كان يبلُغُهُم مثلُ هذا الخبر.

عَــنْ ثَابِتٍ، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دَخَلْنَا مَعَ رَسُــولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَــيْفٍ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لإِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُــولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَــهُ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ[1].

(١) أخرجه البخاري في الصحيح: ح (١٣٠٣).

وقد ضرب الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أروع نموذج من النماذج التي تحتذى بالصبر، وقوة التحمل، وعدم الجزع، بل السرور، عندما مات ابنه عبدالملك، فقد روى سفيان الثوري، قال: قال عمر بن عبدالعزيز لابنه عبدالملك وهو مريض: كيف تجدك؟ قال: في الموت، قال له: لأن تكون في ميزاني، أحب إليَّ من أن أكون في ميزانك، فقال له: يا أبت لأن يكون ما تحبّ أحب إليَّ من أن يكون ما أحبّ،، قيل: فلما مات ابنه عبدالملك، قال عمر: يا بنيّ لقد كنت في الدنيا كما قال الله جل ثناؤه: المال والبنون زينة الحياة الدنيا، ولقد كنت أفضل زينتها، وإني لأرجو أن تكون اليوم من الباقيات الصالحات، التي هي خير من الدنيا، وخير ثواباً، وخير أملاً. والله ما سرني أني دعوتك من جانب فأجبتني، ولما دفنه قام على قبره، فقال: مازلت مسروراً بك، منذ بشّرت بك، وما كنت قطّ أسرّ إليَّ منك اليوم،، ثم قال: اللهم اغفر لعبد الملك ابن عمر، ولمن استغفر له[1].

قال الشاعر:

لا قضى الله بيننا بفراق ... إن طعم الفراق مر المذاق
لو وجدنا إلى الفراق سبيلاً ... لأذقنا الفراق طعم الفراق

فاللهم أنزل السكينة على كل مصاب، وألهم الصبر لمن ابتلي بفقد الأحباب، واجعلنا اللهم ممن يصبر على القضاء ويرضى بالبلاء.

---

(١) راجع: المجالسة وجواهر العلم، أبوبكر الدينوري، (٢/٢٥٠)، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ. والأذكار للنووي: ص (١٥٢)، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م. تسلية أهل المصائب: للمنبجي: ص (١٥٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

وعن ثابت قال: لما مات عبد الله بن مُطرّف خرج أبوه «مُطرّف» على قومه في ثيابٍ حسنة وقد ادهن، فغضبوا وقالوا له: يموتُ ولدك عبد الله ثم تخرجُ في ثيابٍ مثل هذه مدهناً. فقال لهم: أفأستكينُ لها «يعني مصيبة موت ابنه»، لقد وعدني ربي تبارك وتعالى ثلاث خصال كُلٌّ واحدة منهن خيرٌ من الدنيا وأحبُ إليّ من الدنيا وما فيها ... قال الله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾[١]، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾[٢] هذه الأولى، ﴿ وَرَحۡمَةٌ ﴾[٣] هذه الثانية، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[٤] هذه الثالثة[٥].

وروي عن ابن عباس أنه أُخبِرَ بوفاة بنتٍ له وهو في سفر فاسترجع وقال: عورة سترها الله، ومؤنه كفاها الله، وأجرٌ ساقه الله تعالى، ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال: قد صنعنا ما أمرنا الله تعالى به، قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٦][٧].

وهذا عروة بن الزبير وكان عابداً تقياً، روي أنه وقعت آكلة في رجله وهو في سفر فدُعِيَ له بطبيب، فَقَطَعَ نصفِ ساقه فما سُمع منه حِسٌ من صبره، ثم جاءه الخبر بوفاة ابنه محمد وطأته بغلة، فلم يُسمع منه

---

(١) سورة البقرة الآية (١٥٦).

(٢) سورة البقرة الآية (١٥٧).

(٣) سورة البقرة الآية (١٥٧).

(٤) سورة البقرة الآية (١٥٧).

(٥) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٨١/٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م. تسلية أهل المصائب: للمنبجي ص (٣٢).

(٦) سورة البقرة الآية (١٥٦).

(٧) تفسير القرطبي: (٣٧٢/١)، دار الكتب المصرية، القاهرة، وفيه أنه نعى له أخوه قثم، وقيل: بنت له، ط٢: ١٣٨٤هـ.

في ذلك كله جــزع، فلما رجَعَ قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[١]، اللهم كان لي بنون سبعةٌ فأخذتَ واحداً وأبقيتَ لي ستةٌ، وكان لي أطراف أربعةٌ فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة، ولئن ابتليت فقد عافيت، ولئن أخذت فقد أبقيت[٢].

ألا واعلموا رحمكم الله أنه من كان باكياً فليبكِ على نفسه، كما روي عن أحد السلف أنه لما احتضر بكت امرأته فقال لها: ما يُبكيك؟ فقالت: عليك أبكي، فقال: إن كنت باكية فابكي على نفسك، أما أنا فقد بكيت على هذا اليوم أكثر من أربعين سنة.

وما رحيل هؤلاء الأحبة إلا إنذارٌ لنا أننا عن الدنيا راحلون، وهم السابقون ونحن اللاحقون، عَّما قليلٌ عنها زائلون.

الصبر على البلاء:

الصبر ضياء للمسلم في حياته، وأعلى منه رتبة الرضا بقضاء الله عز وجل وقَدَرِه، وقد ضرب في ذلك الأنبياء والصالحون أروع الأمثلة، وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ، وكذلك أيوب عليه السلام، فعلى المرء المسلم أن يتحلى بالصبر والرضا حتى ينال الدرجات العلى.

معنى الصبر:

الصبر لغة: المنع والحبس.

وشرعاً: حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكِّي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب.

---

(١) سورة الكهف الآية (٦٢).

(٢) الكبائر للذهبي، ص(١٩٢)، إتحاف السادة المتقين للزبيدي، (٢/ ٣٨١)، مؤسسة التاريخ العربي.

وقيل: هو خلق فاضل من أخلاق النفس، تمتنع به عن فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها.

والنفس لها قوتان: قوة إقدام، وقوة إحجام، فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكاً عما يضره.

منزلة الرضا ومحلها من الصبر:

أما الرضا فهو: انشراح الصدر، وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال الألم، وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخففه بما يباشر القلب من روح اليقين، يعني: أن الإنسان لو أصيب ببلاء فهو لا يتمنى زوال هذا البلاء؛ لما يرجو من ثوابه عند الله عز وجل، فهو لو خُيِّر بين عودة ما فقده وعدمها لاختار عدم العود، فلو مات له ولد، أو فَقَدَ ماله، أو فَقَدَ سمعه أو بصره فإن طمعه في ثواب الله، ومحبته لقضاء الله عز وجل وقدره تجعله لا يتمنى غير ما كان، فهو يرضى بقدر الله عز وجل، ويطمع في الثواب، وتطمئن نفسه إلى قضاء الله عز وجل قدره.

قال شيخ الإسلام: والرضا بحكم الله أعلى مرتبة من الصبر، وهو مستحب على الصحيح، وأعلى منه شكر الله تعالى على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها جعلها سبباً لتكفير خطاياه ورفع درجته، وإنابته إلى الله وتضرعه إليه، وإخلاصه في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين[1].

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص(١٣٥)، مكتبة دار البيان، دمشق ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

قال شـــيخ الإســـلام: ولم يجئ الأمر به -أي الرضا- كما جاء الأمر بالصبر، وإنما جاء الثناء على أصحابه ومدحهم.

فالرضا لم يوجبه الله عـــز وجل على خلقه، ولكن ندبهم إليه، وأثنى علـــى أهله، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم، الذي هو أعظم وأكبر وأجل من الجنـــان وما فيها، فمن رضي عن ربـــه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عز وجل عنه.

للبلاء ثمار «ثمار الصبر على البلاء»:

بشـــر الله الصابرين في كتابه الكريم فقـــال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[1].

وقال لنا رســـول الله ﷺ مرشداً ومعلماً: «مَا أُعْطِيَ أَحَد عَطَاء خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصبْر»[2].

- الصابرون هم أهل الفوز والنجاة:

قـــال تعالي عن المؤمنـــين الفائزين بالنعيم المقيم فـــي الآخرة: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة الآية (١٥٥-١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري: ح (١٤٦٩)، ومسلم: ح (١٠٥٣).

(٣) سورة المؤمنون الآية (١١١).

وكذلك بشرنا الله عز وجل بما يقال لأهل الجنة يوم القيامة ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾[١].

وعن عَطَاءُ بْنُ أَبِى رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِىَّ ﷺ قَالَتْ: إِني أُصْرَعُ وإِني أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لي. قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ. قَالَتْ أَصْبِرُ. قَالَتْ: فإِني أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا[٢].

- يوفون أجرهم بغير حساب:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[٣]. قال سليمان ابن القاسم: كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ قال: كالماء المنهمر.

- يعوِّض الله تعالى الصابرين خيراً:

عَن مُصعب بْن سعد، عَن أَبيه سعد بن أَبي وَقاص؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: الأَنبِيَاءُ، ثُم الأمثل فالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ على حَسَبِ دِينِه، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِه صلباً اشتَد بَلاَؤُهُ، وإِنْ كَانَ فِي دِينِه رِقة أُبتُلِيَ على حَسَبِ دينِه، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمشِي على الأَرضِ، ومَا عَلَيهِ من خَطِيئَةٍ[٤].

---

(١) سورة الرعد الآية (٢٤)

(٢) أخرجه أحمد: ح (٣٢٤٠)، والبخاري: ح (٥٦٥٢)، ومسلم: ح (٦٦٦٣).

(٣) سورة الزمر الآية (١٠).

(٤) أخرجه أحمد: ح (١٤٨١) والدارِمِي: ح (٢٧٨٣) والتِّرْمِذِيّ: ح (٢٣٩٨)، والألباني في السلسلة الصحيحة: (٢٢٥/١).

- الصبر سبب تكفير السيئات وزيادة الحسنات:

قال بعض السلف: لولا المصائب لوردنا الآخرة مفاليس، وعَنْ أَبي هُرَيْرَة، عَنِ النَّبِي ﷺ، قَالَ: مَا يُصِيبُ الْمسلِمَ مِنْ نَصَب، وَلاَ وَصَب، وَلاَ هَمٍّ، وَلاَ حَزن، وَلاَ أَذىً، وَلاَ غَمّ، حَتى الشوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلا كَفَّرَ اللهِ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ[1].

- الصبر سبب لهداية القلوب:

إن الصبر سبب لهداية القلوب، وزوال قسوتها، وحدوث رقتها، وانكسارها، فكم من غافل رجع إلى ربه عندما أصيب بمرض؟ كم من لاه أقبل على مولاه عندما أصيب بفقد عزيز ويقول سبحانه: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾[2] قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويُسلم[3] ومعنى الآية: أن من أصابته مصيبة فعلم أنها من قدر الله فصبر، واحتسب، واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوَّضه عما فاته من الدنيا هدىً وطمأنينةً في قلبه، ويقينًا صادقًا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه خيراً.

فاللهم اجعلنا من الصابرين الشاكرين، ورضِّنا بقضائك، واجعلنا هداة مهدين مهتدين.

---

(١) أخرجه أحمد: ح (٨٠١٤) والبُخَارِي: ح (٥٦٤١) ومسلم: ح (٦٦٦٠).

(٢) سورة التغابن الآية (١١).

(٣) تفسير ابن كثير: (١٦١/٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤١٩هـ.

بين البأساء والضراء:

لقد عاشت الأسرة أيام رحلتها مع عبدالله إلى بيت الحمد قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[1].

فالبأساء ما يصيب الإنسان في غير ذاته مثل التهديد الأمني، أو الإخراج من الديار، أو مرض قريب، أو وفاته، بينما الضراء هو ما يصيب الإنسان بنفسه من مرض أو تعذيب أو وفاة.

النهي عن النياحة والبكاء المفرط:

الحمد لله الرب الرحيم، الحكيم بما يقضيه في كل زمان، واللطيف بعباده حين تقلقهُم الهموم والأحزان، الذي وعد الصابرين أجرهم بغير عدّ ولا حسبان.

أخرج الإمام الذهبي في كتابه الكبائر عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل البيت ضجة، فمنهم الصاكة وجهها، ومنهم الناشرة شعرها، ومنهم الداعية بويلها فيقول ملك الموت عليه السلام: مم هذا الجزع ومم هذا الفزع فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمراً، ولا ذهبت لأحد منكم برزق، ولا ظلمت لأحدٍ منكم شيئاً، فإن كانت شكايتكم وسخطكم عليَّ فإني والله مأمور وإن كان على ميتكم، فإنه مقهور، وإن كان على ربكم فأنتم

(١) سورة البقرة الآية (٢١٤).

بـــه كافرون، وإن لي بكم عـــودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحداً؟ قال رسول الله: والذي نفسي بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم»[١].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني وهو يوصي ابنه: يا بُني إن المصيبة ما جاءت لتُهلكك وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك، يا بُني القدر سبع، والسبع لا يأكل الميتة[٢].

وقال أبو الدرداء: إن الله إذا قضى قضاءً أحب أن يُرضى له[٣].

وقيل:

قـــد يـنـعـم الله بالبلوى وإن عظمت ... ويـبـتـلـي الله بـعـــض الـقـــوم بالنعم

تـزود مـــن الـدنـيـا فإنـــك لا تـدري ... إذا جنَّ الليل هـــل تعـش إلـى الفجـر

فكم من صحيح مات من غير عـلـةٍ ... وكـم مـن مـريضٍ عاش حيناً من الدهر

وكم من أطفالٍ يُرتجى طول عمرهم ... دخـلـــت أجســـادهـم ظُـلـمـــةَ القبـــرِ

وكـم مـن فتى أمسى وأصبح ضاحكاً ... وأكفانه في الغيب تُنسج وهو لا يـدري

فمـــن عـاش ألفاً وألـفـين فلا بـد ... مـــن يـــومٍ يســـيـر إلـــى القبـــرِ

قال الإمام البخاري رحمه الله:

باب ما يكره من النياحة على الميت، وقال عمر رضي الله عنه: دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة. والنقع التراب على الرأس، واللقلقة الصوت[٤].

---

(١) الكبائر للذهبي: ص (١٨٧).

(٢) تسلية أهل المصائب ص (١٦٦).

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح: (١٩٢/٢)، طبعة عالم الكتب، بدون.

(٤) صحيح البخاري: (٨٠/٢)، دار ابن كثير، بيروت، ط: ٣، سنة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

ثم ساق الإمام البخاري بإسناده عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: من نِيح عليه يُعَذَّب بما نِيح عليه[١].

وقال البخاري رحمه الله:

باب قول النبي ﷺ «يُعَذَّب الميت ببعض بكاء أهله عليه» إذا كان النَّوْح مِن سُنَّتِه، لقول الله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[٢][٣] والنهي عن البكاء على الميت إذا كان من النّياحة، وهو ما يكون فيه رفع الصوت والعويل والصراخ، وهو ما يكون نتيجة لِتسخّط أقدار الله.

قال البخاري رحمه الله: **باب ما ينهى عن النوح والبكاء والزجر عن ذلك**[٤].

أما إذا كان مُجرّد بكاء وحُزن، فإنه لا يُنهى عنه، فقد صدر هذا من أخشى الناس وأتقاهم لله، ﷺ.

قال البخاري: وما يُرَخَّص مِن البكاء في غير نَوْح[٥].

ثم روى بإسناده إلى أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أَرْسَلَتْ ابنة النبي ﷺ إليه إن ابنا لي قُبض فائتنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل عنده بأجلٍ مُسمى، فلتصبر ولتحتسب، فأرسلت إليه تُقْسِم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل

(١) أخرجه البخاري: ح (١٢٩١).
(٢) سورة التحريم الآية (٦).
(٣) صحيح البخاري: (٧٩/٢).
(٤) صحيح البخاري: (٤٣٩/١).
(٥) صحيح البخاري: (٧٩/٢).

وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فَرُفِع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونَفْسه تتقعقع. ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء[١].

قال العيني: فإن قوله: «ففاضت عيناه» بُكاء من غير نوح، فَيَدُلّ على أن البكاء الذي يكون من غير نوح جائز، فلا يؤاخذ به الباكي ولا الميت[٢].

وقال ابن عبد البر رحمه الله: وروى أبو إسحاق السبيعي عن عامر بن سعد البجلي عن أبي مسعود الأنص٤٩-٥اري وثابت بن زيد وقرظة بن كعب قالوا: رُخِّص لنا في البكاء على الميت من غير نوح، وقد دمعت عينا النبي ﷺ عند موت ابنه إبراهيم عليه السلام، وحَزِن عليه النبي ﷺ[٣].

قال أنس رضي الله عنه: قد رأيته - أي إبراهيم- وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ، فَدَمَعت عينا رسول الله ﷺ، فقال: تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلاَّ ما يُرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون[٤].

قال النووي: قوله: «فدمعت عينا رسول الله ﷺ... إلى آخره» فيه جواز البكاء على المريض والحزن، وأن ذلك لا يُخالف الرضا بالقدر، بل هي رحمة

(١) أخرجه البخاري: ح (١٢٨٤)، ومسلم: ح (٩٢٣).
(٢) عمدة القارئ: (٧٢/٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.
(٣) راجع: الاستذكار لابن عبدالبر، (٦٧/٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
(٤) أخرجه مسلم: ح (٢٣١٥).

جعلها الله في قلوب عباده، وإنما المذموم الندب والنياحة والويل والثبور ونحو ذلك من القول الباطل، ولهذا قال ﷺ: ولا نقول إلاَّ ما يرضي ربنا[١].

وبكى النبي ﷺ لَمَّا اشتكى سعد بن عبادة، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: ألا تسمعون؟ إن الله لا يُعَذِّب بِدَمْع العين، ولا بِحُزْن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يَرْحَم، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه[٢].

اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان، يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم نسألك أن تغفر لموتانا وجميع موتى المسلمين، اللهم اغفر لهم وارحمهم، وعافهم واعف عنهم، وأكرم نُزلهم، ووسع مُدخلَهُم، واغسلهم بالماء والثلج والبرد، يا أرحم الراحمين.

الصبر على البلاء والمصائب
الشيخ محمد متولي الشعراوي (٣٧ : ٦)

كيف الصبر على فراق أو موت من تحب
الشيخ مشاري الخراز (١٣ : ١١)

(١) شرح النووي على مسلم: (٧٥/١٥)، دار إحياء التراث العربي- بيروت - ١٣٩٢هـ.
(٢) أخرجه البخاري: ح (١٣٠٤).

حول إكرام الميت[١]

أول ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن إكرام الميت، هو ما جاء في الأثر من أن «إكرام الميت دفنه»، فيكاد يتصور كثير من الناس أن الإسراع في دفن الميت هو الوسيلة الوحيدة التي نص عليها الشرع لإكرامه!

والواقع أن الإسلام قد اهتم اهتمامًا شديدًا بإكرام الميت ماديًا ومعنويًا كذلك، غير أنه لا يصلح فصل التكريم المادي عن المعنوي؛ لأن في تكريم الميت ماديًا تكريم معنوي كذلك، لأن تكريم الجسد هو تكريم للروح في الوقت ذاته، بل هو تكريم للإنسان بصفة عامة.

ومن مظاهر تكريم الإسلام للإنسان، الحث على الالتزام بآداب معينة في تغسيله وتكفينه وجنازته ودفنه وفي زيارة قبره يجمع بينها جميعا احترام الميت وتكريمه، وهو الأمر الذي نجده كذلك في النهي عن التمثيل بجثته، أو ذكره بسوء بعد موته، بل والحث على ذكر محاسنه والدعاء له بالمغفرة والرحمة.

والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة في هذا الباب كثيرة جدًا، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٢] فهذه الآية جاء لفظها عامًا، أي شاملاً الأحياء والأموات، وهو ما فسرته السنة النبوية عبر الأحاديث الكثيرة التي فيها ما يؤكد أن تكريم بني آدم يشمل الأموات كذلك وأن حرمه الميت كحرمة الحي على السواء، ومنها قول رسول الله ﷺ قال: «اذكروا محاسن موتاكم، وكفُّوا عن مساويهم»[٣].

---

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/٧/١٢م.

(٢) سورة الإسراء الآية (٧٠).

(٣) أخرجه أبو داود: ح (٤٩٠٠)، والترمذي: ح (١٠١٩).

ومنها قوله ﷺ: «ليغسل موتاكم المأمونون»[١].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «كسر عظام الميت ككسره حياً»[٢].

وقوله: «إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ»[٣].

ومنها نهيه ﷺ عن أن «تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن توطأ»[٤].

فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لأن يجلس أحدكم علي جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده؛ خيرٌ له من أن يجلس على قبر»[٥].

ومن حديث ابن عمر مرفوعا: «إذا مات أحدكم فلا تحبسوه، وأسرعوا به إلى قبره»[٦].

كما أوصى النبي ﷺ بالميت فقال: «ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين، فإن الميت يتأذى بجار السوء، كما يتأذى الحي بجار السوء»[٧].

وغيرها من الأحاديث النبوية الكثيرة التي تبين إلى أين وصل تكريم ديننا الحنيف للإنسان حيًا وميتًا؛ فالحمد لله على نعمة الإسلام.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: ح (١٤٦١)، وقال الألباني: موضوع. سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣٨٦/٩).
(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة: ح (١٦١٦).
(٣) أخرجه مسلم من حديث جابر: ح (٩٤٣)، وأبو داود: ح (٣١٤٨) والنسائي: ح (١٨٩٥).
(٤) أخرجه الترمذي: ح (١٠٥٢).
(٥) أخرجه مسلم: ح (٩٧١).
(٦) أخرجه الطبراني في الكبير: ح (١٣٦١٣).
(٧) أبو نعيم في الحلية (٣٥٤/٦).

ومن أصدق من الله قيلاً؟[١]

نقف هنا عند الفرق بين تعبيري «حديثًا، وقيلاً» اللذين وردا في آيتين مختلفتين في سورة النساء، الأول في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾[٢]، والثاني في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾[٣].

ويلاحظ على هاتين الآيتين أولاً، أنهما وردتا في شأن الحديث عن يوم القيامة، وأنه لا ريب فيه، وأن وعد الله بإدخال الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار هو وعد حق لا ريب فيه كذلك.

كما يلاحظ عليهما ثانيًا أن الآيتين ورد ختام كل منهما بصيغة السؤال والتحدي في الوقت نفسه؛ فقد كان من الممكن أن تأتيا في صورة الإخبار فقط، كأن يقول سبحانه أنه لا يوجد أحد أصدق منه قيلاً أو حديثًا، ولكنه عز وجل أراد أن يراجع الإنسان نفسه ويتفكر: هل هناك من هو أصدق من الله عز وجل؟ والإجابة هي بالنفي يقينًا، فلماذا إذن يرتاب بعض الناس – إن لم يكن معظمهم- في البعث والحساب!

أما الملاحظة الثالثة فتتعلق بكونه سبحانه قد اختار كلمتين مختلفتين لفظًا وإن اتحدتا في المعنى، وقد أرجع أحد المفسرين ذلك الاختلاف

(١) تم نشر هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/١١/١٥.
(٢) سورة النساء الآية (٨٧).
(٣) سورة النساء الآية (١٢٢).

بين التعبيرين إلى سببٍ لغوي يتمثل في أنه قد جيء في الآية الثانية بتعبير «قيلاً» ليوازن المصدر عن قبله وهما «وعداً وحقاً» ويشابههما في الخفة فسكون عين الكلمة وعدد حروفها كالمصدرين قبلها، وكأنه إنما أريد تكرار المصدر بلفظه، فاستثقل التكرار للتقارب وعادة العرب في ذلك فعدل إلى ما يجاريه ويحرز المعنى، ولتجري المصادر الثلاثة مجرى واحداً خفةً ووزناً إحرازاً للتناسب والتلاؤم. ولما لم يتقدم في الآية الأولى ما يستلزم هذا، وإن قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1] إخبار وحديث عن البعث بعد الموت وجمع الخلق لحسابهم ومجازاتهم على الخير والشر فهو إخبار وإنباء، ومثله ما ورد في قوله تعالى إخباراً عن قول منكري البعث: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾[2] (الآية) فالإنباء هنا هو ذلك الخبر الصدق منه تعالى بقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآية، فقد وضح ورود كل واحدة من الآيتين على ما يناسب ويلائم والله أعلم[3].

فسبحان الله العظيم!

معنى الصدق مع الله

الشيخ صالح المغامسي (٢:٥٥)

(١) سورة النساء الآية (٨٧).

(٢) سورة سبأ الآية (٧).

(٣) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، (١٠٨/١) دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

تلقين المحتضر كلمة التوحيد[١]

هذا الموضوع يغيب عن أذهان كثير من الناس - للأسف الشديد- رغم أهميته البالغة التي قد تصل حد الإسهام بإذن الله تعالى في تحديد مصير المحتضر بعد الموت!

لا تتعجب من ذلك أخي القاريء ولا تندهشين أختي القارئة، فإن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»[٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والمراد بقوله: لا إله إلا الله، في هذا الحديث وغيره، كلمتا الشهادة»[٤].

وكلمتا الشهادة هما: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، سواء هكذا أو مع الشهادة: «أشهد أن.....، وأن.....».

أما كيفية التلقين فهي أن تطلب من المحتضر بلطف أن يقول: لا إله إلا الله، ولكن لا تُكثر عليه في ذلك، فيكفي تذكيره مرة أو مرتين حتى تكون حاضرة في ذهنه وتكون هي آخر كلامه بإذن الله.

رزقنا الله وإياكم حسن الخاتمة والموت على كلمة التوحيد.

---

(١) تم نشر هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/١١/٢٢.

(٢) أخرجه أبو داود: ح (٣١١٦)، والحاكم: ح (١٢٢٩)، وصحَّحه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم: ح (٩١٦).

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: (٣/١١٠).

فلسفة المرض في الإسلام[١]

في ظل الرضا المطلق بقضاء الله وقدره، وهو الحكيم العليم، ليس لنا حتى أن نهمس في أنفسنا: لماذا فعل الله بنا كذا ولِمَ لم يفعل كذا؟! فإن في هذا تخطي لحدودنا البشرية وتجاوز في حقه سبحانه، وجهل بعظمته وبأننا لا نستطيع أن نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[٢].

وحين نتساءل عن الحكمة الإلهية من إصابة الناس بالأمراض فنحن نقر بداية أن خالق هذا الكون رحيم حكيم، إذ لو لم يكن كذلك ما كنا قد تساءلنا أصلاً عن سبب وجود ألم أو شر في هذا الكون باعتبار أن هذه لو كانت هي القاعدة ما انتبهنا ولا التفتنا إليها، إنما هي استثناء وعرض يصيب كل الناس بعض الوقت في حياتهم الدنيوية لحِكَم عديدة تحدث عنها العلماء والحكماء عبر الأزمان.

ومن هذه الحكم التي استقرأها العلماء أن المرض وإن كان شراً من جانب فهو خير من جوانب أخرى، إذ أن الله سبحانه – كما يقول الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله «لا يخلق شراً محضاً من كل وجه بل كل ما خلقه ففي خلقه مصلحة وحكمة وإن كان في بعضه شر جزئي إضافي، وأما الشر الكلي المطلق من كل وجه فهو تعالى منزَّه عنه وليس إليه»[٣].

---

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٤/١١/٢م.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٥).

(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص (١٦٩).

ومن حكمة إصابة العبد بالمرض أن يتذلل إلى ربه ويتوب ويؤوب ويعرف مقدار غفلته وظلمه لنفسه وأنه لا يحق له أن يستكبر على أحد أو أن يظن في نفسه القوة التي لا تقهر، فهو عبد ضعيف في إمكان «فيروس»، لا يُرى بالعين المجردة، أن يقعده سنوات ناهيك عن التسبب في مغادرته إلى باطن الأرض بعد أن كان على ظهرها يمشي مختالاً فخوراً.

إن من شأن المرض إذا لم ينه حياة العبد أن يرده قوياً معافى وقد عرف نعم ربه عليه وكيف أنه لا يحصيها، فيراجع نفسه، ويتواضع لله ثم للناس، ويكثر من عمل الخير، ويحرص قدر وسعه على صحته وصحتهم، كما يشعر بالمرضى وبخاصة الفقراء منهم، فيتصدق عليهم من ماله وعافيته، والضربة التي لا تقصم ظهر الإنسان تُقوِّيه.

والمرض- كما ورد في الأحاديث الصحيحة العديدة- يطهر الإنسان من الذنوب والخطايا، ولذلك يُسن أن يقال للمريض ما قاله النبي ﷺ حين دخل على أعرابي يعوده: «لا بأس طهور إن شاء الله»[1]، ذلك أن معظم ما يصيبنا من أمراض بل ومصائب هو من كسب أيدينا، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[2].

---

(١) جزء من الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (٣٦١٦)، والحديث بتمامه: عن ابن عباس ﷺ: أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، قال: وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال: «لا بأس، طهور إن شاء الله» فقال له: «لا بأس طهور إن شاء الله» قال: قلت: طهور؟ كلا، بل هي حمى تفور، أو تثور، على شيخ كبير، تزيره القبور، فقال النبي ﷺ: «فنعم إذا».

(٢) سورة الشورى الآية (٣٠).

وقد بشَّر الله سبحانه عباده الذين ابتلاهم بأي نوع من أنواع المرض على لسان نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله: «ما يصيب المسلم من نصبٍ ولا وصبٍ ولا هَمٍ ولا حزنٍ ولا أذى ولا غمٍ حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه»[١] وقوله ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطَّ الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»[٢] وقوله: ﷺ: «مثل المؤمن حين يصيبه الحمى أو الوعك مثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها»[٣] وقال ﷺ: «لا يُصِبْ عبدًا نكبةٌ، فما فوقها أو دونها إلا بذنبٍ، وما يعفو اللهُ عنهُ أكثر»[٤] وقوله ﷺ: «إنَّ اللهَ ليبتلي عبدَهُ بالسَّقَمِ حتى يُكَفِّرَ ذلكَ عنهُ كلَ ذنبٍ»[٥].

يا الله.. ما أكرمك يارب، حتى على الشوكة أو الهم أو الحزن أو الكدر تتنعم على عبادك بتكفير ذنوبهم؟!

ويكأن الله سبحانه وتعالى أشد شوقًا لرحمة عبده أكثر من هذا العبد نفسه، إنه سبحانه أرحم بالإنسان أكثر من أمه نفسها؛ فعن ابن عمر، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، فمرَّ بقوم، فقال: «مَن القوم»؟ فقالوا: نحن المسلمون، وامرأة تحصب تنورها، ومعها ابن

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري: ح (٥٦٤١)، ومسلم: ح (٢٥٧٢)، واللفظ للبخاري.
(٢) أخرجه البخاري: ح (٥٦٤٨)، ومسلم: ح (٢٥٧١).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ح (٢٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى: ح (٦٥٤٤).
(٤) أخرجه الترمذي في سننه، ح (٣٢٥٢).
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير: ح (١٥٤٨) والحاكم في المستدرك: ح (١٢٨٦)، والبيهقي في الشعب: ح (٩٣٩٧).

لها، فإذا ارتفع وهج التنور، تنحت به، فأتت النبي ﷺ فقالت: أنت رسول اللـــه؟ قال: «نعـــم» قالت: بأبي أنت وأمي، أليـــس الله بأرحم الراحمين؟ قـــال: «بلى» قالت: أوليس الله أرحـــم بعباده من الأم بولدها؟ قال: «بلى» قالت: فإن الأم لا تلقي ولدها في النار. فأكبَّ رســـول الله ﷺ يبكي، ثم رفع رأسه إليها فقال: «إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرد الذي يتمرد على الله، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله»[١].

ومن رحمته سبحانه أن يصيبنا بالمرض كي نتضرع إليه ونجأر إليه بالدعاء والابتهال عسى أن يشفينا أو يشفي من نحب، وهذه الحكمة تأتي عبر إصابتنا لا بالسيئات (المصائب) وحدها بل بالحسنات «النعم» كذلك؛ تأمل في قول الحق: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٢] وكذلك قوله سبحانه:﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[٣]، فستجد أن الله سبحانه يبلوا عباده بالرخاء والشدة، والرغبة والرهبة، والعافية والبلاء[٤].

كمـــا أن من حكمته ســـبحانه أن يجعل إصابـــة البعض بالمرض عبرة وموعظة لأنفســـنا وللآخرين، ليتعرفوا على قيمـــة الصحة، وكيف أنهم فـــي نعيم، وليعلموا أن هذا النعيم لا يتســـم بالديمومة، فهو نعيم مؤقت لا يدوم، ولو دام لكنا برتبة فوق البشـــر لا يعترينا نقص ولا قصور، لكننا بشر الأصل فينا النقص والزوال.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: ح (٤٢٩٧).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٦٨).

(٣) سورة الأنبياء الآية (٣٥).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، (٤٩٨/٣).

هذه بعض الإشارات العاجلة للحكمة من المرض لا يفقهها وينتفع بها إلا من يصبر ويشكر، ويدرك رحمة الله سبحانه به بأنه إن أصابه ببلاء فلا يتطلب منه سوى الصبر الجميل عليه دون شكوى للناس أو جزع أو سخط على قدره المكتوب منذ الأزل، وعندئذ فقط عليه أن يستبشر بأن أشد الناس بلاء هم الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

فعن أبي سعيد الخدري، أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك، عليه قطيفة، فوضع يده عليه، فوجد حرارتها فوق القطيفة، فقال أبو سعيد: ما أشد حماك يا رسول الله، قال: «إنا كذلك، يشتد علينا البلاء، ويضاعف لنا الأجر»، فقال: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الصالحون، وقد كان أحدهم يبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يجوبها فيلبسها، ويبتلى بالقمل حتى يقتله، ولأحدهم كان أشد فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء»[1].

فإذا كان هذا هو حال الأنبياء والصالحين، فكيف بمن هم أقل منهم مكانة وأبعد مسافة عن الله سبحانه!؟

إن التزام الصبر والشكر قد يدخل المريض في زمرة الأنبياء والصالحين وأمثالهم، لاسيما إذا ألحَّ على الله عز وجل في الدعاء بأن يسكنه معه الأنبياء والصالحين في عليين بفضله ورحمته.

ولهذا يقول الشاعر:

ينال الرضا عبد يقابل نعمة بشكر ... ويلقي الصبر في العسر ناصره

ومن رضي الرحمن عنه فإنه ... سعيد بفضل الله دنياه وآخره

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد: ح (٥١٠) وصححه الألباني.

فلسفة الموت في الإسلام[١]

الموت هو الحقيقة الكبرى التي لا يستطيع أحد أن يماري فيها، فهو اليقين الذي لا شك فيه، وهو يحدث بغتة دون إنذار واضح غالبًا، ودون تقديم أو تأخير دائمًا: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[٢].

فهو كأس وكل الناس شاربه وحوض وكل الناس وارده، غنيهم وفقيرهم، عزيزهم وذليلهم، قويهم وضعيفهم: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[٣].

فقد كتب الحي القيوم الفناء على كل من في الأرض، بل كل من في الكون، ليبقى وحده سبحانه الحي حياة مطلقة لا موت فيها من قبل ولا من بعد: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[٤].

وهذه حقيقة يحاول أكثر الناس الفرار منها إن لم يكن بأفعالهم فبمشاعرهم وتفكيرهم، ولكن هيهات: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٥].

---

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٤/١١/٩م.

(٢) سورة الأعراف الآية (٣٤).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٨٥).

(٤) سورة الرحمن الآية (٢٦- ٢٧).

(٥) سورة الجمعة الآية (٨).

ثم إلى أين الفرار؟، فالموت يلاحق الإنسان -إذا جاء أجله- في كل مكان: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾(١).

فضلاً عن أنه لا أمل في أن يعصي رسل الله «ملائكة الموت» أمر ربهم بقبض روح أي مخلوق: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾(٢).

ولا يحسب أحد أن من حوله من الأهل والأصحاب والخلان يستطيعون أن ينقذونه من الموت أو يعيدون إليه روحه من جديد، بل هم عندها سيقفون أمامه عاجزين عن إنقاذه: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٣).

فكم اختطفت الموت ابناً من أبيه، وأباً من بنيه، وأخاً من أخيه، وصديقاً من صديقه وحبيباً من حبيبه وقريباً من قريبه وما استطاع أحد أن يدفع الموت أو يرده عن حبيبٍ أو عزيز.

وكيف يستطيعون إنقاذه من الموت وهم لا يقدرون أصلا على إنقاذ أنفسهم منه حين يحين أجلهم: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٤).

---

(١) سورة النساء الآية (٧٨).

(٢) سورة الأنعام الآية (٦١).

(٣) سورة الواقعة الآية (٨٣ - ٨٧).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٦٨).

والموت هو مصيبة لا ريب بالنسبة لأهل الميت وأحبابه وأصحابه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[١]، ولكنه قد يكون راحة للإنسان من عناء الحياة أو من آلام مرض أو جرح أصابه.

والموت يكون رحمة حقًا وصدقًا لمن كان مثواه الجنة، حيث يكون الموت هو أول راحته الكاملة من كبد الحياة ومشقتها، ولهذا لما وجد رسول الله ﷺ من كرب الموت ما وجد قالت فاطمة: «واكرب أبتاه، فقال رسول الله ﷺ: لا كرب على أبيك بعد اليوم، إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتارك منه أحداً، الموافاة «الملاقاة أو الحضور» يوم القيامة»[٢].

كما أنه قد يكون رحمة كذلك للأحياء إذا ما كان الميت مريضاً بمرض مؤلم لا يرجى شفاؤه، أو كان إنسانًا مؤذيًا يخشاه الناس ولا يستطيعون دفع أذاه، ولذلك كان قتل الغلام راحة لأبويه الصالحين وإلا كان سيرهقهما طغيانًا وكفراً، حسبما ورد في سورة الكهف، حيث حكى القرآن عن الرجل الصالح الذي اتبعه موسى لينهل من علمه، حيث قام بعدة أفعال مستغربة لمن لا يعلم مقاصدها، ومنها أنه قتل غلاماً: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾[٣]، وبعد ذلك فسَّر لموسى عليه السلام ما وراء فعلته تلك بقوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ

(١) سورة المائدة الآية (١٠٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ حديث رقم (١٦٢٧)، وصححه الألباني.

(٣) سورة الكهف الآية (٧٤).

أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾[١] فكان الموت هنا رحمة للأبوين، بل للغلام نفسه؛ لأنه منعه من عقوق والديه حين يبلغ أشده!

وكل ما تقدم ناتج عن الحكمة الحقيقية من خلق الله عز وجل للموت والحياة، ألا وهي ابتلاء الإنسان وإجزاؤه بالجنة أو بالنار، وفق ما جاء بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[٢].

وهو ابتلاء ليس مقصده التهديد والوعيد بقدر ما هو الموعظة والاعتبار كي يدرك الإنسان حقيقة وجوده، ويحدد بنفسه مصيره في الحياة الحقيقية أي في الآخرة: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[٣].

فإن الإنسان إذا أدرك فلسفة الموت في الإسلام سيدرك القيمة الحقيقية للدنيا ويولي وجهه شطر الآخرة فيعمل لها جادًا مخلصاً، حتى إذا وافته منيته كان على أُهبة الاستعداد لدخول الجنة، أسكننا الله وأسكنكم وموتانا جميعاً فيها بغير حساب ولا سابقة عذاب.

كما أن إدراك فلسفة الموت سيجعل الإنسان ينظر إلى الموت نظرة راشدة هادئة، فلا يبالغ في الحزن على موت أحد، ولا يلطم الخدود، ولا يسرف في البكاء والنحيب، بل ستلقاه صابراً حامدًا راضيًا محتسبًا هادئًا مطمئنًا مهما كانت صلته بالميت.

---

(١) سورة الكهف الآية (٨٠-٨١).

(٢) سورة الملك الآية (٢).

(٣) سورة العنكبوت الآية (٦٤).

وقد ورد عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به، إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها، فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ»[1].

فهذه هي ثمرة إدراك حقيقة الموت، ومكافأة من يستقبله بما يتوافق مع حجمه، فهو مصيبة نعم، ولكن كل الناس سيصابون به، إن عاجلاً أو آجلاً.

تلقين المحتضر الشهادة

الشيخ محمد إسماعيل المقدم (٥٧ : ٣)

المرض مطهر أو مذل، وآداب عيادة المريض

د. عمر عبد الكافي (٣٧ : ٨)

إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين

الشيخ محمد راتب النابلسي (٣٢ : ١٤)

(١) أخرجه مسلم: ح (٩١٨).

فلسفة الأدعية والرقى في الإسلام[١]

«الدعاء هو العبادة»[٢]، فهو يحمل في مضمونه كثيراً من المعاني والدلالات الإيمانية التي تؤكد على عبودية الإنسان لربه وتَوكُله عليه، وإيمانه بأنه وحده القادر على أن يجيب مسألته، ويشفي مريضه؛ لأنه فقط الذي يقول للشيء كن فيكون.

ونظرًا لأهمية الدعاء كدلالة على التوحيد والتسليم لله عز وجل فإن من يقصر فيه أو يستغني عنه فإن في إيمانه خللاً، وعليه أن يراجع نفسه، وليعد إلى قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[٣].

استغنى عن من؟!

استغنى عن الذي منحه وأعطاه وستره وعلاه؟! هذا هو الهلاك المحقق، والكبر الذي يهوي بصاحبه إلى جهنم، وعلامته ترك الدعاء، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٤].

وكون الدعاء هو العبادة - كما ورد في الحديث السابق- فهو ليس مجرد أمر هامشي يمكن الاستغناء عنه، بل هو الأمر الذي يحدد حقيقة إيمان الإنسان بربه، ومدى ثقته فيه، وهذه الحقيقة هي الأساس الذي ينبنى عليه أي حديث عن الدعاء، فكونه علامة على التوحيد يعني أن الإنسان يؤمن

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٤/١١/١٧م.
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، الحديث رقم (٣٣٧٢)، وقال: حديث حسن صحيح.
(٣) سورة العلق الآية (٦- ٧).
(٤) سورة غافر الآية (٦٠).

أنــه لا ملجأ له ولا مــلاذ إلا الصمد عز وجل، فيلح في الدعاء، ويســتجمع كل تركيزه فيه، ويخلع عن قلبه كل تعلّق بمخلوق، ويســلم إلى الخالق سبحانه الأمر كله، ويتخير أحب الأوقات إليه ليدعوه فيها، ويتخذ أقرب موضع يحبه- وهو الســجود تجاه القبلة - ويحرص على أن يطيعه ولا يعصيه ما استطاع، ويتقي الله في نفســه وفي أهله وفي الناس، ويأكل طيبًا، ويدعو بخير لا إثم فيه ولا قطيعة رحم ولا استعجال بالإجابة، وغيرها من آداب الدعاء.

ويشترط لإجابة الدعاء -كقاعدة عامة- أن يكون الداعي مؤمنًا بالله مستجيبًا لأوامره منتهيًا عما نهاه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1].

ويستثنى من ذلك دعاء المضطر ودعاء المظلوم، فإنهم حتى لو كانوا غير مؤمنين بالله أصلاً فإن الله سبحانه قد يستجيب لدعواتهم لأنه رب العالمين، سواء المسلم منهم أو الكافر.

تأمل قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة الآية (١٨٦).

(٢) سورة يونس الآية (٢٢- ٢٣).

عندما يحرص العبد على توحيد ربه سبحانه، والخوف منه وحده والتوكل عليه، وتقواه بصفة عامة، فعليه أن يوقن بأن دعاءه قد أجيب؛ لأن هذا هو موعود الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

غير أن إجابة الدعاء لا يشترط أن تكون بمنح الإنسان ما طلبه بعينه، أو تجنيبه ما حاذر منه خصوصًا، فإن الكريم لا يعطي على قدر علم الداعي وأمانيه، بل وفقًا لعلمه سبحانه وإحاطته بكل شيء؛ فالإنسان قد يدعو بالشر دعاءه بالخير وهو لا يدري، وقد يكره شيئًا وهو خير له، وقد يحب شيئًا وهو شر له، بينما العليم الخبير هو أعلم بالأصلح للإنسان؛ ولذلك شرعت صلاة الاستخارة التي خلاصتها تسليم الأمر لله مع اليقين بأنه سيختار الأصلح له حتى لو لم يدرك حكمته في حينها.

وهذا الأمر يتضح من دعاء الاستخارة الذي ينبني كله على تسليم الأمر لله والتوكل عليه، فقد ورد عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا الاستخارة في الأمور كما يعلِّمنا السورة من القرآن: يقول «إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في

(١) سورة التوبة الآية (١١١).

ديني ومعاشـــي وعاقبة أمرى - أو قال: عاجل أمرى وآجله - فاقدره لي ويسِّره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى - أو قال: في عاجل أمرى وآجله - فاصرفه عنى واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني - قال - ويســمى حاجته»[١].

والدعاء يستلزم السعي الجاد الحثيث في الأخذ بالأسباب، لا التكاسل والتواكل المنهي عنه شـــرعًا، والذي يُعد رميًا بالنفس إلى التهلكة وتحديًا لأمـــره ســـبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٢]، فضـــلاً عن أنه يخالف منهج النبي ﷺ الذي كان يأخذ بكل الأســـباب المتاحة له قدر وســـعه مع الاستعانة بالله من خلال الذكر والدعاء، مما لخصه في نصحه إلى أحد الصحابة بقوله: «اعقلها وتوكل»[٣].

وفي هذا الإطار تأتي الرقى الشرعية التي يسترقي بها الناس، فهي تدخل ضمن الأســـباب وليســـت بديلاً عنها مطلقًا، ومـــن يظن مثلاً أن المريض سيشـــفى بالرقية وحدها فهو جاهل بالسنن الإلهية التي أمرت باتباع الأسباب حتى في لحظات الإعجاز، وعلى سبيل المثال كان سبحانه يمكنه أن يرزق السيدة مريم رزقاً واسعًا دون أن يأمرها بهزِّ جذع النخلة، وكان يمكنـــه أن ينصر نبيه المصطفى ﷺ دون أن يخوض كل الغزوات أو يلحق به أي أذى من المشركين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: ح (٦٣٨٢).

(٢) سورة البقرة الآية (١٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، ح (٢٥١٧)، وحسَّنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر، (١/٢٣).

وأخيراً فإن أثر الدعاء والرقية لا يشترط بموجبه أن يمنح الله الإنسان ما يحب ويكفيه ما يحاذر، بل قد يدخر الله له به الأجر في أمور أخرى سواء في الدنيا أو الأخرى، بشرط ألا يقنط من رحمة الله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[١]، ولا يستعجل الإجابة كما ورد في الأحاديث الكثيرة، ومنها: «يُستجاب لأحدكم مالم يَعجَل، يقول: قد دعوت ربي، فلم يستجب لي»[٢].

فقد يبذل الأب – مثلاً- كل ما في وسعه لعلاج ابنه المريض ويلح في الدعاء على ربه –مخلصًا ومنيبًا- بأن يحفظه ثم يموت الابن، فهل يسخط الأب عندئذ أم يوقن أن الله قد اختار له الخير؟؛ فلعلَّ المولى قد اتخذ ابنه شهيداً وأراحه من كثير من الآلام المبرحة، فيرده إليه ليدخله جنات عدن ويلحق به سبعين من أهله بعد ذلك، فأي الأمرين خير؟!

ثم إن الأب حين يدعو ربه في هذا الحال يكون في حكم المضطر الذي لا يجيب دعاءه إلا الله عز وجل، كما جاء في كتابه العزيز: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[٣]، ومعنى ذلك أن دعاءه قد أجيب في كل الأحوال ولكن على الوجه الذي يقدره الله في مصلحة العبد المستغيث بربه، وهو الموت في هذه الحالة لا محالة.

هذه بإيجاز فلسفة الدعاء في الإسلام، والتي على المسلم أن يدركها تمام الإدراك؛ لأن الدعاء هو علامة الإيمان، فمن لا يدعو الله لا يمكن أن يكون مؤمنًا به ولا بجبروته وهيمنته على خلقه ولا بأنه إذا قال للشيء كن فيكون.

---

(١) سورة يوسف الآية (٨٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري: ح (٦٣٤٠) ومسلم: ح (٢٧٣٥).

(٣) سورة النمل الآية (٦٢).

الأدعية والرقى

هذه رقية شرعية قرأت بها على قوارير من الماء ليشربه عبدالله ويغتسل به فشرب منها، واغتسل بما تيسر له، ولكن المرض لم يمهله ليكملها والحمد الله تعالى على كل حال:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[١].

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٢].

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾[٣].

---

(١) سورة الفاتحة الآية (١-٧).

(٢) سورة البقرة الآية (١-٥).

(٣) سورة البقرة الآية (١٦٣-١٦٥).

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1].

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[2].

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ۗ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٥-٢٥٧).

(٢) سورة آل عمران الآية (١-٥).

(٣) سورة الأعراف الآية (٥٤-٥٦).

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾(١).

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾(٢).

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾(٣).

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(٤).

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ

---

(١) سورة الأعراف الآية (١١٧-١١٩).

(٢) سورة يونس الآية (٨٠-٨٢).

(٣) سورة طه الآية (٦٥-٦٩).

(٤) سورة المؤمنون الآية (١١٥-١١٨).

فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[2].

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3].

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[4].

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[5].

---

(١) سورة الصافات الآية (١-١٥).

(٢) سورة الرحمن الآية (٣١-٣٤).

(٣) سورة الحشر الآية (٢١-٢٤).

(٤) سورة الملك الآية (٣-٤).

(٥) سورة القلم الآية (٥١-٥٢).

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾[١].

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[٢].

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[٣].

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾[٤].

- اللهم رب الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً «سبع مرات».
- أسال الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك «سبع مرات».
- أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون «ثلاث مرات».
- بسم الله الشافي اللهم اشف عبدك وصدق رسولك.

---

(١) سورة الجن الآية (١-٢).
(٢) سورة الكافرون الآية (١-٦).
(٣) سورة الفلق الآية (١-٥).
(٤) سورة الناس الآية (١-٦).

صور استجابة الدعاء

كنت في أشد مراحل مرض الحبيب عبدالله رحمه الله يتبادر إلى ذهني أحيانا هذا التساؤل: «لم لا نطرق هذا الباب إلّا في لحظات الضعف والانكسار. وعندما نشعر بالهموم والاندحار؟ وتضيق بنا الدنيا بما رحبت؟ وتثقل أرواحنا بما حملت؟ أليس هو الرب المعبود، الكريم المقصود، القريب من عباده، الرحمن الرحيم بمخلوقاته، بلى، وهو الذي تفضَّل علينا بقوله تعالى: «فإني قريب..» وذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1].

وتدل هذه الآية الكريمة على أن الدعاء عبادة من أعظم العبادات. والقرآن الكريم قد اشتمل على أربعة عشر سؤالاً، كلها تبدأ بـ «يسألونك» ثم يأتي الجواب بـ «قل» أو «فقل»، إلا هذا الموضع الوحيد، فإنه بدأ بهذه الجملة الشرطية: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾، وجاء جواب الشرط من دون الفعل: قل، بل قال: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾، تنبيهاً على شدة قرب العبد من ربه في مقام الدعاء!. وهو من أبلغ ما يكون في الجواب عن سبب النزول. لو صحّ. حينما سئل النبي ﷺ: «أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟».

وقوله: ﴿ إِذَا دَعَانِ ﴾ فيها إشارة إلى أن من شرط إجابة الدعاء أن يكون الداعي حاضر القلب حينما يدعو ربه، وصادقاً في دعوة مولاه،

(١) سورة البقرة الآية (١٨٦).

بحيث يكون موقناً بأن الله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

ومن هدايات هذه القاعدة ودلالتها: أن الله تعالى يجيب دعوة الداع إذا دعاه؛ ولا يلزم من ذلك أن يجيب مسألته؛ لأنه تعالى قد يؤخر إجابة المسألة ليزداد الداعي تضرعاً إلى الله، وإلحاحاً في الدعاء؛ فيقوى بذلك إيمانه، ويزداد ثوابه؛ أو يدخره له يوم القيامة؛ أو يدفع عنه من السوء ما هو أعظم فائدة للداعي؛ فيا لها من نعمة لا يعرف قدرها إلا الموفق، والذي يرى ما وقع فيه كثير من جهال المسلمين من التوسل بالأولياء والصالحين، أو ظنهم أن الدعاء لا يقبل إلا من طريق الولي الفلاني أو السيد الفلاني سينكشف له مقدار الخلط واللبس الذي وقع في هذا الشأن.

يقول ابن القيم رحمه الله: «وقد أجمع العارفون أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك»[1]، فإذا كان كل خير فأصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجوء والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضلّه عن المفتاح بقي باب الخير مرتجا دونه، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكني أحمل همَّ الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه».

(١) مدارج المساكين: (١/٤١٥).

فما أجمل العبد وهو يظهر فقره وعبوديته بدعاء مولاه، والانكسار بين يدي خالقه ورازقه، ومَنْ ناصيته بيده! وما أسعده حينما يهتبل أوقات الإجابة ليناجي ربه، ويسأله من واسع فضله في خيري الدنيا والآخرة! نسأل الله تعالى أن يرزقنا صدق اللجوء إليه، والانطراح بين يديه، وكمال التضرع له، وقوة التوكل عليه، وأن لا يخيب رجاءنا فيه، ولا يردنا خائبين بسبب ذنوبنا وتقصيرنا، فقرب الله سبحانه وتعالى منا كبشر يفوق التصور، ويتضح ذلك من الآية المباركة ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[1].

شروط استجابة الدعاء:

١- ينبغي لمن يدعو أن يسعى لتطهير قلبه وروحه، وأن يرجع إلى ربه، وأن يقتدي بحياة قادة البشرية أنبياء الله ورسله.

٢- أن يسعى الداعي إلى تطهير أمواله من كل غصب وظلم، وأن لا يكون طعامه من حرام. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْتَجَابَ دُعاؤُهُ فَلْيَطِبْ مَطْعَمَهُ وَمَكْسَبَهُ» أي أن يكون الإنسان مجتنباً لأكل الحرام، فأكل الحرام حائل بينه وبين إجابة دعوته، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين» ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب، يارب: ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟».

---

(١) سورة ق جزء من الآية (١٦).

٣- أن لا يفترق الدعاء عن الجهاد المستمرّ ضدّ كل ألوان الفساد؛ لأنّ الله لا يستجيب ممن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلّطَنَّ اللهُ شِرَارَكُمْ عَلَى خِيَارِكُمْ فَيَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ».

صور استجابة الدعاء:

وإذا تمت هذه الشروط ولم يستجب الله عز وجل فإنه إما أنه يدفع عنه من السوء ما هو أعظم، وإما أن يدخرها له يوم القيامة فيوفيه الأجر أكثر فأكثر، ومنع الجواب لحكمة، فيعطى الأجر مرتين مرة على دعائه ومرة على مصيبته بعدم الإجابة فيدخر له عند الله عز وجل ما هو أعظم وأكمل.

ولا يستبطئ الإنسان الإجابة، فإن هذا من أسباب منعها، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل»، قالوا: كيف يعجل يا رسول الله؟ قال: «يقول: دعوت ودعوت ودعوت فلم يستجب لي»، فلا ينبغي للإنسان أن يستبطىء الإجابة فيستحسر عن الدعاء. ولو لم يكن من الدعاء إلا أنه عبادة لله سبحانه وتعالى لكان جديراً بالمرء أن يحرص عليه، وتلك كانت قناعة عبدالله حتى لقي ربه راضياً بقضائه.

نص الرسالة الشاملة للرقية الشرعية لأبرز المشايخ

هكذا وردتني خلال علاج عبدالله، أضعها كما وردتني حرفياً بين يدي القارئ الكريم للاستفادة، وأسأل الله تعالى أن يثيب من جمعها ويسرها للمسلمين الذين يحتاجونها، وأن يثيب المشايخ الفضلاء الذين أعدوا مادتها وسجلوها بشكل سهل ميسر، وقد جربت الدخول على بعضها فألفيتها ممتازة من حيث جمع الأدعية الصحيحة والمستمدة من كتب الله سبحانه والسنة الصحيحة في إطار جميل بأصوات شجية وقراءات ندية أحسبها من قلوب مخلصة هي مظنة الإجابة بإذن الله وتوفيقه ورحمته.

التعليمات:

ضع سماعة الرأس وأسترخي واسمعها مره أو مرتين (الرقية الشرعية) بإذن الله سوف يتغير الحال الى الأحسن..

«صوت خاشع ومريح»

http://ia600908.us.archive.org/5/items/allrqe_h/allrqe_h.mp3

مدة المقطع ٣٩ : ٥٩ دقيقة..

لاتفوت على نفسك هذا العمل الصالح...

الرقية الشرعية، بمختلف الاصوات والقراء mp3 ll اللهم اجعله صدقة جارية عني وعن والدي ووالدتي وذريتي وكل من نشرها.

الرقية الشرعية بصوت ماهر المعيقلي (٥٩ : ١٠ : ١)

http://v.ht/27881E-99gto

الرقية الشرعية بصوت أحمد العجمي (٢٨ : ٠٢ : ١)
http://v.ht/27881E-99jNh

الرقية الشرعية بصوت سعد الغامدي (٣٠ : ٠٢ : ١)
http://v.ht/27881E-99erR

الرقية الشرعية بصوت مشاري العفاسي (٣٨ : ١٣ : ١)
http://v.ht/27881E-99Lex

الرقية الشرعية بصوت ابو العالية الجوراني (١٨ : ٠٥ : ١)
http://v.ht/27881E-99x0E

الرقيه الشرعية بصوت محمد المحيسني (٤٨ : ٢٤ : ١)
http://v.ht/27881E-99woj

الرقية الشرعية بصوت ناصر القطامي (٥٠ : ١٦ : ١)
http://v.ht/27881E-99pzn

الرقيه الشرعية بصوت خالد الجليل (٠٧ : ٣٤)
http://v.ht/27881E-99Djg

الرقيه الشرعية بصوت فارس عباد (٥١ : ٠١ : ١)
http://v.ht/27881E-99bk4

الرقية الشرعية بصوت ياسر الدوسري (٣٠ : ٠٠ : ١)
http://v.ht/27881E-99qVq

الرقية الشرعية بصوت أحمد البليهد (٢٨ : ٣٢)

http://v.ht/27881E3-99Q1

الرقية الشرعية بصوت خالد القحطاني (٤٠ : ١١ : ١)

http://v.ht/27881E-99knS

الرقية الشرعية بصوت نبيل العوضي

http://v.ht/27881E5-99JL

الرجاء لمن لديهم قروبات التكرم بتمريرها للفائدة.

جزاكم الله خيراً.

ومن الجدير بالذكر تقاطر كثير من الأدعية إلينا والتي كانت تحمل الدعاء للمرحوم بإذن الله عبدالله من خلال الواتس آب وذلك في كل من مرحلة مرضه ومرحلة وفاته، تدعو له بالشفاء والرحمة ولنا بالصبر والسلوان، ولا مجال لسردها هنا لكثرتها بحمد الله تعالى وتكرار بعض مشتملاتها.

وعلى كل حال فالعبرة بالإخلاص بالدعاء ولو كان قصيراً بسيطاً، وليست بالضرورة بطول الدعاء، وكثرة السجع المتكلف فيه.

نسأل الله الإجابة، كما نسأله القبول والأجر والثواب.

ثلاث عشرة رقية شرعية كاملة

رسالة أم عبدالله إلى أحبابها
وأحباب عبدالله تسألهم الدعاء له

الحمد لله

أحبائي وأحبـــاء عبدالله صاحب القلب الطيب، القلب الأبيض، القلب النظيف الذي لم أعهد عليه وأنا أمه للأربع والعشرين سنه السابقة أن زعل من أحد أو شـــال بقلبه على أحد، ربي يرزقه بطيبته وأفضل إن شاء الله.

أطلب منكم الدعاء والإلحاح به علي الله

هذا الدعاء ومنك الإجابة يا رب العالمين

يارب يا حي يا قيوم يا عظيم يا جبار يا كبير يا متعال يا قدير يا بديع الســموات والأرض هذا «ابني عبدالله» عبد من عبادك الضعفاء الفقراء إليك أصابته الضراء فصبر وصبرنا وحمدناك وآمنا بما قضيته له،، اللهم إنه تحت مشـــيئتك ورحمتك، اللهم يا من شـــفيت أيـــوب من بلواه ورددت موسى لأمه وأنجيت يونس في بطن الحوت وجعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم اشـــفِ عبدالله مما حلّ به. اللهم إنهم زعموا «قدراً قرروه» اللهم لـــك الأقدار ولك القدرة والعظمـــة فالطف به وأرفع البأس عنه واقض يا الله على الورم وتوابعه حتى لا يبقى ولا يعود أبداً ولا يترك أثراً.

اللهم يا فارج الهم يا كاشف الغم يا مجيب دعوة المضطرين فرّج همي واكشـــف غمّي وأجب دعوتي وارحم ضعفـــي وقلة حيلتي وارزقني فرحة بشفاء عبدالله من حيث لا أحتسب «لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً».

اللهم إني أســـألك من عظيم لطفك وكرمـــك ورحمتك وعطاءك أن تشفي عبدالله عبدك الفقير إليك الضعيف ابن أمتك الضعيفة الفقيرة إليك إنك على كل شـــيء قدير أنـــت ثقتنا ورجاءنا نفـــوض أمرنا إليك فألطف به وبنا ويسّر علاجه واقض على دائه وانفعه بدوائه.

اللهم نســـألك باسمك العظيم الأعظم الكريم الأكرم وبلا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أن تعجل بشفائه اللهم عجل بشفائه اللهم عجل بشـــفائه، يا من أمره بين الكاف والنون يـــا مقلب الأمور ومدبرها دبره بأحسن التدابير وسخر له عبادك الصالحين واجعله من الصابرين واجعل ما أصابه رفعة وقوة له وارزقه فرجاً جميلاً وعافية ما بعدها سقما يارب هو عبدك الفقير وأنت الوهاب الكريم هب له العافية والشفاء من كل داء يا سميع يا قريب يا مجيب الدعاء يارب.

اللهم ارزقه الثبات والســـكينة والطمأنينة والرضى وبلطفك يا إلهي الطف به وبودادِك يارب ســـخر له جنودك وبجبروتك يا رب أجبر ضعفه وبحولك وقوتك يارب اكشف ضره وعافه وأعف عنه.

اللهم اربط على قلبه واشـــرح صدره وارزقه فرحة الشفاء والسلامة أنت ولي ذلك والقادر عليه اللهم ياذا الاسم الأعظم.

إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنّان المنّان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إن عبدالله الفقير ابن امتك الفقيرة المســـكينة المستجيرة بك أســـألك يا الله أن تجبر كسرنا وتشفي ابننا وتُفرِح قلبه وقلوبنا.

اللهم وكلتك نفسي وسائر أمري وما أهمني فتولني وأنت حسبي وكفى بك حسيباً واقض اللهم مطلبي وأجب دعوتي اللهم أغثني اللهم أغثني مما أتعبني اللهم أغثني بأفضل مما أتوقع واكفني مما أخاف وأحذر وأنت قلت في كتابك الكريم «أليس الله بكاف عبده».

اللهم يا من أجاب نوحاً حين ناداه.

ويامن كشف الضر عن أيوب في بلواه، ويامن سمع يعقوب في شكواه، وردَّ يوسف وأخاه، وبرحمته ارتد بصيراً وعادتٍ الى النور عيناه.

اشف عبدالله وأعطه مبتغاه وكن معه في سره ونجواه وفرّج همه واكشف كربه واجعل له من كل ضيق مخرجاً.

استودعك يارب عبدالله يامن لا تضيع عنده الودائع استودعتك يارب مخه وقلبه وعظمه وسمعه وبصره ولسانه وأعضاءه وجوارحه وجميع أعضائه وذاكرته وقوته الجسدية والنفسية.

فاحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه وأعوذ بعظمتك أن يُغتال من تحته.

ربي سخر له ملائكة السماء تحفظه وتحرسه واجعل البركة تجري على يد الأطباء والمعالجين والدواء واحفظه من الألم والخطر، وأسألك أن تقضي على الورم وتنزع كل خليه فيه بحولك وبقدرتك وتمسح عليه بيمينك الشافية فلا يعود أبداً ولا يترك أثراً أنت ولي ذلك والقادر عليه سبحانك.

اللهــم أرنا من عجائب قدرتك ما يفرح قلبنا ويدهش الأطباء بحولك وقوتك.

اللهم سُــر خاطري بشفاء عبدالله ومتعني ببره وبذريته إنك على كل شــيء قدير وأنت القائل في كتابك الكريم «فمــا ظنكم برب العالمين»[1] يارب أنت ثقتنا ورجاءنا ولا نظن إلا الخير بك ومنك، فأعطنا ولا تحرمنا وأجب دعاءنا ولا تردنا خائبين أنت وليّ ذلك والقادر عليه سبحانك.

اللهم يا لطيفاً بنا،

يا واسع الفضل والرحمات،

يا عظيم العطايا والهبات،

اللهم كما أفرحت والديه بولادته سليماً،

فأتمم لهم فرحتهم به وبذريته،

لا مكافئ لما مننت به،

ولكن فضلك لا غنى عنه،

تسعنا رحمتك وفضائلك، يا واسع الصفات العليا وكبير الأسماء الحسنى.

اللهم أغث قلوباً أقلقها الغم،

وأكباداً أحرقها الكرب،

وأنزل شفاءك الذي لايبقي داءً.

---

(١) سورة الصافات الآية (٨٧).

علاج المرضى بالصدقات[١]

تعتبر الصدقة – وفق ما دلت عليه الآيات القرآنية الكريمة وصحيح السنة النبوية الشريفة– من أهم وسائل القربة إلى الله تعالى؛ ولذا فإن فضلها يمتد ليشمل فتح العديد من أبواب الخير على المتصدق وإعانته على قضاء حوائجه، فهي سبب لدخول الجنة، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أي أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة».

وهي باب من أبواب تكفير السيئات، مصداقًا لقول النبي ﷺ: «فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة»[٢].

وهي سبب لإطفاء غضب الرب، مصداقاً لحديث النبي ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ»[٣].

وهي تقي من عذاب النار وحرَّ القبور، كما أخبرنا النبي ﷺ في قوله لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها: «يا عائشة استتري من النار ولو بشق

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٤/١١/٣٠م.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في باب الزكاة.

(٣) أخرجه الترمذي: ح (٦٦٤).

تمرة، فإنها تسدُّ من الجائع مسدِّها من الشبعان»[١].

وهي تزكية للنفس وإسعاد للفقراء والمرضى والمساكين، انظر إلى قوله سبحانه عن النار: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[٢].

كما أن الصدقة فيها دفع للبلاء وبركة في المال، والعامل عليها له أجر المجاهدين في سبيل الله، والعديد من الفوائد والثمرات التي دلت عليها كثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

ولعل مرجع ذلك ما تحمله الصدقة من معانٍ سامية ودلالات راقية على وقاية المتصدق لشحّ نفسه، وتوكله على الله ربه، ورحمته بالناس، بل وبالطيور والبهائم كذلك، مصداقًا للحديث الذي رواه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[٣].

كما تمتد رحمة المتصدق أيضاً - وفق ما أجازه جمهور الأئمة- إلى غير المسلمين، استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٥]، وكذلك

(١) أخرجه أحمد في المسند: ح (٢٤٥٠١).
(٢) سورة الليل الآية (١٧-٢١).
(٣) أخرجه البخاري: ح (٢٣٢٠)، ومسلم: ح (١٥٥٣).
(٤) سورة الممتحنة الآية (٨).
(٥) سورة الإنسان الآية (٨).

لقولــه ﷺ: «في كل كبدٍ رطبــةٍ أجر»[١]، خاصة وأن ذلك قد يكون تأليفًا لقلوبهم ودعوة عملية لهم للدخول في الإســلام، كما أن إعطاء الصدقة هو -بلا شــك- من أعمال البر التــي تحث عليها الآية الكريمة، وإطعام الطعــام هو من أهــم الصدقات بصفة عامة، ولذا أفــردت الآية الثانية الحديــث له باعتبار أن الجــوع هو من أهم احتياجات الإنســان بصفة عامة؛ إلى جانب الأمن، وفقًا لما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾[٢].

والمتصدق قد يكون أحوج إلى المال من المتصدق عليه؛ فالثاني يستفيد مــن الصدقة في دنيــاه فقط غالبًا، أمــا الأول فهــو - إذا أخلص لربه وكان مالــه مــن حلال- فينتفع بصدقته في دنيــاه وأخراه لا محالة، ومن هنــا فإنه يفزع إليها خاصة في وقت الشــدة كإصابتــه أو أحد من أهله بمرضٍ ما، لاســيما وهناك حديث صحيح يوجه المســلمين إلى أن يلجأوا للصدقــة مداواة لمرضاهم، وهو قولــه ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة»[٣]، وحديث صحيح آخر يؤكد على أن «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»[٤].

ولعل المسلم المتيقن من أثر الصدقات في دفع البلاء ينشأ لديه دافع قوي لتقديم المساعدات بأشكالها المالية والعينية إلى المحتاجين المعوزين أياً كانت دياناتهم وانتماءاتهم العرقية والجغرافية.

---

(١) أخرجه البخاري: ح (٢٣٦٣)، ومسلم: ح (٢٢٤٤).

(٢) سورة قريش الآية (١-٤).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير: ح (١٠١٩٦)، وحسَّنه الألباني، صحيح الجامع، الحديث رقم (٣٣٥٨).

(٤) جزء من حديث رواه الطبراني في الكبير: ح (٨٠١٤) وغيره، وصححه الألباني.

ومن هنا فإنني لم أجد حرجاً - والحمد لله- في أن أعطي الصدقات للمتشـــردين والفقراء في الشـــوارع المجاورة للمستشفى التي كان يُعالَج فيها عبدالله رحمه الله في كبرى المدن بالولايات المتحدة الأمريكية بنية إهداء ثوابها إليه، وهنا تأتي المفارقات الشـــديدة في النظام الرأسمالي الذي يجمع المليونير والملياردير مع المشرد في شارع واحد بل في رصيف واحد ينام فيه المشرد خارج المنزل والغني في داخله!

بل إن نزعة الخير وبذل المعروف وتأوَّل الحديث الشـــريف «وفي كل ذات كبـــد رطبة أجر» كان دافعًا كافيًا إلى الحرص على جمع كل الفتات والزوائد من الخبز، والذهاب بشـــكل مخصوص إلى حيث تعيش الطيور الداجنة لإطعامها وإشباعها.

وهكذا تنشـــأ الصدقات وفضلها حافزًا إيجابياً يتجاوز إطعام البشر إلـــى إطعام الطيور والبهائم، وكيف لا ونبي الإســـلام ﷺ يخبرنا أنه قد «دخلـــت امرأة النار في هرة حبســـتها فلم تطعمها ولـــم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[1]، بينما «غُفِرَ لامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، قَـــالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا فَنَزَعَتْ لَهُ مِن الْمَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ»[2].

يـــا له من دين عظيم... ويا له مـــن رب كريم رحيم بخلقه، كل خلقه، سواء كانوا بشرًا أو غير ذلك.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري: ح (٣٤٨٢)، ومسلم: ح (٩٠٤).
(٢) أخرجه البخاري: ح (٣٣٢١).

اعذرني حينها يا عبدالله الحبيب ولكن إلى حين[١]

يـــا الله.... يا ألطاف اللـــه.... أتراني يا عبدالله بعد حبي لك بما لا احتاج معه إلى تفصيل أسترخصك هكذا؟

كـــم مررت يـــا عبد الله بهذه الآيـــة، ولم أستشـــعرها جيداً إلا حين استشـــعرت موقفـــي معك حينها، لقـــد قال ربي وربـــك ورب العالمين يا عبداللـــه: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾[٢].

هكذا لا يسأل حميم حميماً.... يذهل عنه، رغم أنه بدأ بالولد وقدمه على الزوج والإخوان، بل على الفصيلة كلها.... وأي فصيلة: هي التي توفر له الأمن والأمان حين تؤويه! بل لن يستطيع كل من في الآخرة أن ينجيه.

اعتـــذر إليك فســـأذهل حينها عـــن والدتي ووالدي، وعـــن والدتك وأخواتك؛ لأنهم هم الآخرون في شـــغل عني، واستمع إن شئت إلى قوله ســـبحانه: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[٣].

يـــا الله... كم هو عصيب ذلك الموقف، وكـــم هو عجيب وصفه؛!.... الموقف الذي ســـيجعلك أنت كذلـــك تذهل عني وعـــن والدتك الحبيبة وأخواتك المشفقات عليك.

---

(١) تم نشر هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٤/١١/١م.

(٢) سورة المعارج الآية (١٠-١٤).

(٣) سورة عبس الآية (٣٣-٣٧).

ولكن عزائي أن هذا الموقف - وإن طال- في حساب الله تعالى غير حسابنا، وإن اشتدت كربته إلا أنه سينتهي إلى يوم الحساب بعد موقف الحشر، ثم كلِّي أمل بعدها أن نلتقي بك من جديد كما وعدنا ربنا سبحانه في بيت الحمد.

ثمة بشارة أخرى تدفعني للاطمئنان إلى لقياك بعد ذلك الموقف العصيب وهي وعد عظيم من الله سبحانه بالجنة دار الكرامة التي أعدها الله سبحانه لعباده المؤمنين، ففيها من السعادة ما لا يخطر على بال بشر، ولا يبلغه خيال أحد، فمن دخلها فقد سعد السعادة الأبدية، وفاز فوزاً عظيماً.

ومن هذه السعادة التي تكفل الله سبحانه بها لعبادة المؤمنين أن يجمع شمل الأسرة الواحدة: الوالدين والأولاد بعد دخولهم الجنة جميعاً برحمة الله سبحانه، وشفاعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فهذا وعده سبحانه في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٍ ﴾[1] قال ابن عباس ﷺ في تفسير هذه الآية:

إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقرَّ بهم عينه، ثم قرأ هذه الآية[2].

---

(١) سورة الطور الآية (٢١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (٣٣١٦/١٠) رقم (١٨٦٨٣) وابن أبي الدنيا في العيال برقم (٣٥٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٤٩٠).

وقد توسَّـــع الطبري في تفســـيره لهذا الوعد الصادق[١] ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾[٢].

وقولـــه تعالـــى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ﴾[٣] قـــال الحافظ ابن كثير: أي يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء، والأهلين والأبناء من هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين: لتقرَّ أعينهم بهم، حتى أنه ترفع درجة الأدنـــى إلى درجة الأعلى، من غير تنقيص لذلك الأعلى في درجته بل امتناناً من الله وإحساناً[٤].

وهذا مـــا أكدته اللجنة الدائمة للإفتاء فـــي فتواها رقم «٤٠٩ / ٢» في معرض ردها على السؤال الموجه إليها بهذا الخصوص، فلتراجع في مظانِّها.

فإن اعتذرت إليك يا عبد الله في البداية فكلي أمل أن نلتقيك جميعاً فـــي النهايـــة، كيف لا وكما أردد دائماً عن حســـن ظني بـــل يقيني بالله ســـبحانه ووعده الـــذي لا يخلف، وهذا ما يجعلني والله العظيم أشـــتاق إليك وإلى مجلسنا في بيت الحمد إن شاء الله بفضله ومنَّه ورحمته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والدك المحب عبد المحسن الجار الله الخرافي

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/٥١٠)، (٢٠/٦٤١)، (٢١/٥٧٩).

(٢) سورة الرعد الآية (٢٣).

(٣) سورة الزخرف الآية (٧٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم: (٤/٤٥١).

ما ينبغي لمن يرافق المريض أو يزوره

إن من فوائد المرض بشكل عام طهارة القلب من الأمراض، فإن الصحة تدعو إلى الأشر والبطر والإعجاب بالنفس لما يتمتع به المرء من نشاط وقوة وهدوء بال، فإذا قيده المرض وتجاذبته الآلام انكسرت نفسه ورقَّ قلبه وتطهر من الأخلاق الذميمة والصفات القبيحة، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء»[1].

إن المرض حالة إنسانية يستوي فيها الجميع المسلم وغير المسلم، والمريض يحتاج إلى من يزوره ويخفف عنه ويشدّ من أزره ويطمئنه؛ ولهذا كان الرسول ﷺ لا يفرق في توجيهاته لأصحابه بين المريض المسلم وغير المسلم، فكثير من الأحاديث والأوامر صدرت بلفظ «عودوا المريض» بدون تحديد لديانته ولا لجنسه، ومن يتأمل فعله يجده أنه قد زار المسلم وغير المسلم، ومن ذلك: أنه ﷺ لمّا مرض عمه أبو طالب ولم يكن مسلمًا، كان محمد ﷺ عنده، حتى إنه قال له حين حضره الموت: «قل لا إله إلا الله أشفع لك بها يوم القيامة». قال: يا ابن أخي لولا أن تعيرني قريش لأقررت عينيك بها

(١) زاد المعاد: (١٧٩/٤)، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ٢٧، سنة ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

فنزلت: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[١][٢].

وزار ﷺ غلامًا صغيرًا يهوديًّا في مرض موته، ويقص علينا أنس بن مالك ما دار قائلاً: «كان غُلامٌ يَهودِيٌّ يَخدِمُ النبيّ ﷺ فمَرِض، فأتاه النبيُّ ﷺ يَعودُه، فقعَد عِندَ رَأسِه، فقال له: أسلِمْ. فنظَر إلى أبيه وهو عندَه، فقال له: أطِعْ أبا القاسم ﷺ، فأسلَم، فخرَج النبيُّ ﷺ وهو يقولُ: الحمدُ للهِ الذي أنقَذه من النارِ»[٣].

إن زيارة المريض مرغب فيها شرعاً، وهي من حقوق المسلم على أخيه المسلم، روى الترمذي وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً»[٤]. وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست و«ذكر منها»:...وإذا مرض فعده»[٥] ومن هذه الآداب: اختيار الوقت المناسب للزيارة:

- وأن يخفف الجلوس،
- وأن يغض البصر،
- وأن يقلل السؤال،
- وأن يظهر الاهتمام به،
- وأن يخلص له في الدعاء.

(١) سورة القصص الآية (٥٦).
(٢) أخرجه مسلم: ح (٢٥).
(٣) رواه البخاري: ح (١٣٥٦).
(٤) أخرجه الترمذي: ح (٢٠٠٨) وابن ماجه: ح (١٤٤٣).
(٥) أخرجه مسلم: ح (٢١٦٢).

ومما جاءت به السنة في الدعاء للمريض ما رواه ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مراراً: أسال الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله من ذلك المرض»، وأن يوسَّع له في الأمل كما ورد عن النبي ﷺ من قوله للمريض: «لا بأس[١]، طهور إن شاء الله[٢]»، ويسليه بكلام طيب، ويشير عليه بالصبر لما فيه من جزيل الأجر، ويحذره من الجزع لما فيه من الوزر.

إن مُرافقةُ المَريض من أزكى الأعمالِ عند اللهِ تعالى؛ لأنَّها مِنَ الإحسانِ والقيامِ على حوائِجِهِ وشُؤونِهِ.

و لَمَّا مَرِضَت رقية بِنتُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، أمَرَ النبيُّ- صلَّى الله عليه وسلَّم- زوجَها عُثمانَ بنَ عَفَّان- رَضِيَ الله عنه- أن يَبقَى عِندها؛ ليُمرضها ولَمَّا بَقِيَ عُثمانُ بِمَرضِ زَوجتِهِ، تَخَلَّفَ عن معركةِ بَدر، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ[٣].

وهنا ملمح مهم يجدر بنا التذكير به وهو أنه: لا بُدَّ أن يَتَّصِفَ المُرافِقُ للمَريضِ بالصَّبْرِ، لِمَا يَتَكَبَّدُه مِن مَشَقَّةٍ في سَهَرِهِ، ومُراقبتِهِ، ومُلاطفتِهِ للمَريض، وأن يكونَ رحيمًا به، ويَنظُرَ في مَصالِحِهِ، وله أجرُ وثَوابُ الإحسانِ إليه.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ح (٢١٣٨)، وأبو داود: ح (٣١٠٦)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري: ح (٣٦١٦)، (٥٦٥٦).

(٣) أخرجه البخاري: ح (٣١٣٠).

أجر مرافق المريض:

إن من أزكـــى الأعمال عند الله تعالى، وأحبها إلى الرحمن، وأعلاها شـــرفاً، وأكرمها مروءةً، الإحســـانَ إلى الضعيف والمريـــض والقيامَ على حوائجهم وشؤونهم.

ومرافق المريض لابد أن يتصف بالصبر، لما يتكبده من مشقة في سهره، ومراقبتـــه وملاطفته للمريض، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] ولابـــد أن يكون رحيماً، وقد قـــال النبي ﷺ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ[2].

وعلى مرافق المريض ألا ينســـى الكلمة الطيبة التي يحتاجها المريض كما الدواء، فلا يقول إلا خيراً. وفي السابق اعتنى الوقف الإسلامي بهذه الحالة النفســـية للمريض حيث أوقف المسلمون على وقف مؤنس الغرباء الذي اختص برفع الروح المعنوية للمريض كما فصلنا في موضع آخر من هذا الكتاب.

استحباب عدم الإطالة عند المريض:

زيارة المريض سُـــنة نبوية تؤلف القلوب، وتُخفف الآلام والأوجاع عن المريض، وتُسهم في تآلف الأنفس، وتعمل على مدِّ جسور الألفة والمحبة، ونشر معاني التعاطف والمواساة، وتقوية الروابط بين أبناء المجتمع.

---

(١) سورة الزمر الآية (١٠).

(٢) أخرجه أبو داود: ح (٤٩٤١)، والترمذي: ح (١٩٢٤) وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

ولكن في زماننا هذا بتنا نرى سلبيات لم نكن نعتادها، فبعض الناس يكون ثقيلاً في الزيارة دون أن يشعر ، وبحسن نية فيطيل الجلوس عند المريض ، وهذا مخالف لهدي الإسلام في عيادة المريض بل في الزيارة عموماً ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا»[1].

ومن المرضى من يكون مغباً يعاد يوماً فيوماً، ومعنى الغب: قيل هو من «غب الإبل» وذلك إذا كانت تشرب يوماً وتترك يوماً، فقوله: فمنهم مغباً عده، أي: عده يوماً واتركه يوماً، بعضهم يريدك أن تطيل عنده وتزوره كل يوم، وبعضهم قد يمل ويتعب ويتأثر من كثرة الزيارة والإطالة.

إن زيارة المريض تعد عاملاً من عوامل شفائه حيث يروُح بها عن المريض وفيها تسلية ومواساة له، يستشعر من خلالها المريض منزلته عند الناس، نتيجة اهتمامهم به، مما يؤدى به إلى التفاؤل وارتفاع معنوياته ومقاومته للمرض وعدم استسلامه له، ويُولي العلم الحديث أمر الراحة النفسية للمريض عناية فائقة حيث يعد الأطباء الاستقرار النفسي للمريض بأنه أول مراحل الشفاء، ولا يجدي العلاج مع القنوط واليأس مهما بلغ قوته.

فضلاً عن اشتمالها على فوائد للعائد، فهي تُذكِّره بِنِعَم الله عليه، حينما يرى من بلاه الله بالمرض فيستشعر نعمة الصحة ويتذكر ويشكر ربه ومن ثم يبادر بالتوبة إن كان مسيئاً.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ح (٨٠٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ح (٣٥٦٨).

والسنة أن يتكلم العائد مع المريض بما يسليه ويهوِّن عليه مصيبة مرضه، وأن يوصيه بالصبر، وأن يطيِّب نفسه بالكلمات الطيبة، وأن يذكره بأن المرض يكفر للذنوب إذا صبر المريض من غير سخط.

داوو مرضاكم بالصدقة
الشيخ محمد العوضي (٢ : ٥٠)

فضل زيارة المريض
الشيخ محمد حسان (٢ : ١٥)

الصبر لأهل المريض
الشيخ صالح المغامسي (٣ : ٤٤)

علمتني الرحلة إلى بيت الحمد[١]

علمتني الرحلة مع عبدالله إلى بيت الحمد أن:

الأملُ؛ صديقٌ رائع، رُبّما يَغيبُ،
لَكنّهُ لا يَخونُ أبداً
فما أجمل النفوس التي تضع أملها بالله دائماً..
لتعيش الصدق والوفاء بحبه وأمانه..
وتكسب الخير كله

كما همست في أذني قائلة لي:

«عندما تظن بأن
بعد الشقاء سعادة
وبعد دموعك ابتسامة...
فقد أديت أمراً عظيماً يسمى
حسن الظن بالله».

كما ذكرتني بقول الشيخ العلامة محمد صالح العثيمين رحمه الله:

من انتظر الفرج أثيب على ذلك الانتظار
لأن انتظار الفرج حسن ظن بالله
وحسن الظن بالله عمل صالح يثاب عليه الإنسان.

---

(١) انتقاءات مما وردني من رسائل في إحدى وسائل التواصل (الواتسب) خلال فترة مرض الحبيب عبدالله وما بعد وفاته رحمه الله.

كما بصرتني بآيةٍ نمرُّ عليها كثيراً دون أن نلمس أحد مغازيها الأساسية:

قال تعالى فلما جاء البشير ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾[١].

وقد أورد ابن كثير في تفسير قول السدي: «إنما جاء به لأنه هو الذي جاء - والمقصود يهوذا بن يعقوب - بالقميص وهو ملطخ بدم كذب، فأراد أن يغسل ذلك بهذا، فجاء بالقميص فألقاه على وجه أبيه فرجع بصيراً.

لذا ربما ترى شيئاً فيكون سبب حزنك،

ولكن سرعان ما ترى الشيء نفسه سبباً لسعادتك وما ذلك على الله بعزيز.

حين تنادي يارب

أبشر لن تخيب

إما ملبى لك النداء

أو مدفوع عنك البلاء

أو أجر مكتوب في الخفاء»[٢].

فليشـــرق صباحُنا و مســـاؤنا حمداً بأن لنا رباً اذا أُغلقتُ الأبواب لا يُغلق بابه.. وإذا انقطعت الأســـباب جاء مِداده.. وإذا قست القلوب نزلت رحماته.

---

(١) سورة يوسف الآية (٩٦).

(٢) وهذا مصداق الحديث النبوي المعروف.

وقد وجهتني الرحلة بقولها:

كن مؤدباً في حزنك

حامداً في دمعتك أنيقاً في ألمك،

فالحزن كما الفرح هدية من رب العباد سيمكث قليلاً ويعود إلى ربه حاملاً معه تفاصيل صبرك.

كما ذكرتني بكلمات تربط على القلب حينما خاطبتني قائلة:

أرأيت لو أنك موعود بمكان فيه كل الذي تشتهيه نفسك وتحبه من الخيرات.

أيضرك لو كان – فقط – لون الباب الذي يوصلك إلى هذا المكان لا يعجبك؟!

كذلك أقدار الله التي تكرهها نفوسنا ليست سوى بوابات توصلنا إلى الخيرات التي نأملها ونريدها ونتمناها..

لكننا أحيانًا ننظر إلى الباب ونظل نتشاءم من ظاهره وننسى أننا سنمر به فقط وأن جمال باطنه فوق ما نتصور..

الذي يعرف الله باسمه «اللطيف» وأنه يسوق للعبد الخير من الطريق الذي يكرهه؛ سينظر إلى المكاره نظرة المستبشر.. لأنه يرى ما خلفها من الخير العميم والعطاء العظيم.. فأقدار الله تعالى لا تنفك أبدًا عن لطفه لكنها تحتاج إلى من ينظر بقلبه لا ببصره!

أقدار الله مبطنة بالرحمات؛ ولكنكم قوم تستعجلون.

كما جعلتني أقف على كلمات طيبة للأستاذ الدكتور عمر المقبل حين جمع قواعد التعامل مع الشدائد تذكيراً لمن تصيبه وهاكم بيانها:

القاعدة الأولى: «لستَ وحدك».

القاعدة الثانية: «لا يقدر الله شيئاً إلا لحكمة».

القاعدة الثالثة: «جالب النفع ودافع الضر هو الله، فلا تتعلق إلا به».

القاعدة الرابعة: «ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك».

القاعدة الخامسة: «اعرف حقيقة الدنيا تسترح».

القاعدة السادسة: «أحسن الظن بربك».

القاعدة السابعة: «اختيار الله لك خير من اختيارك لنفسك».

القاعدة الثامنة: «كلما اشتدت المحنة قرُب الفرج».

القاعدة التاسعة: «لا تفكر فى كيفية الفرج فإن الله إذا أراد شيئاً هيأ له أسبابه بشكل لا يخطر على بال».

القاعدة العاشرة: «عليك بدعاء من بيده مفاتيح الفَرَج».

يقول ابن القيم رحمه الله:

«لا تحسب أن نفسك هي التي ساقتك إلى فعل الخيرات، بل اعلم أنك عبد أحبك الله فألهمك فعل الخيرات، فلا تفرط في هذه المحبة فينساك».

كما علمتني فائدة عظيمة على لسان شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سُئل رحمه الله تعالى:

ما دواء من تَحَكَّمَ فيه الداء، وما الاحتيال فيمن تسلط عليه الخَبال، وما العمل فيمن غلب عليه الكسل، وما الطريق إلى التوفيق، وما الحيلة فيمن شطت عليه الحَيْرة، إنْ قَصَدَ التوجه إلى الله مَنَعَهُ هواه، وإنْ أراد أن يشتغل لم يطاوعه الفشل؟

فأجاب -رحمه الله-:

- دواؤه الالتجاء إلى الله تعالى، ودوام التضرع إلى الله سبحانه، والدعاء؛ بأن يتعلم الأدعية المأثورة، ويتوخى الدعاء في مظان الإجابة، مثل آخر الليل، وأوقات الأذان والإقامة، وفي سجوده، وفي أدبار الصلوات.
- ويضم إلى ذلك الاستغفار؛ فإنه من استغفر الله ثم تاب إليه مَتّعَهُ متاعاً حسناً إلى أجل مسمى.
- وليتخذ وِرْداً من الأذكار طرفي النهار ووقت النوم.
- وليصبر على ما يَعْرِضُ له من الموانع والصوارف؛ فإنه لا يلبث أن يؤيده الله بروحٍ منه، ويكتب الإيمان في قلبه.
- وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس بباطنه وظاهره؛ فإنها عمود الدين.
- وليكن هجيراه «أي: عادته»: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ فإنه بها تحمل الأثقال وتكابد الأهوال وينال رفيع الأحوال.

❀ ولا يسأم من الدعاء والطلب؛ فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل فيقول: قد دعوتُ فلم يستجب لي.

❀ وليعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً؛ ولم ينل أحد شيئاً من ختم الخير- نبي فمن دونه - إلا بالصبر.

والحمد لله رب العالمين[1].

كما ذكرتني بقول الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله:

عجبتُ لأربع يغفلون عن أربع:

١- عجبتُ لمن ابتُلى «بغم»، كيف يغفل عن قول: لا إلهَ إلاّ أنتَ سُبحانكَ إني كنتُ من الظالمين والله يقول بعدها؛ فاستجبنا لهُ ونجيناهُ من الغم.

٢- عجبتُ لمن ابتُلى (بضرّ)، كيف يغفل عن قول: ربي إني مسّنيَ الضرُ وأنتَ أرحمُ الراحمين والله يقول بعدها؛ فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر.

٣- عجبتُ لمن ابتُلى «بخوفٍ»، كيف يغفل عن قول: حسبي الله ونعم الوكيل والله يقول بعدها؛ فانقلبوا بنعمةٍ من اللهِ وفضلٍ لم يمسسهم سوء.

٤- عجبتُ لمن ابتُلى (بمكرِ الناس)، كيف يغفل عن قول: «وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» والله يقول بعدها؛ فوقاهُ اللهُ سيئاتِ ما مكروا.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٣٦- ١٣٧).

كما لم تلبث بي بالتذكير بأن:

الدعاء هو لبُّ العبادة وأساسها، وإليه يلجأ المسلم في وقت الشدة، والجميل أن يلجأ إليه وقت الرخاء، فعليك بالإلحاح في الدعاء دائما فإن الله يستجيب لك، ولا تترك الدعاء إذا لم تجد أمارة لاستجابة الدعاء وذلك لقول رسول الله ﷺ «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي».

فضلاً عن أنها ذكرتني بهدي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عندما سُئل:

«كم بيننا وبين عرش الرحمن؟

قال: «دعوة صادقه لأخيك».

كما علمتني أن أصنع المعروف من خلال:

قصة رجل كبير يرقد في المستشفى يزوره شاب كل يوم ويجلس معه لأكثر من ساعة يساعده على أكل طعامه والاغتسال، ويأخذه في جوله بحديقة المستشفى، ويساعده على الاستلقاء، ويذهب بعد أن يطمئن عليه.

دخلت عليه الممرضة في أحد الأيام لتعطيه الدواء وتتفقد حاله وقالت له: ما شاء الله، الله يخليلك ابنك يومياً يزورك».

نظر إليها ولم ينطق، وأغمض عينيه وقال لنفسه: ليته كان أحد أبنائي هذا اليتيم من الحي الذي كنا نسكن فيه رأيته مره يبكي عند باب المسجد

بعدمـــا توفي والده وهدأته واشـــتريت له الحلوى ولـــم أحتك به منذ ذلك الوقت.. ومنذ علم بوحدتي أنا وزوجتي بدء يزورنا كل يوم ليتفقد أحوالنا حتى وهن جســـدي، فأخذ زوجتـــي إلى منزله وجاء بي إلى المستشـــفى للعلاج، وعندما كنت أسأله لماذا يا ولدي تتكبد هذا العناء معنا؟؟

يبتسم ويقول:

مازال طعم الحلوى في فمي يا عمي مع كل نفس:

ازرع جميلاً واصنـع المعـروف فلن يضيع جميلاً أينما زُرِعا
إن الجميل وإن طال الزمان به فليس يحصده إلا الذي زَرَعا.

الرضا بالقضاء والقدر شرط لرفع البلاء
الشيخ محمد متولي الشعراوي (٢٣ : ٠٠)

كيف تتعامل مع الله إذا وقع البلاء
الشيخ مشاري الخراز (٠٢ : ٩)

اكتشفوا العوالم الأخرى في حياة أبنائكم[١]

كلمة أوجهها لإخواني وأخواتي أولياء الأمور لاكتشاف العوالم الأخرى في حياة أبنائهم خصوصاً مع وجود وسائل التواصل الإلكترونية التي من خلالها يعيش الأبناء عوالم أخرى خارج إطار المنزل بعيدة جداً جغرافياً.

كنت أستغرب كثيراً وعبدالله رحمه الله يغلق باب غرفته ليلاً كالعادة ولكنه مندمج في حديث متبادل وكأنه في رابعة النهار، فوجدته في غاية الاندماج مع أصدقائه وظننته حديثاً عابراً، فلما جلست إلى أصدقائه بعد وفاته لأَصِلَهم، وأشتم عبق رائحته فيهم، وأطبق هدي المصطفى ﷺ في صلة المرء بود أبيه أو أمه أو زوجه أو بنيه بعد أن يُتوفى أحد منهم، وكم كان لقاءً طيباً مفعماً بالعواطف الجياشة التي اعتبرتهم جميعاً من خلالها أبنائي، وكانوا جميعاً يعتبروني مثل والدهم.

أقول: إنني حين جلست إليهم نستذكر الحبيب بينهم، فسَّروا جوانب لم أكن أعلمها في شخصيته رحمه الله، فقد كانوا يدخلون وبشكل جماعي قوام المجموعة فيه عشرة أشخاص إلى ما هو أشبه بمشروع على شكل لعبة إلكترونية فيها التخطيط الاستراتيجي والدفاع والهجوم والبيع والشراء وتوزيع الثروات ومحاور القوى، ويتم توزيع أعضاء الفريق العشرة بين مدافع ومهاجم ومساند، فإذا عبدالله رحمه الله

(١) تم نشر هذه المقالة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/٨/٣م.

دوره المهاجم الرئيس في الفريق الذي يتولى الرماية، وقد سجل زملاؤه في الفريق ما سـجَّله في هذا الدور فوجـدوا ترتيبه الثالث من بين ما يقارب اثني عشـر مليون مشارك بشكل متوازي في أنحاء العالم، وذلك عام ٢٠١٢م في هذا البرنامج المسـمى: العالم المفتوح «Open World» كمـا روى لي أصدقاؤه انعكاس هذا التميز في الأداء، فكان لا يهتم أبداً بالمكتسـبات المادية التي يسـتفيد منها البعض، ولكنه كان يستفيد منها لتحسـين أدائه، أو يتبرع برصيده لتحسين أداء غيره من أعضاء الفريق وغيرهم، وفعـلاً كان يطبق مفهوم «اليد العليا خير من اليد السـفلى» وبشـكل يتجلى فيه الإيثار وإنكار الذات في عالم يتسابق فيه المشاركون إلى الكسب والتجميع.

لم أكن أتوقع عالماً من القيم الجميلة كان يعشـيها عبدالله ويمارسها في هذا العالم الإلكتروني وهو في غرفته أو الديوان أو الشـاليه حاملاً معه جهاز الحاسـوب «اللابتوب» عابراً به القارات ومشاركاً بشكل متواز ملايين الداخلين حتى اكتسب حصيلة لغوية إنجليزية كانت سبباً في رفع معدلـه في المرحلة الثانوية في اختبار القبول بجامعة الكويت في الوقت الذي ينخفض فيه هذا المعدل عند كثير من الطلبة المتفوقين.

ولقد كان هذا التفوق اللغوي يدفعه إلى اكتشاف جديد هذا البرنامج «العالم المفتوح» فيستشرف شخصياته ليخبر الفريق بالمستجدات المتوقعة التي من شـأنها تحسـين الأداء فلا يبخل بالنصيحة على أحد بل يبادر ويوجه وكأنه في عالم الواقع.

حديثـــي في عبدالله رحمه الله مجروح ولكن أقولها بلا تحيز: إن ما ذكرته في العالم الإلكتروني وفـــي الآخر منطبق تماماً على عالم الواقع الحالـــي في صفاته وممارســـاته، ولو قدر الله له الدخول في مشـــاريع الحياة لرأيت في عالم الواقع ما علمته في ذلك العالم الآخر.

لذا أنصح إخواني وأخواتي أوليـــاء الأمور الاقتراب أكثر من أبنائهم في عوالمهم الإلكترونية تشجيعاً أو ترشيداً أو توجيهاً.

تربية الأولاد في الإسلام
الشيخ محمد راتب النابلسي (٥٠ : ٤٠)

مهارات في تربية الأبناء
الشيخ جاسم المطوع (٤٨ : ٤٠)

أي دراما تجذب أبناءنا؟[١]

كنت أستغرب في الفترة الأخيرة من حياة الحبيب عبدالله رحمه الله متابعته مسلسلاً كرتونياً يابانياً وأعجب لانصرافه عن الدراما الطويلة العريضة التي تصرف عليها وزارة الإعلام آلاف الدنانير ولم تنجح في استقطابه. وكثير من أمثاله حتى أختار كل منهم سلسلة حلقات تلفزيونية مختلفة في جهازه الحاسوبي «اللابتوب» ومما زاد في هذا الانصراف سهولة الوصول إلى المادة الإعلامية في الوقت الذي يريده ويناسبه.

ولما تواصلت مع أصدقائه[٢] في جلسة عاطفية تذاكرنا فيه مآثره رحمه الله أخبروني بخلفية المسلسل الياباني المسمى «One Piece» أي قطعة واحدة الذي يتجدد بمحتواه المليء بالقيم الإنسانية التي تصلح لكل حضارة ودين ليستفيد منها مشاهدها، فتبرز الحسنات ولا تتفنن مثل بعض الدراما الكويتية في إبراز السيئات حتى نظرت المجتمعات العربية والخليجية

---

(١) تم نشر هذه المقالة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/٨/٩م.

(٢) لعله من المناسب ذكر أسماء أصدقائه في مجموعتين لأنه كان رحمه الله اجتماعياً ويتواصل مع أكثر من مجموعة أصدقائه في الوقت نفسه:

المجموعة الأولى: محمد شحاته، فهد القطامي، خالد الدوسري، إبراهيم الهاجري، سعود الغرير، وسالم السنعوسي ومشاري الحسينان، وفهد الفهد، عبدالرحمن العصفور، ضاري الرشيد، سعود الرومي، سعود المسلم، عبدالله المهنا، محمد السنعوسي، عبدالعزيز الجري، فهد الجري، عبدالهادي الجري، أحمد الجري، عمر الغنيم، فهد السيف، وليد الرشيد، مبارك الصباح، براك الغانم، طارق الغيص، محمد السلطان، صالح التنيب، يوسف الغنام، محمد الغنام، إبراهيم مال الله، حامد الهران. وكذلك عبدالرحمن الشملان الطالب في الولايات المتحدة الأمريكية والمتواصل معنا خلال الرحلة إلى بيت الحمد.

المجموعة الثانية: فهد سعود السعد، عبدالرحمن سعود السعد، سلطان منصور السعد، عبدالمحسن مسلم الزامل، أحمد عبدالله السعد، عبدالله بدر الوزان، حمد الطاحوس، عبدالعزيز الرفاعي، فهد القاضي، أحمد الرميح، بدر الطاحوس، أحمد التركيت، عبدالرحمن الطاحوس، سعود ناصر الصالح.

إلى المجتمع الكويتي وكأنه مجتمع عقد ومشـــاكل وخيانات زوجية، ومليء بمشاهد الضرب بالكف، وكأنها سمة المجتمع الكويتي مع الأسف!!

فهذا المسلســـل الياباني كغيره من المسلسلات الهادفة الكرتونية ذات الخيال الواســـع والمحتوى القيمي مليءٌ بقيـــم الوفاء والصداقة الحقيقة والمفهوم الحقيقي للأهل والأصدقـــاء الأوفياء والاحترام المتبادل والثقة المتبادلة وأن من يهتم بك يصبح جزءاً من أهلك.

لقد ركـــزت إحدى معالم المسلســـل «NAKAMA» علـــى كنز الصداقة وتوجيهه العلاقات الوظيفية والاجتماعية أفضل توجيه بشكل إنساني مجرد، وهذا ما يدعمه ديننا الحنيف ابتداءً ولكن تفســـده مع الأســـف الممارســـات الخاطئة التي تجعل الناظر إلى مفارقاتنا الاجتماعية عن تلك القيمية حيراناً، فضلاً عن الإسقاطات السياسية الهادفة المتزنة البعيدة عن الفتن والمشاكل.

لقد كان مما يحفظه عبدالله رحمه الله ويردده من قيمة هذا المسلسل العبارة التالية بترجمتها الحرفية:

«متى تعتقد أن الناس يموتون؟
هل عندما يتم إطلاق النار عليهم؟ لا،
هل عندما يتعرضون إلى مرض عضال؟ لا،
هل عندما يشربون حساءً مصنوعاً من الفطر السام؟ لا،
إنهم يموتون عندما يتم نسيانهم؟»

أشـــهد أنك يا عبدالله حي في قلوبنـــا وضمائرنا، وأحمد الله تعالى أن جعل فـــي الوالدين الوفاء وكذلك الأهل والأحبـــاب فيصبح أحبابهم الراحلين أحياءً بينهم بذكرهم الجميل.

الأم الرؤوم... ماما أنيسة[١]

والدة أهل الكويت... مواطنين ومقيمين.... أنيسة محمد جعفر ليست بحاجة للتعريف بها من قبلي في هذه السلسلة الطيبة فهي أشهر وأظهر من التعريف بها هنا، لكني أجدها هنا جزءاً من رحلتنا مع عبدالله رحمه الله.

الكثيرون سألوا عن عبدالله خلال مرضه، وقاموا باللازم والمعتاد في هذا الصدد من السؤال عنه والدعاء له بالشفاء، ثم بعد وفاته بالعزاء والدعاء له بواسع الرحمات وفسيح الجنات.

لكن ماما أنيسة غير.

لم تنقطع الأم الرؤوم للجميع عن التواصل وبشكل يكاد يكون شهرياً بوالده وبوالدته وبالاتصال الهاتفي المباشر للسؤال عنهما وتفقد حالهما بعد رحيل الحبيب عبدالله - رحمه الله.

لم تجمعها بهما أي قرابة ولا نسب، فلا حرج البتة حين تكتفي بالواجب المعتاد مثل الكثيرين ولا حرج عليهم في ذلك أبداً فهم مشغولون بارتباطاتهم المعيشية والوظيفية والاجتماعية ولديهم أحزانهم وأفراحهم هم الآخرون.

ولكن ماما أنيسة غير.

غير في تواصلها معنا ومن طرفٍ واحد، لا تكل ولا تمل، ولا تفترض أن تقابل تواصلها بتواصل منا، لأننا لا نريد أن ننشئ عليها أي التزام غير التزاماتها التي سخرت نفسها لها لرعاية الطفولة.

---

(١) تم نشر هذه المقالة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/٨/٢٣م.

وما أجمل المقادير حين جمعتني برعايتها عندما كنت طفلاً أراسلها في برنامجها الإذاعي أو التلفزيوني طالباً بعض الطوابع البريدية فكانت تدعم هذه الهواية عند الأطفال فأرسلت لي بالبريد طوابع بريدية من بين آلاف التلاميذ الذين يراسلون برامجها الإعلامية في رعاية الأطفال رغم فارق السن الكبير فاستحقت وبجدارة لقب «ماما أنيسة».

ودار الزمان دورته وبعد نصف قرن من الزمان يجمعني القدر بها في تواصلها الحاني معي ومع والدة عبدالله لتسلينا في مصابنا الجلل في عبدالله رحمه الله.

لقد سبق أن تشرفت بالمشاركة بكلمة متواضعة في حقها في الكتاب الجميل الرائع الذي جمعته محبتها وتلميذتها النجيبة المخلصة لها الأستاذة أبرار أحمد ملك ضمن كلمات كثيرة من جميع فعاليات المجتمع لتوثيق سيرتها العطرة.

ماما أنيسة: مشكورة يا أم الجميع، وباسمنا وباسم ابننا عبدالله وهو في قبره: بيَّض الله وجهك، وجمعنا بك حين نستضيفك ويستضيفك عبدالله إن شاء الله في بيت الحمد بفضل الله ورحمته.

وإلى ذلك الحين تقبلي أفضل تحياتنا وشكرنا وتقديرنا.

الدلالات الاجتماعية للعزاء عند الكويتيين[١]

خرجت للتو من أجواء العزاء في وفاة عمي مشاري حمود الخرافي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وكانت أجواءً مفعمة بالعواطف، وقبل التعرض لظلالها افتتح بما يفتتح به المقال وهو مناسبته وهي وفاة العم مشاري ذلك الرجل الصامت الذي عمل وبنى وربي بهدوء وأسس لأهله وذويه دون ضجيج، وكان مثال المواطن الكويتي الطيب الهادئ الذي لم يعرف عنه قط أي مشكلة مع الآخرين، شيمته الصراحة والبساطة دون تكلّف، كان من أوائل المتعلمين من أقرانه، فأجاد اللغة الإنكليزية حين لم يكن يقرأها أو يكتبها الكثير من الكويتيين، وضبط الحسابات التجارية حتى استشاره فيها سائر زملائه في ديوانيته «النهارية» الوحيدة وهي مكتب رفيق صباه وصديقه المخلص له حتى بعد وفاته العم مساعد عبدالله الساير.

رحمك الله يا عمي رحمة واسعة.

أما عن الظلال التي ألقاها جو العزاء في خاطري وخاطر الأهل بصورة اجتماعية رائعة فأهم مشاهدها ما يلي:

تقاطر الكويتيين من كل حدب وصوب واندفاعهم إلى المقبرة لتشييع جثمان ميتهم حتى قاربت فترة العزاء فقط ساعة كاملة فضلاً عن الصلاة عليه ودفنه. فهم في الكثرة حتى تعتقد أن الكويت لم يبق فيها

(١) تم نشر هذه المقالة في جريدة القبس بتاريخ ١٩٩٣/١١/٧م تحت عنوان «العزاء عند الكويتيين» حيث كنت قد كتبته حينها لوفاة عمي مشاري حمود الجارالله الخرافي، وقد أوردته هنا للتناسب الكبير بين محتواه ومحتوى هذا الكتاب، ولأنها خاطرة تتواكب مع خواطر هذا الكتاب في هذه الرحلة إلى بيت الحمد.

أحد إلا وأتى إلى المقبرة، ثم يتكرر تقاطر الناس إلى مجلس العزاء حتى تعتقد أن الكويت لم يبق فيها أحد إلا وحضر العزاء.

إن هـذا التوافد المتزامن عبر ثلاثـة أيام كاملة هو ظاهرة اجتماعية فريدة يتميز فيها المجتمع الكويتي «على مسـتوى النسـاء والرجال على السـواء» تتجلى فيها صور الوفاء للمتوفيَّ، والوقوف مع أهله لمواساتهم في مصيبتهم، والدعاء للميت أمامهم ومن بعد ذلك.

إن مجرد انشـغال أهل المتوفى بالاسـتقبال والتوديع وإجابة عبارات العزاء وصيغ الدعاء خير وسـيلة تخرج الأهل من أجواء الحزن وتنسيهم ولو لمـدة ثلاثة أيام – وهي أهم ثلاثة أيام بالنسـبة لذوي المتوفى- عن آلامهم وشعورهم بافتقاد الغائب العزيز.

المشهد الآخر والذي له سـند من السنة النبوية المطهرة وهو استعداد أقرباء أسرة المتوفى لتجهيز الغذاء لهم وتنافسهم عليه كل يريد أن يشارك بدوره والأيام لا تكفي طابور المتطوعين من الأهل والأقرباء لعمل الغذاء.

والمشـهد الرائع الثالث هو حرص الكبيـر والصغير، الغني والفقير، المـرأة والرجل على تقـديم العزاء إلى أهل المتوفى، ولقـد يكون المعزِّى مريضاً أو طاعناً في السن أو كثير الالتزامات والواجبات بحكم مسؤوليته ولكنه يكون أول الحاضرين.

كم يسر المرء ويعجب عندما يرى شيخاً مسناً يحضر العزاء والأهل يقدمون له العذر، لم كلفت نفسك يا عم؟ ومنهم «العم خالد العبداللطيف الحمد» على سـبيل المثال، بل إن بعضهم يريد أن يوصل رسالة الوفاء ولو لدقيقة واحدة، ولا يريد أن يفهم غيابه فهماً خاطئاً مهما كان مُقعَداً أو ضريراً.

وكم يسر المرء أن يستقطع المسؤولون من أوقاتهم المزدحمة لحضور مجلس العزاء وعلى رأسهم حضرة صاحب السمو أمير البلاد وسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء والسادة الشيوخ والوزراء والنواب وكبار المسؤولين في الدولة، وفي حضورهم جميعاً تتويج لمشاهد الوفاء.

كما يسر الأهل قدوم غائب عزيز لم يروه منذ سنوات طويلة، ولكن هذه المناسبة بينت عنصر المحبة والوفاء فيه.

مشاهد عديدة.. قد لا يتسع لها المجال هنا ولكنها جميعاً تشهد بالطبيعة الخاصة التي يتميز بها المجتمع الكويتي.. ورغم ظهور بعض سلبيات المدنية الحديثة إلا أن مثل هذه المظاهر والمشاهد الإيجابية تبشر بالخير الكثير، وآخر المشاهد هو أن للموت عندنا فلسفة أخرى في نظرة المجتمع المتمتع بالصبغة الإسلامية، فهو «سهالة» ولا يحتاج أيضاً إلى تكلفة غالية كما هو الحال في كثير من المجتمعات، فالقبر يحتاج إلى شراء أرض والتابوت أو التجهيز بحد ذاته... ومراسيم الفاتحة ونقل الجنازة والدفن وتشييد القبور!! كلها تحتاج إلى كلفة مالية باهظة لا يستطيعها كثير من سائر الأحياء، فضلاً عن الأموات! فالوفاة في الكويت غير مكلفة، ورغم قلة كلفة الكفن والسدر والماء إلا أن الدولة تتحمل نفقاتها لمن لا يوفرها من أهل المتوفى.

رحمك الله يا عمي... فعزاؤك أعاشني وأهلي في معان وارفة الظلال والسلام عليك حياً وميتاً.

أهمية التداوي وعدم تعارضه مع التوكل

قد يستغرب البعض اختيار مثل هذا الموضوع البديهي، ولكنه من المناسب توسيع المدارك ومعرفة البعد الآخر للموضوع.

يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له»(١).

والمرض سبب في تكفير خطايا اقترفها الإنسان بقلبه وسمعه وبصره ولسانه، وسائر جوارحه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾(٢).

قد يكون للعبد منزلة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، لكن العبد لم يكن له من العمل ما يبلغه إياها، فيبتليه الله بالمرض، حتى يكون أهلاً لتلك المنزلة ويصل إليها برحمة الله وكرمه.

إن أهمية التداوي من الأمراض من أجل الشفاء تنبع من مشروعيتها في العقيدة الإسلامية، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تداووا عباد الله فإن الله لم يضع داءً إلا وضع معه شفاء، إلا الهَرَم»(٣). وفي هذا الحديث شرع النبي ﷺ التداوي لأمته، ما لم يكن بمحرَّم، وقد اختلف الفقهاء الكرام في حكم التداوي على عدة أقوال:

---

(١) أخرجه مسلم: ح (٢٩٩٩).

(٢) سورة الشورى الآية (٣٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه: ح (٣٤٣٦).

فذهب جمهور العلماء «الحنفية والمالكية» إلى أن التداوي مُباح، غير أن عبارة المالكية: لابأس بالتداوي.

وذهب الشافعية والقاضي وابن عقيل وابن الجوزي من الحنابلة إلى استحبابه، واستدلوا بقول الرسول ﷺ: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء فتداووا، ولا تداووا بالحرام[١]».

وهناك أحاديث ورد فيها الأمر بالتداوي نصاً، كما أخذوا من احتجام النبي ﷺ وتداويه دليلاً على مشروعية التداوي، ومحل الاستحباب عند الشافعية عند عدم القطع بإفادته. أما لو قطع بإفادته فإنه واجب.

أما جمهور الحنابلة فإن تركه أفضل، ونص عليه أحمد، قالوا: لأنه أقرب إلى التوكل.

وقد سُئل الإمام أبوعبدالله أحمد بن حنبل عن الرجل يتعالج، فقال: العلاج رخصة، وتركه أعلى منه.

يقول الإمام الحموي رداً على هؤلاء: (إن التوكل لا ينافي التسبب؛ لأن التوكل اعتماد القلب على الله عز وجل، وذلك لا ينافي الأسباب، وغالب التسبب لا يكون إلاّ مع التوكل، فإن المعالج إذا كان عالماً بالطب يعمل ما ينبغي عمله، ثم يوكل الأمر إلى الله تعالى، ويتوكل عليه في نجاحه، ولو كان التوكل وحده كافياً، لما قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

(١) أخرجه أبو داود: ح (٣٨٧٤).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[١]، وقد قال النبي ﷺ للأعرابي: «اعقلها وتوكل»[٢] وقال ﷺ: «أغلقوا الأبواب»[٣].

فمن ظن أن التوكل هو ترك الأسباب، فما عرف التوكل، ولو كان كما ظن ما اختفى رسول الله ﷺ في الغار، فلو قال قائل: أُغلق بابي وأتوكل، لكان مخالفاً للعقل والشرع.

تفسير ترك التداوي:

وأما من احتج بمن ترك التداوي من السلف كما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وغيره فيجاب عنه بأمور، فالجواب بأمور:

أحدها: أن يكون تداوى ثم أمسك.

الثاني: أن ما قاله لا ينافي التداوي، وإنما أخرجه مخرج التسليم للقدر.

الثالث: أن يكون كوشف بقرب أجله.

الرابع: أن يكون مشغولاً بذكر عاقبته عن حاله.

الخامس: أن تكون العلة مزمنة، والدواء الموصوف له موهوم النفع، وعلى هذه الأشياء يحمل حال كل من ترك التداوي، وعليه يحمل كلام الإمام أحمد بن حنبل، لأنه ليس في مقتضى الحال ترك الأسباب إلى المصالح، بل على الإنسان بذل الاجتهاد، وإن لم يحصل المقصود»[٤].

---

(١) سورة النساء الآية (٧١).

(٢) أخرجه الترمذي: ح (٢٥١٧).

(٣) أخرجه أحمد: ح (١٥٠٥٧)، وابن حبان في صحيحه: ح (١٢٧١).

(٤) الأحكام النبوية في الصناعة الطبية.

العلاج واجب ولا يتعارض مع التوكل:

فالعلاج واجب إذا ترتب على تركه هلاك للنفس بشهادة الأطباء الثقات.

وقد استدل من ذهب إلى هذا من الفقهاء بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[١] وبقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[٢]، وبالأحاديث التي أمرت بالتداوي مثل حديث أسامة بن شريك قال: «أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلَّمت، ثم قعدت، فجاء الأعراب من ههنا وههنا، فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: تداووا فإن الله تعالى لم يضع داءً إلاّ وضع له دواء غير داء واحد الهَرَم»[٣].

ويدل على أن ترك التداوي ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر - رضي الله عنه - وعن الصحابة في قصة الطاعون - فإنهم لما قصدوا الشام وانتهوا إلى الجابية بلغهم الخبر أن به موتاً عظيماً ووباءً ذريعاً، فافترق الناس فرقتين، فقال بعضهم: لا ندخل على الوباء فنلقي بأيدينا إلى التهلكة، وقالت طائفة أخرى: بل ندخل ونتوكل على الله ولا نهرب من قدر الله تعالى، ولا نفرّ من الموت كمن قال الله تعالى في حقهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ....﴾[٤]، فرجعوا

---

(١) سورة البقرة الآية (١٩٥).
(٢) سورة النساء الآية (٢٩).
(٣) أخرجه أبو داود: ح (٣٨٥٥).
(٤) سورة البقرة الآية (٢٤٣).

إلى عمر فسألوه عن رأيه، فقال: نرجع ولا ندخل على الوباء، فقال المخالفون لرأيه: أنفرّ من قدر الله تعالى؟ قال عمر: نعم، نفرُّ من قدر الله تعالى إلى قدر الله تعالى .... فلما أصبحوا جاء عبدالرحمن فسأله عمر عن ذلك؟ فقال: عندي فيه يا أمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به - أي بالطاعون - بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»[1].

هل يجوز لشخص أن يحسن التوكل على الله ويترك العلاج
الشيخ مصطفى العدوي (١٨ : ٣٠)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: ح (٥٧٢٩)، ومسلم في صحيحه: ح (٢٢١٩) من حديث ابن عباس.

المتوفَّى بمرض السرطان شهيد[١]

هناك بشارة نبوية رائعة لا يلتفت إليها كثير من المسلمين على الرغم من أنها تمنح الأمل للمبتلين منهم وتؤنس المصابين وتطمئن قلوب الوجلين الخائفين على مصيرهم الأخروي أو مصير أحد من أقاربهم أو محبيهم، فإنه لا يكاد يخلو بيت لا يهفو إلى ما جاء فيها، فما هي تلك البشارة؟

إنها تتلخص فيما ورد ببعض الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة التي بشرتنا باتساع مفهوم «الشهيد» في الإسلام ليشمل خصالاً عديدة، وصل بها الحافظ ابن حجر إلى نحو سبع وعشرين خصلة وردت في أحاديث ثابتة عن النبي ﷺ، بينما قام الإمام الشوكاني بتعداد أصناف الشهداء الواردة بذكرهم الأدلة فوجدهم خمسين صنفاً[٢].

ومن الأحاديث الدالة على اتساع مفهوم «الشهيد» في الإسلام: ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغَرِق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله»[٣].

وما رواه الإمام مالك في «الموطأ» وأحمد في «المسند» وأبو داود والنسائي وابن ماجه في «سننهم»، من حديث جابر بن عتيك أن النبي ﷺ

---

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٤/١٠/٢٦م.

(٢) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، (٤٩٤٧/١٠).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة: ح (٢٨٢٩).

قال: «الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المقتول في سبيل الله شهيد، والمطعون شـــهيد، والغريق شـــهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شـــهيد، وصاحب الحريق شـــهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمْع شهيدة[١]».

وما جاء في صحيح الجامع للإمام مســـلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رســـول الله ﷺ: «ما تعدون الشهداء فيكم؟ قالوا: يا رسول الله، من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: إن شهداء أمتي إذاً لقليل: قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شـــهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد»[٢].

والأحاديث في هذا البـــاب كثيرة، تثبت جميعها مدى ما أنعم الله به على هذه الأمة من توســـعة لمفهوم الشـــهيد حتى أن الإمام الحافظ ابن حجـــر نقل عن الإمام علي بـــن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كل موتة يموت بها المسلم فهو شهيد غير أن الشهادة تتفاضل»[٣].

وقد وضع بعض العلماء ضابطًا شـــاملاً لصنوف الشهداء، وهو: «كل مـــن مات في عِلّةٍ مُؤْلِمـــةٍ متمادية، أو مرضٍ هائـــلٍ، أو بلاء مفاجئٍ، فله أجر الشهيد، فمن النوع الأول: المَبْطُون، ومن النوع الثاني: المَطْعُون، ومن الثالث: الغريق»[٤].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ: ح (٩٩٦)، وأحمد في المسند: ح (٢٣٧٥٣)، وأبو داود في السنن: ح (٣١١١)، والنسائي في السنن: ح (١٨٤٦).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه: ح (٣١٨٦).

(٣) فتح الباري: (٤٤/٦).

(٤) «فيض الباري شرح صحيح البخاري» للكشميري (٢٤٨/٢) رقم (٦٥٢) طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٥م.

أما بخصوص مرض السرطان ومدى اعتبار المتوفين به من الشهداء، فقد اطلعت على العديد من الفتاوى التي تؤكد على أن المتوفين بهذا المرض هم من الشهداء بإذن الله - باعتبار أن مرض السرطان بما ينتج عنه من آلام شديدة، يظل يعاني منها المصاب به مدة طويلة، إما أن يكون داخلاً في الأمراض السابقة بالنص، من خلال ما فسرت به هذه الأمراض، أو بالمعنى لاشتراكه في العلة التي اعتبرها العلماء، بجعل هذه الأمراض موصِّلة للشهادة في هذه الأمراض.

ومن الفتاوى التي اطلعت عليها والتي أكدت هذه البشارة - على سبيل المثال ما يلي:

(١) فتوى فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن محمد المطلق - المستشار بالديوان الملكي، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية في المملكة العربية السعودية، حيث اعتبر فضيلته الموت بمرض السرطان شهادة، مبيناً أن مريض السرطان مثل مريض الطاعون والبطن والسل، لاشتراكهم في العلة المنصوص عليها، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ما تعدون الشهيد فيكم؟ قالوا: يا رسول الله، مَن قُتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: إن شهداء أمتي إذاً لقليل، قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد[١].

(١) رواه مسلم: ح (١٩١٥) من حديث أبي هريرة.

(٢) فتوى دار الإفتاء العام الأردنية، جاء فيها: الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله. جاءت النصوص الشرعية تُبيّن أصناف الشهداء، ومن ذلك ما رواه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللّهِ»[١].

وقد وضع بعض العلماء ضابطاً للشهيد فقال: «كل من مات في عِلّةٍ مُؤْلِمةٍ متماديةٍ، أو مرضٍ هائلٍ، أو بلاء مفاجئٍ، فله أجر الشهيد، فمن النوع الأول: المَبْطُون، ومن النوع الثاني: المَطْعُون، ومن الثالث: الغريق»[٢].

والمتتبع لأصناف الميتات المذكورة في الأحاديث يجد أن فيها شدة، ويكون فيها المشرف على الموت حاضر العقل واعياً، متحسساً لآلامها، فبذلك يكون شهيداً على نفسه يوم أن يلقى الله تعالى، وكل ذلك زيادة لأجورهم وتكفيراً لذنوبهم، فيبلغوا مراتب الشهداء التي أعلاها القتل في سبيل الله.

ولكن من شروط نوال أجر الشهادة؛ الصبر على المرض، واحتساب العبد شأنه عند الله تعالى، كما قال الإمام السبكي في فتاويه عندما سُئل عن الشهادة فقال: «حالة شريفة تحصل للعبد عند الموت لها سبب وشرط ونتيجة». وعدّ من الشروط أموراً منها: الصبر، والاحتساب، وعدم وجود ما يمنع كالدّين، وأخذ حق الغير... وغيرها[٣].

---

(١) أخرجه البخاري: ح (٢٨٢٩).

(٢) «فيض الباري شرح صحيح البخاري» للكشميري (٢٤٨/٢) رقم: (٦٥٢).

(٣) راجع: فتاوى السبكي: (٣٣٩/٢)، طبعة دار المعارف، بدون.

فمن ابتلي بمرض السرطان فَصَبَر وحَمَدَ الله على حاله، ثم مات بسببه، نال أجر الشهادة بإذن الله تعالى، فهذا المرض من أشهر الأمراض الفتاكة التي تؤدي إلى الوفاة في كثير من الأحيان، ولا يملك الإنسان لها شفاء حتى اليوم، فمن أصيب به فلا ينزعج ولا يضيق صدره، بل يبذل أسباب العلاج، ويُسلم الأمر لله تعالى راضياً بقضائه، موقناً أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وأن الله كتب له أن يصطفيه مع الشهداء إذا صبر واسترجع.

ومما يستبشر به جميع المسلمين ما نقله الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه «فتح الباري» قال: «روى الحسن بن علي الحلواني في كتاب المعرفة له بإسناد حسن من حديث علي بن أبي طالب قال: كل موتة يموت بها المسلم فهو شهيد غير أن الشهادة تتفاضل» انتهى. والله تعالى أعلم.

(٣) فتوى فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد طه ريان - الأستاذ بجامعة الأزهر، جاء فيها: «الحمد لله والصلاة على المبعوث رحمة للعالمين وبعد، فقد ثبت في الحديث الذي أخرجه مالك والنسائي وأبو داود، وقال النووي: هو صحيح بالاتفاق قال: قال رسول الله ﷺ: الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله، المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة»[1].

(١) أخرجه مالك في الموطأ: ح (٩٩٦) وأحمد في المسند: ح (٢٣٧٥٣)، وأبو داود: ح (٣١١١) والنسائي في السنن: ح (١٨٤٦).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر خصال الشهادة الواردة في أحاديث ثابتة، حتى وصل بها إلى سبع وعشرين خصلة، وقال أيضاً: وإنه وردت خصال أخرى في أحاديث لم أعرج عليها لضعفها[1].

ومن هذه الخصال الواردة في الأحاديث الجيدة، الميت بمرض السل، كما روى الديلمي من حديث أنس أن صاحب الحمى شهيد، وروى الحافظ ابن علي الحلواني في كتاب المعرفة له، بإسناد حسن عن علي رضي الله عنه قال: كل موتة يموت بها المسلم فهو شهيد، غير أن الشهادة تتفاضل.

وسبب إطلاق لفظ الشهادة على هذه الميتات، -كما قال الإمام الباجي وابن التين- ما فيها من شدة الألم، فتفضل الله على أمة محمد ﷺ أن جعل لها تمحيصاً لذنوبها، وزيادة في أجورهم، حتى يبلِّغهم بها مراتب الشهداء، وقد اختلف العلماء في تفسير بعض الخصال الواردة في الحديث، فقد جاء في تفسير الطاعون بأنه غدة كغدة البعير، تخرج تحت المراق والآباط، وقيل: في تفسير ذات الجنب بأنه ورم حار، يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع، ويقال: هو الشوظة، وقيل في المبطون: هو صاحب الإسهال، وقيل: هو المسحور، وقال ابن الأثير: هو الذي يموت بمرض بطنه كالاستسقاء ونحوه، ولأبي بكر المروزي عن شيخه شريح أنه صاحب القولونج.

يستخلص من هذا أن مرض السرطان بما ينتج عنه من آلام شديدة، يظل المصاب به يعاني منها مدة طويلة، إما أن يكون داخل في الأمراض

---

(١) راجع: فتح الباري: (٦/٤٤).

السابقة بالنص، من خلال ما فسرت بها هذه الأمراض، أو بالمعنى لتحقق العلة التي ذكرها العلماء، بجعل هذه الأمراض موصلة للشـــهادة، وفضل الله واسع وخزائنه ملئى، والله أعلم.

(٤) فتوى فضيلة الشـــيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي، حيث سئل فضيلته هذا السؤال: هل من مات وهو مريض مرض السرطان فهو شهيد؟

فأجاب: نرجو أن يكون كذلك إن شـــاء الله؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ لما كان يعلم أن الشـــهيد من قتل في المعركة فقط فقال: «إن شـــهداء أمتي إذاً لقليل» ثم ســـأل اللـــه أن يكونوا أكثر، فأعطاه ذلك، وقد جمعهم الإمام السيوطي رحمه الله فوجدهم أكثر من أربع وعشرين صفة.

منهم: المطعون، والمبطون، والنفســـاء - المرأة التي تموت في الولادة- فالمطعون: هو الميت بالطاعـــون، والمبطون: المصاب في بطنه، فنرجو أن يدخل في ذلك - إن شـــاء الله - ما نســـيمها نحن بأسماء مختلفة، مثل السرطان، أو تليف في الكبد، أو ما أشبه ذلك من أسماء نطلقها ولم تكن معروفة بهذا الاسم من قبل.

(٥) فتوى العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز -رحمه الله- أن المريض بالسرطان أو غيره على خيرٍ عظيم، يرجى له خيرٌ عظيمٌ، نظرًا لأن كل إنسان يصيبه مرض أو شيء من الأذى كله يعد كفارة له من السيئات حتى الشوكة.

(٦) فتوى فضيلة الشـــيخ الدكتور أحمد الحجـــي الكردي، عضو هيئة الفتوى بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، وخبير الموسوعة الفقهية، وأســـتاذ الشريعة الإسلامية المرموق، بناء على ســـؤال تطوع أحد الأحباب ووجهه إلـــى فضيلته حول مدى اعتبار المتوفَّى بمرض الســـرطان شـــهيد حتى لو في الدمـــاغ (مثل ابني عبدالله) وكان نص السؤال كالتالي:

«توفي ابن أحد أحبائي بعد أن أصيب بورم سرطاني في دماغه، فهل يعد شـــهيدًا من شـــهداء الآخرة؟ خاصة وقد وجدت تضارباً في الفتاوى؛ فمنها من يعتبر الشـــهيد فقط هو من مات بمرض سرطاني في بطنه وليس في أي مكان آخر في الجسم باعتباره «مبطونًا»، ومنهم من يعتبر الشهيد كل من مات بمرض يطول أمده وألمه، ومن ثم يدخل في هذا المفهوم كل مرضى السرطان وما شابهه من أمراض... جزاكم الله خيراً وحفظكم من كل سوء».

وأجـــاب فضيلتـــه بالجواب التالي: قال رســـول الله ﷺ: «الشـــهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله»[1] رواه البخاري ومسلم.

ويقاس على ذلك -باجتهادي- المتوفى بسبب مرض خطير كالسرطان وغيره، وعليه فأرجو أن يكون المستفتَى عنه من شهداء الآخرة».

إن رحمة الله واسعة، وإن خزائنه ملأى لا ينقص منها عطاؤه الذي لا يعد ولا يحصى، فاللهم احتسب عندك ابني عبدالله وكل من مات بمرض السرطان شهيدًا عندك، وتقبلهم جميعًا في عبادك الصالحين إنك سميع مجيب.

---

(١) رواه البخاري: ح (٢٨٢٩)، ومسلم: ح (١٩١٤) من حديث أبي هريرة.

مشروعية رفع أجهزة الإنعاش عن الميت دماغياً[١]

إنها من أصعب اللحظات على الإنسان، أن يبلِّغه الأطباء بأن مريضه قد مات دماغه، ولم يفصله عن الموت سوى أن ترفع عنه أجهزة الإنعاش!

ويزداد الأمر صعوبة إذا ما خيّره الأطباء بين أن يبقى المريض في هذا الوضع الذي فيه ما فيه من إرهاق لجسده ولقلبه لبقائهما هكذا بين الحياة والموت، وبين أن تُنزع عنه أجهزة الإنعاش فيموت يقيناً!

يا الله، إنها اللحظة الأخطر في حياة الإنسان.. إنه القرار الأشد إيلاماً في كل أحواله، سواء بالسلب أو الإيجاب؛ فإذا رفض رفع الأجهزة تعذب بعذاب مريضه، بل قد يظن أنه هو نفسه له يد في إطالة هذا العذاب، بتركه هكذا في حالة اللاموت واللاحياة، وإذا وافق، فإنه يضيع حلمه الذي يتمناه - حتى لو كان مستحيلاً- بأن يعود مريضه إلى الحياة من جديد. يقف المرء حائراً بين قرارين، أحلاهما مّر كالعلقم، وبخاصة في مستشفياتنا التي تترك لولي الأمر القرار حتى النهاية، على عكس المستشفيات الأميركية - على سبيل المثال- التي تعطي مهلة لاتخاذ القرار، وإلا فإنها ستتخذ هي قرارها بمعزل عن أهل المريض الذي مات دماغه حسب ما يقرره القانون الأميركي.

ومن لطف الله بنا ورحمته أن جعلنا من أهل الإسلام، هذا الدين العظيم الذي يرفع الحرج عن الإنسان، ولا يكلفه إلا وسعه، ويراعي ظروفه وأحواله في كل وقت وحال، ومن ذلك أنه يمنع شرعاً تعذيب

(١) تم نشر هذه المقالة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/٣/٨م.

المريض المحتضر باستعمال أية أدوات أو أدوية، متى بان للطبيب المختص الكفؤ الثقة أن هذا كله لا جدوى منه إطلاقاً، وأن الحياة في البدن ذاهبة لا محالة إلى الموت الكلي النهائي[١].

ولهذا فقد صدرت فتاوى عديدة من المجامع الفقهية والعلماء، بإجازة ذلك، ولعلنا نكتفي بإحداها لضيق المساحة المتاحة في هذا المقال وتجنباً للتكرار، فقد ذهب مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، المنعقد في مدينة عمان العاصمة الأردنية رقم ٥ - ١٩٨٦/٧/٣م. إلى القرار التالي: «المريض الذي ركبت على جسمه أجهزة الإنعاش، يجوز رفعها، إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطُّلاً نهائيّاً، وقررت لجنة من ثلاثة أطباء اختصاصيين خبراء، أن التعطل لا رجعة فيه، وإن كان القلب والتنفس لا يزالان يعملان آليًّا، بفعل الأجهزة المركبة. لكن لا يحكم بموته شرعاً، إلا إذا توقف التنفس والقلب، توقُّفاً تامّاً بعد رفع هذه الأجهزة».

ولعل هناك بُعداً آخر لهذا القرار في البلاد الفقيرة، حيث إن فيه تيسيراً كبيراً على الناس، وبخاصة على أهل المريض، لاسيما إذا كانوا لا يمتلكون نفقات إبقاء أجهزة الإنعاش فترة طويلة على جسم المريض، فتكون المسألة في غاية الحرج بالنسبة لهم.

فالحمد لله على نعمة الإسلام، وألهم اللهم كل مبتلى بهذا البلاء وذويه الصبر والسلوان.

---

(١) فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق - شيخ الأزهر الأسبق، بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة، ص(٥٠٨) وما بعدها.

تزاحم النصائح الطبية على المريض وذويه ومدى صحتها![١]

الأحباب كثيرون

ومن فرط محبتهم نجدهم يتمنون كل خير للمريض، فيرسل كل منهم تجربته الشخصية أو المنقولة من خلاله، أو تلك الواردة إليه في وسائل التواصل الاجتماعي: وما أكثرها، حتى يحار ذوو المريض أي التجارب يستفيدون منها؟

أما ما توقف عند الرقى والأدعية والأذكار فهو ممكن وإن كان من المهم تمييز ما ثبت منه بالدليل الصحيح باعتبار أن الأدعية والرقى ينبغي أن تكون مقتصرة على تلك الواردة عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كان الدعاء المطلق جائزاً، والأذكار المطلقة جائزة، وفيها الخير إن شاء الله، ولكن من تحرى بركتها في الشفاء فينبغي له أن يلزم الأدعية الواردة الصحيحة.

وأما ما توقف على وصفات طبية وخلطات شعبية فهي خاضعة للاعتبارات التالية:

أولاً: أنها متوقفة على التجارب الشخصية البحتة حسب نوع المرض ومدى ملاءمة الوصفات الشعبية له.

ثانياً: أنها قد لا تتناسب بالضرورة مع حال المريض، والأصل ما يستمر عليه المريض من علاج المستشفيات المتخصصة التي يرقد فيها، خصوصاً الأجنبية منها والتي لم تمر عليها تلك العلاجات الشعبية، وبالتالي لا تستطيع تمييزها، ونصح الأهل بأخذها أو الامتناع عنها.

---

(١) تم نشر هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٦/١/٣.

ثالثاً: قد يكون من التعجيز لذوي المريض الحصول عليها في بلاد الغربة لعدم توفر مكوناتها.

رابعاً: قد يتم استغلالها أحياناً من قبل ضعاف النفوس أو الذين امتهنوا الاستفادة المادية من ورائها، وكم يستعد أصحاب العواطف الجياشة لدفع أي مبلغ لشفاء أحبابهم، وقد لا ألومهم عاطفياً، ولكن عليهم التمييز منطقياً بين الغث والسمين.

خامساً: المريض وأهله في شغل كبير بالعلاج نفسه من جهة والتواصل مع الأطباء من جهة أخرى، ولعل الإكثار من النصائح دون القدرة على الاستفادة منها قد يؤدي إلى الإحباط عند المريض وأهله.

سادساً: لا توجد مرجعية طبية البتة لهذه الوصفات الطبية ونادراً ما تكون مرخصة من الجهات الرقابية المرجعية الصحية، وقد لا يؤمَن على المريض عواقب استخدام أدوية موازية للعلاج الأصلي دون استشارة الأطباء!

سابعاً: لا ينكر أحد الفائدة العامة للأدوية الشعبية، ولكن لا ينبغي وصفها للحالات الخاصة دون دليل ودون علم الأطباء أصلاً.

ثامناً: قد تكون النصيحة بهذه الأدوية والعلاجات صورة طبيعية لإظهار التعاطف والمحبة والرغبة بالمساعدة، ولكن ليس بالضرورة أن تكون هي الطريقة الأفضل والأصح، حيث إن الدعاء مضمون البركة والاستجابة بأي صورة من صور الاستجابة الواردة والتي ذكرناها سابقاً في هذه السلسلة الطيبة وسنوضحها بالتفصيل في مقالٍ لاحقٍ إن شاء الله.

أهلاً بجارنا في بيت الحمد: خالد عبداللطيف الشايع[١]

أهلاً بجارنا في بيت الحمد

نموذج طيب هو جارنا الجديد في بيت الحمد.

سأبدأ بالتعريف به، ثم أشرح لماذا هو جارنا هناك.

خالد عبداللطيف علي الشايع - رحمه الله - نموذج للشخصية الطيبة في تعامله وتواضعه مع الصغير والكبير. وصلة الرحم عنده تتجاوز وصله لأهله وناسه إلى صلة أصدقاء والده - رحمه الله - في سائر مناطق الكويت، الداخلية والخارجية، ويحث إخوانه على ذلك، متأولاً في ذلك حديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم «إن من أبرِّ البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه»[٢].حوى الكرم بجانبيه: كرم الأخلاق وكرم ذات اليد، فضلا عما ورثه من والديه من الصفات الكريمة.

وهو نموذج كريم من عائلة كريمة عريقة لها حضورها الاجتماعي والاقتصادي، ولها مساهماتها الخيرية في كل ما يلم بالعالم الإسلامي من النكبات، وقد فصَّلت ذلك في كتابي «اللجنة الشعبية لجمع التبرعات - ٢٠٠٧م»، وكذلك فصَّلت نبذة عنها وعن رجالاتها الكرام ضمن سياق عائلات الأساعدة في الكويت في كتابي «الوصول إلى الأصول - أوراق كويتية في سياق السيرة العائلية: عائلة الجار الله الخرافي».

---

(١) تم نشر هذا المقال في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/٣/٢٢م.

(٢) أخرجه مسلم: ح (٢٥٥٢).

وهي عائلة غنيـــة عن التعريف، بترابطها وحســـن تربيتها لأجيالها، لم تســـمع عنها ولا عن اجيالها ما يشين، في وقت تداخلت فيه الماديات وأثرت على السلوكيات.

أما جارنا الجديد في بيت الحمد فقد آثرت أن أتكلم عنه في الجزء الثانـــي والأخير مـــن هذا المقال، لأنني أعلم أن قلمي ســـيكتب بدموعي لا بمـــداه، حيـــث قمت صباح الجمعة الماضي بأداء الســـنن الثلاث تجاه المرحوم - بإذن الله - خالد الشـــايع، حيـــث صليت عليه صلاة الجنازة، ثـــم تبعته حتى يدفن، ثم وقفت على قبـــره داعياً له بالثبات والمغفرة، ثم قبل التوجه إلى تعزية أهله عرجت إلى قبر الحبيب عبدالله، فاســـتقبلت وجهه الكريم، وســـلمت عليه، ثم اســـتدرت إلى الجهة الأخرى مستقبلاً القبلة ودعوت له، ثم خاطبته غير متحكم بدموعي قائلاً له: «أبشر بجارٍ جديد في بيت الحمد»، حيث ســـبق للمرحوم خالد الشـــايع أن فقد ابنه «وهو الابن الوحيد مع أختين» في حادث سيارة وهو في ريعان شبابه في يوليو عام ١٩٩٩م».

فصبر وحمد الله واحتسب واسترجع قائلاً: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، لذا اســـتحق وعد الله سبحانه على لسان نبيه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، حيث بشّـــر كل من يفقد ابنه فيصبر ويحتسب ويحمد الله ويسترجع بأن الملائكة الأبرار يبنون له بيتاً في الجنة ويسمونه «بيت الحمد».

خاطبت الحبيب عبدالله بذلـــك موقناً وكأني أرى بيت الحمد وذلك بحسن ظني بربي، وأنا أشهد وأذكر تماماً أنني حين قدّمت العزاء لخالد

الشايع - رحمه الله - في ابنه في حينها - رحمه الله - زدت على دعاء التعزية «اصبر واحتسب»، فتفاعل فحمد الله واسترجع.

أما الخصوصية في خالد الشايع فهي في أنه أول من أعرف من الراحلين ممن يشاركني في المصيبة في فقد ابنه الوحيد، بل إنه فقد حفيده الوحيد أيضاً بعد ذلك. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

جزاء من يصبر على موت ولده
الشيخ محمد العريفي (٢٥ : ٢)

إنما المؤمنون إخوة
الشيخ محمد راتب النابلسي (٠٠ : ١٢)

الالتزام الحضاري للأمة الإسلامية تجاه مرضاها

الوقف الصحي:

لعل الوقف من أبرز المفاهيم التي عكست ولا تزال تعكس الإيثار الكبير الذي يقتضيه الالتزام الأدبي والمادي من أجيال الأمة الاسلامية تجاه جيلها والأجيال اللاحقة لها دون أن تعرفها أساساً، وذلك حين تقوم أجيال الأمة الإسلامية بالإيثار على نفسها بما تملك ولو كان بها خصاصة لتوقف الأوقاف لخدمة الأغراض الطبية المفيدة لجيلها والأجيال اللاحقة لها.

حيث إن إسهامات الوقف في المجال الصحي قدَّمت روائع شهد لها القريب والبعيد، فقد أنشأت المستشفيات – البيمارستانات[1] – التي وفرت الخدمات الصحية للمرضى، من الأسِرَّة والفرش، والأدوية والعقاقير اللازمة للمرضى على اختلاف أنواعها؛ ومن ريع الأوقاف المخصصة للمستشفيات توفر الغذاء الصحي والمناسب لكل مريض؛ وفق حالته الصحية وكذلك الإضاءة والماء العذب.

الوقف الإسلامي ودوره في الرعاية الصحية والنفسية:

لقد أسهم الوقف في النهوض بعلم الطب والبحوث المتعلقة بتشخيص الأمراض، واكتشاف مسبباتها، وإيجاد الدواء لعلاج المرضى؛ لذا أرفقت في المستشفيات الوقفية قطاعات للتدريس، وإلقاء المحاضرات على الطلبة، والمساطب العلمية المفتوحة للقاء شيخ الأطباء بطلبته ومناقشتهم.

---

(١) البيمارستان: كلمة فارسية مؤلفة من (بيمار) ومعناها: المريض أو العليل، و(ستان) ومعناها: النزل أو المكان، وقد حرفت مع الزمان فصارت (مارستان) و(مرستان)، وبعد أن كانت تطلق على المستشفى من أي نوع كان، راح الناس يطلقوها في وقت لاحق على مستشفى الأمراض العقلية فقط.

كما كان الداعم الأســاس للرعاية الصحية للمرضى من جميع فئات المجتمع، ولم تَقتصر الرعاية على المترددين على البيمارستانات، بل شملت أيضًــا المرضى الفقراء في بيوتهم، يعالجــون ويصرف لهم ما يحتاجون إليه من الأدوية والأشربة والأغذية أيضاً، وكفلت الأوقاف رواتب مشايخ الطب وتلاميذهم.

والأوقــاف الصحية لم تقْتصر على رعاية المرضى وما يحتاجونه من طبابــة الأبدان، بل تعــدى ذلك إلى طبابة النفــوس، فخصصت أوقاف لمؤانسة المرضى وإدخال السرور على نفوسهم؛ لرفع معنوياتهم النفسية، لما لذلك من أثر كبير في سرعة الشفاء والتعافي.

وتخصص البعض في مواساة الآباء والأمهات في فَقْدِ الأبناء، وتقديم خيــر علاج للنفــوس وتصبيرها بتذكيرهم بالأجر مــن الله على الصبر والســلوان، وتوجيههــم لخير ما ينفــع ميتهم من دعــاء وصدقة وصبر واحتساب.

وقد أسهم الوقف في رعاية المرضى اجتماعياً، فكان يصرف للمريض خلال مرضه مبلغاً من المال لإعاشــة أسرته، وبعد شفائه يُصرف له من ريع الوقف كسوة ومخصصات مالية حتى لا يضطر للعمل فترة النقاهة، لا سيما إذا تطلب علاجه إجراء عملية جراحية.

وحفظ الوقــف كرامة المريض حيًا وميتًا، فتــم تخصيص بعض ريع الأوقاف المرصودة للبيمارســتانات كمصرفٍ لتجهيز ودفن الموتى ســواء كانوا من المرضى في البيمارستان، أو ممن مات في داره وبين أهله.

وحقق بمؤسساته ومنشآته الطبية - البيمارستانات - مقصدًا عظيمًا من مقاصد الشريعة، وهو حفظ النفس البشرية بتوفير المأكل والمشرب والملبس والمسكن والطبابة، فالرعاية الصحية من الضرورات اللازمة لحفظ النفس الإنسانية؛ لذا أسهم الوقف في إيجاد ورعاية كل ما يتعلق بحفظ صحة الإنسان.

ولا شك أن الوقف قد خفف العبء على الدولة فيما تتحمله الأوقاف من أعباء وتكاليف إقامة المستشفيات، والصيدليات، والمختبرات، ما قلل الإنفاق الحكومي في مجال الصحة، لتقوم بالأعباء المناطة بها على أكمل وجه.

ولعل أول مستشفى في الإسلام أنشئ في عهد الوليد بن عبد الملك، وكان خاصاً بالمجذومين وجعل فيه الأطباء، وأجرى لهم الأرزاق، ثم تتابع إنشاء المشافي، وقد كانت تعرف باسم «البيمارستانات» أي دور المرضى.

وفيما يلي نبذة مختصرة عن نماذج من الأوقاف التي وثَّقها التاريخ، وكان لها الدور الأكبر في الرعاية الصحية والنفسية للمرضى وذويهم:

البيمارستان العضدي في بغداد:

البيمارستان العضدي في بغداد (٣٦٦ هـ - ٩٧٦ م)، كان العلاج فيه مجاناً للجميع، وكان المريض يتلقى العناية والرعاية في المستشفى من الثياب المعقمة النظيفة، ومن الأغذية المتنوعة، والأدوية اللازمة، وبعد شفاء المريض كان يُعطَى نفقة سفرياته ليستطيع العودة إلى بلده[1].

(١) روائع الأوقاف، راغب السرجاني، ص ٩٥، نقلاً عن عيون الأبناء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة (٦٧/١).

ويذكر ابــن جبير في رحلته: أنه لما ورد بغداد، وجد حيًّا من أحيائها كان يسمى بسوق المارستان، كل ما يحويه من مرافق ومبان أوقاف لعلاج المرضى، فــكان بمثابة حيٍّ طبيٍّ، وكان هذا الحي قبلة كل مريض، حيث يجــد فيه طلبة الطب والأطبــاء والصيادلة الذين أخــذوا على عاتقهم تقديم خدماتهم الطبية لقاء ما كان يجري عليهم من الخدمات والنفقات من أموال الوقف[١].

وقف مؤنِس المرضى والغرباء:

وهو وقف يُنفق منه على عدَّة مؤذنين، من كلٍّ رخيم الصوت، حَسَــن الأداء، فيرتلون القصائد الدينية طول الليل، بحيث يرتِّل كلٌّ منهم ساعة، حتى مطلع الفجر، ســعيًا وراء التخفيــف عن المريض، الذي ليس له مَن يخفِّف عنه، وإيناس الغريب الذي ليس له مَن يؤنسه.

وقف الإيحاء إلى المريض بالشفاء:

وهو وقف فيه وظيفة من جملة وظائف المعالجة في المستشفيات، وهي تكليف اثنين من الممرِّضين يقفان قريبًا من المريض، بحيث يسمعهما ولا يراهمــا، فيقول أحدهما لصاحبه: ماذا قــال الطبيب عن هذا المريض؟ فيــردُّ عليه الآخر: إن الطبيب يقول: إنه على خير، فهو مرجو البُرء، ولا يوجــد في عِلَّته ما يُقلــق أو يزعج، وربما نهض مــن فراش مرضه بعد يومين أو ثلاثة أيام!).

فهذا لون من الإيحاء النفسي للمريض يقرِّب الشفاء، واكتساب العافية.

---

(١) انظر: ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص(٢٨٥).

البيمارستان النوري الكبير في دمشق:

أنشأه السلطان الملك العادل نور الدين الشهيد سنة (٥٤٩هـ- ١١٥٤م) من مالٍ أخذه فدية من أحد ملوك الفرنج، وكان بناؤه من أحسن ما بني من المستشفيات في البلاد كلها، وشرط فيه أنه على الفقراء والمساكين.

ويعدّ البيمارستان النوري من أشهر الآثار العربية الإسلامية الباقية ليس فقط في مدينة دمشق، بل أيضاً في العالم الإسلامي، حيث ما زال يحتفظ بالكثير من عناصره المعمارية والزخرفية والكتابية، ويعدّ مثلاً حياً معبراً عن التقدم العلمي والحضاري للعرب المسلمين.

ويقع وسط مدينة دمشق القديمة، في الشارع المسمى باسمه بمنطقة الحريقة إلى الجنوب الغربي من الجامع الأموي، وجنوب منتصف سوق الحميدية بحوالي مائة متر تقريباً، وظل البيمارستان النوري عامراً إلى سنة ١٣١٧هـ.. وقيل: إنه منذ أن عمّر لم تنطفئ فيه النار، وقد ذاعت شهرته حيث إنه يعد من أوائل الجامعات الطبية في الشرق.

وكان بيمارستان النوري مؤسسة عمرانية، ومحطة إنسانية للناس جميعاً، ووسائل التشخيص والوقاية والعلاج فيه تتحدث ببلاغة عن عظمة حضارتنا.. لذلك كله كان نصباً تذكارياً للعبقرية العربية والإسلامية.

البيمارستان الصلاحي:

أنشأه السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد أن حرَّر القدس والمسجد الأقصى وأرض فلسطين من القيد الصليبي، وسُمي «البيمارستان الصلاحي» ليعيد الحياة إلى القدس، ووقف السلطان عليه مواضع،

وزوده بالأدويـــة والعقاقيـــر، حيث كان علم الطب يُـــدرس فيه إلى جانب ممارسته عملياً.

بيمارستان قلاوون «المستشفى المنصوري»:

المستشـــفى المنصوري الكبير والمعروف «بمارستان قلاوون»، كان داراً لبعض الأمراء فحولها الملك المنصور ســـيف الدين قلاوون إلى مستشفى عـــام «٦٨٣هـــ- ١٢٨٤م»، وأوقف عليه ما يغل ألف درهم في كل ســـنة، وألحق به مسجداً ومدرسة ومكتباً للأيتام، وكان هذا المستشفى نموذجاً يحتذى فـــي التنظيم والترتيب، جعل الدخول إليـــه والانتفاع منه مباحاً للجميـــع من ذكر وأنثى، وحر وعبد، وملـــك ورعية، وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كســـوة، ومن مات جُهز وكفن ودُفن، ووظف له من العاملين والخدم لرعاية المرضى وخدمتهم، وجعل لكل مريض شخصين يقومان بخدمته، ولكل مريض سريراً وفرشاً كاملاً، وأدى هذا المستشفى عمله الجليل، وأخبر بعض الأطباء الذين عملوا فيه أنه كان يعالج في كل يـــوم من المرضى الداخلين إليـــه والناقهين والخارجين أربعة آلاف نفس، ولا يخرج منه كل من يبرأ من مرض حتى يعطى كســـوة للباســـه، ودراهم لنفقاته؛ حتى لا يضطر للالتجاء إلى العمل الشاق فور خروجه.

ولعلنا نســـتطرد هنا - خلاف العادة بالاختصار - من باب السباحة في فضـــاء هذا الوقف الصحي العجيب ما جاء فـــي نص الوقفية لهذا المستشـــفى العظيم، كما ذكرها مؤلف تاريخ البيمارستانات في الإسلام وفيـــه: «ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف ما تدعو حاجة المرضى إليه من مشـــموم في كل يوم، وزبادي فخار برســـم أغذيتهـــم، وأقداح زجاج

وغرار برســم أشــربتهم، وكيزان وأباريق فخار، وقصــاري فخار، وزيت للوقود عليهم، وبماء من بحر النيل برســم شــربهم وأغذيتهم، ويصرف الناظر ثمن ذلك من ريع هذا الوقف، في غير إســراف ولا إجحاف، ولا زيادة على ما يحتاج إليه، كل ذلك بحسب ما تدعو الحاجة لزيادة الأجر والثواب.

ويصرف الناظر في هذا الوقف لرجلين مســلمين موصوفين بالديانة والأمانــة، يكــون أحدهما خازناً لمخــزن حاصل التفرقــة، يتولى تفرقة الأشربة والأكحال والأعشاب والمعاجين والأدهان والشيافات، المأذون له في صرف ذلك من المباشرين، ويكون الآخر أميناً يتسلم صبيحة كل يوم وعشيته أقداح الشراب المختصة بالمرضى والمختلين من الرجال والنساء المقيمين بهذا المارســتان، ويفرّق ذلك عليهم ويباشــر شرب كل منهم لما وصف له من ذلك...

ويصــرف الناظر من ريع هذا الوقف لمن ينصبه بهذا المارســتان من الأطباء المسلمين الطبائعيين والكحالين والجرائحيين بحسب ما يقتضيه الزمــان وحاجة المرضى، وهــو مخيّر في العدة وتقريــر الجامكيات ما لم يكن في ذلك حيف ولا شــطط، يباشــرون المرضى والمختلين الرجال والنساء بهذا المارســتان، مجتمعين ومتناوبين باتفاقهم على التناوب، أو بإذن الناظر في التناوب، ويسألون عن أحوالهم وما يتجدد لكل منهم، من زيادة مرض أو نقص، ويكتبون بما يصلح لكل مريض من شــراب وغذاء وغيره في دســتور ورق ليصــرف على حكمه، ويلتزمــون المبيت في كل ليلة بالمارســتان، مجتمعين أو متناوبين، ويجلس الأطباء الكحالون لمداواة

أعــين الرمداء بهذا المارســتان، ولمداواة من يرد إليهم به من المســلمين بحيث لا يرد أحد من المســلمين الرمداء عن مداواة عينيه بكرة كل يوم، ويباشرون المداواة ويتلطفون فيها، ويرفقون بالرمداء في ملاطفتهم، وإن كان بينهــم من به قــروح أو أمراض في عينه تقتضــي مراجعة الكحال للطبيب الطبائعي، راجعه وأحضره معه، وباشر معه من غير انفراد عنه، ويراجعه في أحوال برئه وشفائه...

ومن حصل له الشــفاء والعافيــة ممن هو مقيم بهذا البيمارســتان المبــارك صرف الناظر إليه من ريع هذا الوقف المذكور كســوة مثله على العادة، بحسب الحال من غير زيادة تقتضي التضييق على المرضى والقيام بمصالحهم، كل ذلك على ما يراه الناظر ويؤدي إليه اجتهاده بحســب ما تدعــو إليه الحاجة، وعلى الناظر في هذا الوقــف أن يراعي تقوى الله سبحانه وتعالى سرّاً وجهراً، ولا يقدِّم صاحب جاه على ضعيف، ولا قويّاً علــى من هو أضعف منــه، ولا متأهلاً على غريب، بل يقدم في الصرف إليه زيادة الأجور والثواب والتقرب إلى رب الأرباب».

والمستشــفيات كانت عامة تفتح أبوابها لمعالجــة الجمهور، وبالمجان للجميع، لا فرق بين غني وفقير، وبعيد وقريب، وكانت تقسم إلى قسمين: قســم للذكور، وقسم للإناث، وكان الأطباء يشتغلون بالنوبة، ولكل طبيب وقت معين يلازم فيه قاعاته التي يعالج فيها المرضى وفي كل مستشــفى عدد من الفراشــين من الرجال والنســاء والممرضين والمساعدين، ولهم رواتــب معلومة وافرة، وفي كل مستشــفى صيدلية كانت تســمى خزانة الشراب وفي المستشــفيات معاهد طبية أيضاً، ففي كل مستشفى إيوان

كبيـــر «قاعة كبيـــرة» للمحاضـــرات، وكان هذا هو النظام الســـائد في مستشفيات العالم الإسلامي خلال أكثر من عشرة قرون سواء كانت في المغرب أو المشرق في مستشفيات بغداد ودمشق والقاهرة والقدس ومكة والمدينة والمغرب والأندلس.

مستشفى مراكش:

وهو من أبرز مستشـــفيات المغرب أنشأه المنصور أبو يوسف، بعد أن اختار له موقعاً مميزاً ذا إطلالة تريح النفس، وأمر أن تزرع الســـاحات، وأن تكون نوافذ غرف المرضى تطل على تلك البساتين المثمرة من كل ما تشـــتهيه الأنفس، وأجرى فيها مياهاً، ووزع في أرض المشفى البرك ذات الرخـــام الأبيض، وجعل لكل مريض ثيابـــاً للنهار ولليل، ولم يقصره على الأغنياء دون الفقراء، بل كان لكل الناس القريب منهم والغريب.

سؤالنا: كيف كانت الرعاية الطبية في أوروبا حينما كانت مستشفياتنا بهذا التخصص والرقي والإنسانية؟! ألم تكن تتيه في الظلام؟ ولا تعرف الدقة والنظافة عوضاً عن علوم الطبابة والأدوية؟!

حالة المستشفيات حينها في أوروبا:

يصـــف المستشـــرق الألماني «ماكـــس مايرهوف» حالة المستشـــفيات في أوروبا في العصر الذي كانت في المشـــرق الإســـلامي على ما سبق ذكره، قال د. ماكس: «إن المستشـــفيات العربية ونظم الصحة في البلاد الإســـلامية لتلقي علينا الآن درساً قاسياً مراً، لا نقدره حق قدره إلا بعد القيام بمقارنة بسيطة مع مستشفيات أوروبا في ذلك الزمن نفسه».

ويقول د. مصطفى السباعي في كتابه: «من روائع حضارتنا»: «حتى القرن الثامن عشر «١٧١٠م» والمرضى يعالجون في بيوتهم أو في دور خاصة، كانت المستشفيات الأوروبية قبلها عبارة عن دور عطف وإحسان، ومأوى لمن لا مأوى له، مرضى كانوا أم عاجزين، إننا كنا أسبق من الغربيين في تنظيم المستشفيات بتسعة قرون على الأقل، ومستشفياتنا قامت على عاطفة نبيلة لا مثيل لها في التاريخ ولا يعرفها الغربيون حتى اليوم».

الوقف الصحي أنواعه واستثماراته
د. سليمان بن جاسر الجاسر (٤٢ : ٢٥ : ٠١)

كيف تؤسس وقفاً مميزاً؟
د. سليمان بن جاسر الجاسر (٢١ : ٣٧)

صديقنا المعداد[١] أنيس كريم بين يدي المريض وذويه

ينبغي على المريض وذويه أن يطرقوا باب الله - عز وجل - في طلب الشفاء، وبخاصة في ثلث الليل الأخير، ليقبل كل منهم بالتذلل لله سبحانه والانكسار والانطراح بين يديه، والتبرؤ من الحَوْل والقوَّة إلا من حوله وقوته سبحانه، مع الإلحاح، ومع حضور القلب أثناء الدعاء، وذلك باستقبال القِبْلة، فيبدأ بحمد الله، والثناء عليه، والصلاة على النبي ﷺ ولا يستعجل الإجابة، فإن الله سميع مجيب.

مشروعية التسبيح بالمعداد ونحوه:

«ولا حرج على المسلم في أن يعقد تسبيحه وذكره بما يسمى السُبحة أو بالحصى أو بالنوى، ويدخل في حكم ذلك العداد اليدوي، إذ هو يقوم مقام السبحة أو النوى في عد الذكر وحصره»[٢].

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وعدُّ التسبيح بالأصابع سنة... وأما عدُّه بالنوى والحصى ونحو ذلك فحَسن، وكان من الصحابة رضي الله عنهم من يفعل ذلك، وقد رأى النبي ﷺ أم المؤمنين عائشة تسبح بالحصى، وأقرَّها على ذلك، و روي أن أبا هريرة كان يسبح به. وأما التسبيح

---

(١) المقصود بالمعداد هنا الآلة الإلكترونية الصغيرة التي يثبتها مستخدمها حول إصبعه مثل الخاتم ويسميها البعض بمسميات مختلفة مثل: «المسبحة الإلكترونية»، و «خاتم التسبيح».

(٢) فتوى ١٨٤٠٨- مركز الفتوى التابع لإدارة الدعوة والإرشاد الديني بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر.

بما يجعل فـــي نظام الخرز ونحوه، فمن الناس من كرهه، ومنهم من لم يكرهه، وإذا أحسنت فيه النية فهو حسن غير مكروه، وأما اتخاذه مـــن غير حاجـــة، أو إظهاره للناس مثل: تعليقه فـــي العنق، أو جعله كالسوار في اليد، أو نحو ذلك، فهذا إما رياء للناس، أو مظنة المراءاة ومشـــابهة المرائين من غير حاجة، والأول محرم، والثاني أقل أحواله الكراهة...)[١].

ثمة بُعد آخر لاستخدام المعداد، فهو خير معين لانتظام الذكر وتوزيعه بين تســـبيح وتهليل وتكبير وتحميد وحَوْقَلة وشهادتين وغيرها من أنواع الذكر المتاحة بحيث يسهل على مستخدم المعداد ذكر الله سبحانه بجميع أنواع الذكر المناسب وبعدد كبير من المرات.

فضل الاستغفار:

جُلُّنـــا منا يعلم فضل الاســـتغفار، وثواب المســـتغفرين، وكلنا بحاجة إليـــه وبخاصة المريـــض فهو في ابتلاء من الله ســـبحانه وتعالى وبأمس الحاجة إليه ليكشف عنه ما به من آلام وأوجاع ألمت به. يقول الله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[٢].

أمر النبي ﷺ بالاستغفار دائماً وأبداً بقوله: »يا أيها الناس استغفروا الله وتوبوا إليه، فإني استغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة«.

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٠٦/٢٢).

(٢) سورة هود الآية (٥٢).

وقال عليه الصلاة والسلام «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً»[١].

«طوبى» قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: فرح وقُرة عين. وقال عِكْرِمة: نِعم مالهم. وقال الضحاك: غبطة لَهُم. وقال إبراهيم النَّخعي: خير لهم.

وقال قتادة: هي كلمة عربية يقول الرجل: «طوبى لك»، أي: أصبت خيراً. وقال في رواية: «طُوبَى لَهُم» حسنى لهم، وكان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل وما هي: قال: الاستغفار. وقال رسول الله ﷺ «طوبى: «شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها».

وكلنا يعلم علم اليقين بأن الشياطين لا تريد للمرضى ولا لغيرهم الخير أبداً، فالشيطان يستهوي الإنسان ويستميله ويستخف بفكره وعقله ويبعده عن كل خير وعن كل ما فيه صلاح دينه ودنياه. فتسعى الشياطين جاهدة بالمكر والخديعة حتى تصرفهم عن الاستشفاء بالرقى أو الدعاء أو الذكر أو الاستغفار لكي لا ينالوا الثواب والأجر من الله سبحانه وتعالى.

وكانت المقدمة تلك لتوضيح ما نحن بحاجة إليه من ذكرٍ وتسبيحٍ واستغفارٍ دائم حتى ننال الأجر والثواب من الله سبحانه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: ح (٣٨١٨).

وهكذا فإن حياة المريض ووضعه النفسي تحت تأثيرات عدة قد تكون ذات أثر إيجابي، وقد تعود عليه سلباً فإذا ما عاد إلى الله واسترجع وذكر ربه في كل وقت، وسأله العفو والعافية، وجد الراحة والسكينة والطمأنينة، فنرى والله أعلم أن المعداد وهو الذي أصبح متعارفاً عليه لدى الجميع يذكرنا والمريض أيضا بذكر الله واستغلال كل الوقت في ذكر الله؛ كسباً للحسنات، وتكفيراً عن الذنوب والسيئات، وفيه ذكر دائم لله «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» فيكون المرء بذلك متصلاً مع ربه، مؤمناً بقضائه وأمره فيريح قلبه لكثرة الذكر وتنوعه، ويجعل المريض منتبهاً لضرورة الذكر حال إحساسه بوجوده في إصبعه، وبهذا يبقى القلب متعلقاً بذكر الله، فإما شِفاء من علة وإما أجر عند الله يوم يلقاه المريض وغير المريض.

وهذا حال عبدالله رحمه الله، فقد كان صابراً وراضياً بقضاء الله وقدره، مرتجياً من الله العفو والجنة جزاء صبره على مرضه وثواب ذكره لربه وفضله عليه.

فإلى رحمة الله الرحمن الرحيم بعباده.. وإلى الملتقى في بيت الحمد بإذن الله ورحمته.

ردُّ الوسواس الخناس[١]

من أشد الابتلاءات التي يختبر بها الإنسان عندما يصيبه أو يصيب عزيزاً لديه مرض خطير، أن الشيطان يأتي إليه ويوسوس له بأفكار تستهدف أن تنتزع منه الرضا بالقضاء والصبر على البلاء وتبث فيه حالة من اليأس من رحمة الله ولطفه.

وقد تطرق الإمام العز بن عبد السلام إلى المقصود بالوسواس الخناس حين ذكر-في تفسيره لسورة الناس- أن ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ وسوسة الإنسان التي تحدث بها نفسه، وقد تجاوز الله عنها والشيطان جاثم على قلب ابن آدم إذا سَهَا وغَفَل وسوس، وإذا ذكر الله تعالى خنس و(الْخَنَّاسِ) الشيطان لكثرة اختفائه كقوله ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾[٢] أي النجوم لاختفائها أو لأنه يرجع بالوسوسة عن الهدى أو يخرج بالوسوسة عن اليقين.

ولذلك أمرنا الله سبحانه بالاستعاذة من همزات الشياطين، بل ومن حضورهم بصفة عامة، وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[٣].

فقد يأتي الشيطان ويوسوس لك قائلاً (وأستغفر الله من هذا القول!): لماذا أنت بالذات تصاب بهذا البلاء دونًا عن غيرك؟! لماذا ابنك الذي هو قرة عينك وسندك في هذه الحياة؟! وهل أنت وابنك قد هنتما على الله إلى هذا الحد؟!

---

(١) تم نشر هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/١٢/٢٠.

(٢) سورة التكوير الآية (١٥).

(٣) سورة المؤمنون الآية (٩٧-٩٨).

عندئذ لابد أن تغلق أمام الشـــيطان الباب، لابد أن تكثر من قراءة القـــرآن، وتقتدي بنبيك محمد ﷺ الذي مات ابنه الوحيد إبراهيم فلم يجـــزع أو يضعف إيمانه، بل بكـــى بعينه وحزن من قلبه ولم يقل إلا ما يرضي ربه، كما هو معروف في الحديث المشهور في بابه.

عليك أن تتذكر أخي المبتلى أن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام قـــد ابتلي بابتلاء أكبر من ابتلائك وهو خليل الله وأبو الأنبياء، فإذا بربه يأمره أن يذبح ابنه فيســـتجيب على الفور هو وابنه بقلب مطمئن راضٍ، فالابن من نعم الله وله أن يســـتردها في أي وقت، ليس ملكي ولا ملكك ولا ملك أحد إلا الله.

هذه المعاني عليك أن تستحضرها وتقاوم بها الوسواس الخناس الذي يود ألا يدعك إلا وقد ضمن لك النار والعياذ بالله!

بل عليك أن ترد عليه بعكس مراده بألا يمضي إلا محترقًا من الغيظ بأنـــك قد ضمنت بدلاً من مقعد النار، قصراً في الجنة بإذن الله تعالى، بأن يطلع الله ســـبحانه عليك فيجدك صابرًا محتســـبًا، ذاكرًا الله ذكرًا كثيرًا عسى أن يرضى عنك سبحانه.

فاللهم آيس منَّا الوسواس الخناس وثبت قلوبنا على ما يرضيك عنا، ويسِّر لنا نطق الشهادة عند الممات ولو بقلوبنا.

العلم الشرعي وأثره في الوقاية من الفتن والوساوس عند المريض

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

وإنما أمر الله تعالى بالرجوع إلى أهل العلم والفقه أيام الفتن والمحن؛ لأن من أعظم مكائد الشيطان لأهل الهوى والغالين والخوارج أنَّه يُزيِّن لهم اتِّباعَ الهوى وركوبَ رؤوسِهم وسوءَ الفهم في الدِّين، ويُزهِّدهم في الرجوع إلى أهل العلم؛ لئلاَّ يُبصِّروهم ويُرشدوهم إلى الصواب، وليبقوا في غيِّهم وضلالهم، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[2].

وسوسة الشيطان تزيد المريض إصراراً وإيماناً بالله تعالى:

والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره كما قال الصحابة: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لئن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال ذاك صريح الإيمان، وفى رواية ما يتعاظم أن يتكلم به، قال: الحمد لله الذى ردَّ كيده إلى الوسوسة، أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان كالمجاهد الذى جاءه العدو فدافعه حتى غلبه، فهذا أعظم الجهاد والصريح الخالص، وإنما صار

(١) سورة النساء الآية (٨٣).
(٢) سورة ص الآية (٢٦).

صريحا لما كرهوا تلك الوســاوس الشــيطانية ودفعوها فخلص الإيمان فصار صريحاً[١].

وكلما كان الإنســان أعظم رغبة فــي العلم والعبادة، وأقدر على ذلك مــن غيره بحيث تكون قوته على ذلك أقوى ورغبته وإرادته في ذلك أتم، كان ما يحصل له أن سلمه الله من الشيطان، وكان ما يفتتن به إن تمكن منه الشيطان أعظم.

والإنســان المريض باعتباره في أضعف حالاته الجســدية، وما يمكن أن يعقبها من هبوط معنوياته هو أكثر قابلية لتقبُّل الوســواس أو تلبيس الشيطان من غيره، فيوهمه الشيطان بطرق عديدة للعلاج والتداوي من هذا المرض، والطرق غير المشــروعة، البعيدة كل البُعد عن تعاليم الدين الإســلامي وكذلك تحســين التذمر له، والضجر من قدر الله ســبحانه عليه، إن هذه الأفكار جميعاً هي في الأصل من الشيطان يريد بها إحزان الإنسان وإصابته بالهمِّ والقلق؛ لأن الشيطان كما هو معلوم عدو للإنسان وعداوته قديمة جداً؛ فلقد أقســم أن يغوي آدم وذريته، فهو يبذل كل ما في وســعه لإضلالهم عن طريق الهدى والرشــاد، ولكن هل يكتفي بهذه، لا والله؛ لأن عداوته مبنية على الحقد والحســد يقول الله تعالى حاكياً قول إبليس: «أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا»[٢]؟ إذن فالعداوة قديمة ومتأصلة، والغاية واضحة، وللشياطين مناهج وطرق في الإضلال والإغواء.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨٢/٧).

(٢) سورة الإسراء الآية (٦١).

ومن الطرق التي تضعف الشياطين بها إرادة الإنسان هي:

- ترك الصلاة، أو الانشغال عنها والبعد عن ذكر الله سبحانه.
- الوسوسة والتفكير المضني «الوسواس القهري».
- السهر والأرق والقلق والكوابيس المزعجة.
- تزهيد المريض في الأكل الذي فيه علاجه.
- التعب النفسي والبدني.
- الاستدراج في المعاصي.
- القنوط من رحمة الله.
- السعي وراء السحرة والمشعوذين.
- تزيين المنكر، وتيسير سبل الضلال للمريض حتى يضعف تعلقه بالله تعالى.

وبعض المرضى لا يزال تأتيهم الشياطين من هذه الطرق حتى تخور قواهم النفسية والبدنية والإيمانية، فيفقدون حصونهم الإيمانية والنفسية عندها تحاول الشياطين أن تتغلب عليهم وتملي عليهم ما تريده، فيستجيب لهم البعض ويعصم الله منهم من يشاء، ومن يقع في حبائل الشيطان تُسلب إرادته وتُهزم نفسيته ويصعب علاجه ويسوء حاله، وقانا الله وإياكم شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

إن المسلم الحق يتسم بقوة الإرادة لأنه يعلم أن إرادة الله سبحانه وتعالى فوق إرادة السحرة والمردة والعفاريت يقول تبارك وتعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1]، فينبغي على المسلم أن يبحث عن السبل

(١) سورة الإنسان الآية (٣٠).

التـــي تعينه على عدم الاستســـلام لإرادة الشـــياطين ولا ينتظر حتى تتكيف نفسه على واقع المس واستمراء البلاء، ويمكن أن يقوي المصاب إرادته باتباع الأساليب التالية والتي ينبغي لذوي المريض الانتباه إليه وإعانته عليها:

التســـبيح والتهليل والاســـتغفار وذكر الله عز وجل، والاستمرار على ذلك حتى تزول الوساوس.

تقوى الله عز وجل، والإكثار من الطاعات، والبعد عن المعاصي، يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾[1]، ويقول: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾[2].

يقـــول ابن القيم رحمه الله في الطـــب النبوي: «ومن أعظم علاجات المرض، فعل الخير، والإحسان، والذكر، والدعاء، والتضرع، والابتهال إلى الله، والتوبة، ولهذه الأمور تأثير في دفع العلل، وحصول الشـــفاء أعظم من الأدوية الطبيعية، ولكن بحسب اســـتعداد النفس وقبولها وعقيدتها في ذلك ونفعه».

فيا أخي المريض أنصحك في هذا السياق بما يلي:

- إعـــلان التمرد والعصيان على ما تفرضه عليك الشـــياطين من قيود نفسية وعقلية ووجدانية.
- عدم تهويل أمر السحر والمس، واشغل نفسك بما ينسيك المرض وذلك بقـــراءة القرآن الكـــريم، وحضور المحاضرات، وحِلَـــق الذكر، والقيام بصلة الأرحام وقراءة الكتب المفيدة... الخ.

(١) سورة الطلاق الآية (٢).
(٢) سورة الطلاق الآية (٤).

- الشـــجاعة والوقوف وجها لوجه أمام تحدي الشياطين، ولا يكون ذلك إلا بالصبر والمجاهدة ومجابهة الأحداث بحكمة.

وتعتقـــد طائفة مـــن المرضى أنه لا يتم شـــفاؤهم إلا برقى الشـــيخ الفلاني، فتجد قلوبهم معلقة بهذا الإنسان الضعيف، ومثل هؤلاء يجب عليهم أن يتوبوا إلى الله وأن يحســـنوا الظن به، فالشافي هو الله وحده، هو الذي أنزل البلاء وهو الذي يرفعه متى شـــاء. وأن الشـــيخ المعالج لا يشـــفي أحـــداً ولا قدرة له على الشـــفاء، ولكنه يقرأ مـــن كتاب الله عز وجل وذلك إيمانا وتصديقا لقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، وكم نســـمع أن الشـــيخ الفلانـــي طريح الفراش إثر وعكـــة صحية ألمَّت به، أو أدخل المستشـــفى وكان بالأمس يعالج المرضى !!، فلو كان بيده الشـــفاء لماذا لم يشـــف نفسه؟ وكان لا يعني أن لا نسأل أحدًا الرقية، فلقد كانت أم المؤمنين- عائشـــة ﵂ ترقي النبي - صلى الله علهي وســـلم - بيد نفسه في مرضه الذي مات فيه. وهناك حالات لا يســـتغني معها بالاستعانة بذوي الصلاح و الخبرة بعد الاستعانة بالله سبحانه وتعالى.

فعن معاذ بن جبل أن نبي الله ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشـــاة القاصية والناحية، فإياكم والشـــعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد»[2].

---

(١) سورة الإسراء الآية (٨٢).

(٢) أخرجه أحمد: ح (٢٢١٠٧).

من هنا فخلاصة هذا الموضوع الذي يحتاج منا إلى شرح وافر، لا تكفيه هذه الوريقات القليلة، أن من لديه العلم الشـــرعي يلجأ لكل ما يرضي الله ســـبحانه وتعالى لكي يتغلب علـــى مرضه، ويمنحه صبراً على هذا الابتلاء بقلب راضٍ بقضاء الله وقدره، فلا يخســـر دينه ولا يتبع ســـبل الشـــيطان فيضله عن الصراط المستقيم، وينال الأجر العظيم الذي وعده الله إياه.

وإنني أحمد الله ســـبحانه وتعالى أن منّ علينا بابن كان راضياً بأمر الله وقضائه، يسعى لعلاجه بشتى الطرق المشروعة المتاحة، دون سخط أو قنـــوط من رحمة الله، مؤمناً بأن الأعمار بيد الله، وأن الشـــيطان لم يجد ســـبيلاً لقلب ولدي كي يضله عما يرضي اللـــه، ويثيبه على صبره بالمغفرة والثواب الحسن.

اللهم تقبله عندك وأســـكِنه الفردوس الأعلى، واســـقه من يد حبيبك المصطفى ﷺ من نهر الكوثر شربة لا يظمأ بعدها. وآجرنا في مصيبتنا بأن نلقاه في بيت الحمد.

الرضا بالقضاء والقدر
د. عمر عبدالكافي (٥٥ : ٤)

فائدة النفس المطمئنة
الشيخ صالح المغامسي (٥٣ : ٤)

الأسلوب الأمريكي في التعامل المعلوماتي مع المريض[١]

لكل مجتمع طابعه الخاص الذي يميزه.

وبدوره المجتمع الأمريكي ذو الخليط الواسع من الأعراق المختلفة المنصهرة في بوتقة كبيرة له طابعه الخاص نتيجة هذا التكامل المبني على نمط محدد، يحدوه النظام والترتيب، وتنتظمه قيم كثيرة من شأنها إبراز كل ذي جهد متميز مهما كان لونه أو عرقه أو وطنه.

ولا تخفى أهمية هذا الأمر نظرًا للطبيعة الخاصة للمجتمع الأمريكي الذي يعد بمثابة جامع لأجناس البشر، فقد هاجر الناس إلى أمريكا من كل حدب وصوب، حتى أنك تجد فيها الأبيض والأسود، وذوي الأصول الأوروبية والأسيوية والأفريقية واللاتينية، كما تجد فيها المؤمنين بالديانات على اختلافها، والملحدين، ناهيك عن الاختلافات الفكرية والثقافية الأخرى التي تنصهر كلها في بوتقة واحدة تسمى بـ «المجتمع الأمريكي».

ولا ينكر المرء وجود رواسب سلبية كثيرة نتيجة هذا الأمر بعضها ذو جذور تاريخية -كالتعصب وغيره - كما في كل المجتمعات الإنسانية بما فيها المجتمع الأمريكي، إلا أن الظاهر والغالب في هذا المجتمع -كما سبق القول- هو أن المرء بإنجازه وتميزه لا بلونه وأصله، ولا معيار للتفرقة بين الناس هناك إلا هذا المعيار.

---

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/١/٤م.

هذا بشكل عام.

والذي يعنينا في هذا السياق في رحاب الرحلة مع عبدالله إلى بيت الحمد إن شاء الله هو الجانب الطبي في المجتمع الأمريكي؛ نظرًا لأن هذا هو الجانب الذي لمسته بنفسي وعشت معه أياماً طويلة من حيث الزمن والأحداث والضحكات والآلام؛ لذا كانت لنا هذه الوقفة مع هذا الجانب، لاسيما الأسلوب المتبع في المستشفيات الأمريكية في العلاج، ولعل في هذا التوثيق نفعًا لمن ينوي الذهاب للعلاج في الولايات المتحدة الأمريكية، شفانا الله جميعًا وأهلينا وأحبابنا.

ولعله من المناسب أيضاً والموضوعي التأكيد على أن مشاهدتي هذه كانت في مستشفى واحد، وأفترض أن الآلاف الباقية من المستشفيات مثله، ولذا سأعتبرها نموذجًا لبقية المستشفيات هناك، بخاصة وأنني لم أسمع أن هذه المستشفى التي كنت فيها تختلف عن غيرها في أمريكا.

وأنبه أولاً إلى أنني لا أقصد هنا العلاج بمعناه المادي فقط، بل بمعناه النفسي كذلك، وهما متكاملان، لا غنى لأحدهما عن الآخر.

أما العلاج من الناحية المادية فهو لا يحتاج إلى كثير من الكلام باعتبار أن أمريكا هي أحد أكبر الدول المنتجة للأدوية الناجعة في العالم، فهي تتفوق على غيرها من الدول من حيث الكم ومن حيث الكيف «أي الجودة».

وأما العلاج النفسي فهو يشمل أسلوب القائمين على تلك المستشفيات والعاملين فيها في التعامل مع المرضى ومرافقيهم سواء من الأهل أو الأصدقاء، إذ يتبنى هؤلاء أسلوب الشفافية والمصارحة الكاملة مع

المريض نفســه ومع مرافقيه، أياً كانــت درجة خطورة المرض الذي يعاني منه المريض، بل حتى لو كان سيؤدي إلى الوفاة بعد أيام معدودة.

ولا يقتصر الأمر على المصارحة بطبيعة المرض ودرجة خطورته فقط، بل بمراحل علاجه ومدتها، بالإضافة إلى نسبة الشفاء المتوقعة من واقع الإحصائيات المتراكمة، فضلاً عن تكلفة العلاج.

وإذا نظرت إلى هذا الموقف حسبته لأول وهلة موقفاً قاسياً لا رحمة فيه ولا شفقة، غير أنه بمزيد من التأمل تجد أنه يحمل احتراماً وتقديراً للإنســان، ويعبِّر عن الثقة فيه وفي قدرته على تحمُّل المسئولية برباطة جأش، بالإضافة إلى أنه يوقفه على حالته بوضوح مما يؤهله نفسيًا لكل الاحتمالات الممكنة، فيستعد لها غاية وسعه ومعه أسرته التي تقوم كذلك بترتيــب أمورها على نحو صحيح، فلا يفاجئ أي منهم بأمر غير متوقع، بقدر الإمكان البشري بالطبع.

ولا أخفي أن اتباع المستشفى لهذا الأسلوب من الصراحة والشفافية قد أفادنا كثيراً وأوقفنا على مرض ابني عبدالله – رحمه الله – فتأهلنا نفسيًا لما حدث له على الرغم من عِظَم المصاب، ولو اختاروا أسلوبًا آخر لكنا قد تعرضنا لصدمة أكبر قد تذهلنا من فُجأتها، ولكن الله سلَّم.

ووجه الفائدة في نقل هذا الأمر إلى القارئ العربي تحديدًا، لاسيما العاملين فــي المجال الطبي من أطباء وطبيبات وإدارات للمستشــفيات والعاملين فيها، أن يأخذوا هذا الأسلوب الصريح الشفَّاف في الاعتبار، وهو يحقق فائدة للمريض ولأسرته وللأطباء أنفسهم كذلك.

فأما المريض فهو يكون على بينة من مرضه وخطورته فيزداد حرصًا على الالتزام بتعليمات الطبيب ويتجنب كل ما من شأنه أن يحدث ضرراً له، بل وإن كان مرضه ميئوساً من شفائه، فإنه يستعد للموت بتوبة نصوح، وتقرَّب إلى الله، وطلب المسامحة ممن قد يعتقد أنه قد أساء إليهم أو قصَّر في حقهم.

وأما أسرة المريض فإنها كما سلف القول تستعد لكل الاحتمالات وتهيء نفسها لها، وترعى المريض بما يتلاءم مع مرضه وخطورته، وما يحتاجه من عناية خاصة تستلزم أحيانًا عدم الإثقال عليه بالزيارة أو بالأخبار التي من الممكن أن تزعجه أو تؤلمه.

وأما الطبيب فإن هذا الأسلوب يجعل الجميع يساعده في عمله قدر إمكانهم، سواء المريض نفسه أو أهله أو عُوَّاده، فضلاً عن أنه يؤهلهم نفسيًا لكل الاحتمالات، ويخفف الصدمة عليهم حال الوفاة خاصة، فلا تحدث تلك الاعتداءات المتكررة على الأطباء نتيجة اعتقادات خاطئة في الغالب بتقصير الطبيب وإهماله؛ لأنهم أصلاً لم يكونوا على بينةٍ من أمر المرض الذي ألمَّ بمريضهم ومدى خطورته.

لكل ذلك فإنني ممن يشهدون برقي الأسلوب الأمريكي في العلاج وضرورة أن نحتذي حذوه في شفافيته وإتقانه قدر وسعنا.

الجمع بين التعمُّق التخصصي وتكامل التخصصات

مما يلفت النظر فـي النظام الطبي الأمريكي هو التوازن بين التميز فـي التخصص لكل متخصص في فرع من الفروع الطبية، وبين التكامل الجيد بين المتخصصين في فروع طبية مختلفة ليشـكلوا فريقاً متكاملاً يلزم وجوده مكتملاً لتتوفر البيئة الطبية المتكاملة للعلاج الأمثل للمريض، وعندما أقـول: «المتخصصين» لا أقصد فقط الأطباء، بل بالإضافة إلى التكامـل في التخصصات الطبية، يتميـز البقية في توفير التخصصات المسـاندة المكملة للعلاج، كالعلاج الطبيعي وأخصائي الجهاز التنفسـي، وأخصائي علاج النطق.. الخ.

ولو أخذنا على سبيل المثال لا الحصر حالة ورم المخ فإننا نجد تعاوناً ملموساً بين فرق متكاملة تشكل في مجموعها مستشفى متكامل بالفعل.

ففي مجالي أمراض الأعصاب وجراحة الأعصاب تتكامل التخصصات التالية في جناح واحد كل يقوم بدوره فيه في مجاله:

Neurology	علم الأعصاب
Neurosurgery	علم جراحة الأعصاب
Neurooncology	علم علاج الأورام
Neuropathology	علم تحليل الخلايا السرطانية
physiotherapy	علم العلاج الطبيعي
speech therapy	علم علاج النطق
Respiratory	علم أمراض الجهاز التنفسي

وتأتي الاستشـــارات بين هذه الفرق إما باجتماعات منتظمة، أو كلما دعت الحاجة، أو بالمراسلة المباشرة بالبريد الإلكتروني الذي تتم مراجعته من قبل الجميع أولاً بأول، فإذا احتاج المريض علاجاً أو فحوصات معينة فليس علـــى الممرض أو الممرضة المختصين ســـوى الدخـــول على نظام الحاســـوب الذي تسجل فيه أساساً كل صغيرة وكبيرة في سجل المريض والطلب المباشـــر الكترونياً من الأقسام المختصة، وما هي إلا فترة زمنية وتأتـــي التفاعلات من جميـــع الجهات المعنية في المستشـــفى من الفرق المتخصصة المذكورة كل فيما يعنيه.

الجمع بين المنهج العلاجي الحذر وتحمل المسئولية باتخاذ القرار لإجراء اللازم

قد تختلف المدارس العلاجية بين دول العالم في مدى حذرها المتمثل في اتباع المنهج المتدرج في العلاج وبين إقدامها على العلاج المطلوب في آخر مراحله لصالح المريض، وبين المنهجية تتم مراعاة الآثار الجانبية المتوقعة بعد كل مرحلة من مراحل الفحص أو العلاج، إن الطبيب المختص يختار المنهج الحذر في البداية وهو استخلاص عينة من عموم الورم بإبرة خاصة يتم الفتح لها في الجمجمة بفتحة صغيرة وذلك من أجل التحليل الدقيق لهذه العينة، وبالتالي تحديد نوع الخلية من أجل تحديد نوعية العلاج الإشعاعي والكيماوي ومداهما في إيقاف انتشار المرض على الأقل.

وعادة ما يتم المطلوب بنجاح إلا أن نتائج الاستزراع للعينة قد تظهر النوع الشرس للخلايا السرطانية التي قد لا تستجيب للعلاج الإشعاعي بل على العكس تكون أحياناً من نسبة ٢٥٪ من المرضى الذين أثبتت الدراسات الإحصائية العامة أنهم لا يستجيبون للعلاج الإشعاعي بل تسوء حالتهم معه.

عندها يتدخل الطبيب الجراح المسئول في أغلب الأحيان ليجري العملية الجراحية الكبرى والتي كان يتجنبها في البداية خشية نتائجها الجانبية السلبية المحتملة والتي يتوقع حدوثها في العادة بل أن يقدر المدة الزمنية التي قد تستمر فيها ثم تشفى.

وهكذا يجيء قرار التدخل الجراحي في وقته المناسب.

وكذا الحال عندما تسوء حالة المريض حيث يتدخل أطباء الجهاز العصبي في الجناح المختص ليوقفوا العلاج الكيماوي على الفور ليكتفوا بالعلاج الإشعاعي المركَّز ولمدة أقل للتسابق مع المرض أو الورم ريثما تستقر الحالة الصحية للمريض، وقد يبدو أن القرار قد يكون قاسياً حين يمنع العلاج عن المريض، إلا أن الممرضة والطبيب على السواء يهتمون ويشرحون في العادة الأسباب التي من أجلها يتم الإيعاز للطاقم الطبي بإيقاف العلاج الكيماوي؛ لأن له تأثيراً كبيراً على ازدياد الحالة المرضية سوءاً ريثما يمكن العودة إلى استئناف العلاج الإشعاعي، «بجرعة أقوى لمدة أقل».

فهكذا يكون الجمع بين المنهج العلاجي الحذر وتحمل المسئولية باتخاذ القرار لإجراء اللازم.

الانسيابية والشفافية التامة مع المريض وذويه في حجم المعلومات المقدَّمة لهم

قد تختلف المدارس الطبية في مدى انسيابية المعلومات المتاحة للمريض، إلا أن المدرسة الأمريكية تقوم على المصارحة التامة للمريض نفسه فضلاً عن ذويه بكافة تفاصيل المرض والإحصاءات العامة في معدل المدة الزمنية التي تحدث الوفاة خلالها قياساً على آلاف المرضى الآخرين قبله.

وهذا ما كان يؤلمنا بشكل كبير عندما كان يصارحنا الأطباء وأمام عبدالله الذي يفوقنا - رحمه الله - في فهم اللغة الانجليزية والمصطلحات الطبية، وكان يسمع بنفسه كل الحقائق أمامه فيتقبلها بكل أريحية تقوم على رضاه - رحمه الله- بقضاء الله وقدره ولم يكن يظهر عليه الجزع ولا السخط، بل الطمأنينة والقناعة والحمد لله رب العالمين، ولعل ذلك من علامات التوفيق للشهادة إن شاء الله.

دور التأمين الصحي في النمط السخي للإنفاق على العلاج

يتميز المستشفى الأمريكي بالإنفاق بسخاء على العلاج والفحوصات الطبية اللازمة له رغم ارتفاع التكلفة بشكل باهظ، ويقوم ذلك على مبدأ التأمين الصحي لكافة المواطنين المشـــتركين في برامج التأمين الصحي والـــذي بموجبه تتكفل شـــركات التأمين بتحمل التكلفـــة اللازمة، والتي يقابلها للمرضى الأجانب السفارات التي تتحمل علاج مرضاها بالخارج، أو الأفـــراد الذيـــن يدفعون مقدماً على الأغلـــب تكلفة علاجهم من باب الاحتياط لتفادي عدم القدرة على دفع الرسوم العلاجية.

وبالتالـــي لا يوجد أي تردد في اتباع أي خطوة علاجية لازمة في ظل الاطمئنان بالتغطية المادية مهما كان حجمها، الأمر الذي يوفر الشعور بأن الأسباب الطبية الممكنة كلها قد تمَّ بذلها، ولكن الله غالب على أمره.

حسن اختيار المركز الطبي بجامعة سان فرانسيسكو

أجمع الجميع في الكويت والولايات المتحدة أننا قد أخذنا الحبيب عبدالله إلى أحد أفضل الأماكن المتخصصة في نوع مرضه في العالم وليس فقط في الولايات المتحدة الأمريكية.

ولعل هذا من علامات التوفيق إلى الأصلح منذ البداية، وهو التوجيه الذي اختاره لنا الأخ الاستشاري د. هشام يسري استشاري جراحة الأعصاب في مستشفى ابن سينا، والذي كان مشرفاً على الفريق المعالج لعبدالله في فترة دخوله المستشفى وتشخيص العلاج.

ولعله دون أن يعلم بأنه لما رشح هذا المكان فقد اختار من بين كل مستشفيات الدنيا ذلك المستشفى الكائن في المدينة التي تدرس بها د. لطيفة شقيقة الحبيب عبدالله وزوجها د. فواز الزعبي وكلاهما يدرس مرحلة الزمالة والدكتوراه «البورد الأمريكي» في طب الأسنان، الأمر الذي جعل الأمور ميسرة للغاية انطلاقاً من استقرارهما هناك، الأمر الذي لا يمكن حصر إيجابياته من النواحي الطبية واللوجستية بل والمعنوية، وهو واضح للعيان غني عن البيان بحمد الله وتوفيقه.

فما ألطف الله بعباده وأرحمه بهم سبحانه.

غُرف حضارية في المستشفيات الأمريكية[١]

- غرفة الانتظار للعمليات.
- غرفة الاجتماع بعائلة المريض.
- غرفة التأمل. Room Meditation
- غُرف العناية المركزة.
- غُرف العناية المتوسطة والعادية.

ليست العبرة بالغرفة كمبنى وأثاث، ولكن العبرة بمبدأ تخصيص كل غرفة من أجل تحقيق هدف معين بحيث يحسب حساب وجودها منذ رسم مخطط مبنى المستشفى في اللحظة الأولى للتصميم، وذلك لتوفير خدمات متكاملة مع الخدمات الطبية الأساسية، في مراعاة للعامل الإنساني الذي يأخذ في الاعتبار مراعاة توفير سبل الراحة المطلوبة لأهل المريض من جهة، ولتوفير مكان بديل لهم عن التجمُّع في غرف المرضى خصوصاً عندما تكون ظروف الزيارة محددة لا تسمح بالإطالة عند المريض، أو حضور عدد كبير من أفراد الأسرة في مثل حالتنا.

وفيما يلي نماذج من هذه الغُرف الحضارية:

غرفة الانتظار للعمليات:

لفت نظري تخصيص هذه الغرفة الواسعة لاستقبال عائلات المرضى الذين يدخلون غُرف العمليات الجراحية على وجه التحديد بحيث تتكفل

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/١/٢٦م.

ممرضة محددة من الطاقم الطبي في غرفة العمليات لتقوم بتزويد الموظفة المسئولة في هذه الغرفة بآخر أخبار سير العملية على مدار الساعة لتخبر الأهالي أولاً بأول عن سير الأمور، الأمر الذي يغني الأهالي عن التجمهر عند باب غرف العمليات، ويزيل عنهم القلق من المجهول حيث من الصعب الدخـول إلى غرف العمليات والاطمئنـان إلى أوضاع المريض فيها، وهذا بحدِّ ذاته يعتبر مؤشراً حضارياً لاحترام مشاعر عائلة المريض، وتخفيض الضغط النفسي عنهم حين تعلم مقدماً أن العملية ستستغرق ساعات طوال حتى تنتهي ويتم تزويدها خلالها بتطورات العملية على مدار الساعة.

غرفة الاجتماع بعائلة المريض:

أما هذه الغرفة فمخصصة لمفاتحة عائلة المريض بالأمور الأساسـية والأخبار التي قد تكون آثارها جسـيمة في نفوسهم، بحيث لو بدت عليه آثـار التفاعل مع الأخبار غير السـارة فإنهم يكونون بمفردهم في غرفة واحدة يواسي بعضهم بعضاً بعيداً عن أهالي المرضى الآخرين، وفي ذلك احترام كبير لخصوصيتهم بما يوفر مظهراً حضارياً للتواصل السليم.

كمـا أ نه من المهم جـداً أن لا يحدث هذا النوع مـن التواصل والإبلاغ بالأخبـار الجسـيمة وتطورات المرض أو الوفاة المتوقعـة في غير مثل هذه الغرفة، مثل غرفة المريض نفسه أو في الممرات أو غُرف الانتظار الأخرى.

غرفة التأمل Meditation Room:

وتفتح من السـاعة السابعة صباحاً حتى التاسعة مساءً بهدف توفير المـكان الهادئ إما للتأمـل والبعد عن الضوضـاء والحركة التي تحدث

بشـــكل لا إرادي في أروقة المستشـــفى، أو للعبادة المباشرة التي يمارسها رُواد المستشفى من الديانات المختلفة.

وتتوفر في هذه الغرفة رغم صغرها ســـبل التأمل الروحي وممارسة العبادات المختلفة في ضوء عدم إزعاج الآخرين.

فتوجـــد في خزانة هذه الغرفة نســـخاً من القـــرآن الكريم والإنجيل والتوراة وكتب الديانة البوذية والهندوسية.. الخ، فضلاً عن عدد جيد من ســـجادة الصلاة للمســـلمين مع توفر مصليات للنساء، الأمر الذي يجعل الغرف ملاذاً جيداً للراغبين بأداء الصلاة من المسلمين، وبقية الديانات.

ومـــن اللافت للنظـــر أننا حين دخلنا هـــذه الغرفـــة لأول مرة لأداء صلاة الجماعة في هذه الغرفة رغم صغرها وجدنا فيها راهباً ممســـكاً بمســـبحته وفي زيـــه الديني، فحين لمح الســـجاد بأيدينـــا ونحن نحاول الاستدلال على اتجاه القبلة مستخدمين هواتفنا ذات التطبيقات المتصلة بالأقمـــار الصناعية لتحديد اتجاه القبلة وأوقات الصلاة، ويقدر الله أن يحدث اختلاف في هذه التطبيقات الهاتفية التي قد تحتاج إلى تأكيد من ضبطها الصحيح لتنتج القراءة السليمة لاتجاه القبلة، فتدخل قائلاً:

«إن زملاءكم يتوجهون في صلاتهم إلى هذا الاتجاه، فحسم الخلاف مؤكـــداً رجحان أحد التطبيقات، الأمر الذي اســـتفدنا منه طوال الفترة التي قضيناها بالمستشفى».

ومـــن الجدير بالذكر أن هذه الغرفة مـــزودة بكتيبات صغيرة الحجم أنيقة الشـــكل في مكان بارز في مدخلها تضـــم كل أنواع الخدمات التي يمكـــن أن يحتاج إليها المريض في أحواله الخاصة ومراحله المتقدمة، مع

ترك أكثر من سجل لتسجيل الانطباعات أو الملاحظات المتعلقة بالمرضى أو مرافقيهم أو الكلمات العامة المعبرة.

غُرف العناية المركزة:

وهي ست عشرة غرفة توفر كل منها العناية المركَّزة المطلوبة للمريض ولقسم جراحة الاعصاب فقط بشكل مستقل عن غرف العنايات المركَّزة الأخرى، حيث تبلغ النسبة المتبعة فيها للممرضين الى المرضى نسبة واحد لواحد في تفرغ شبه كامل للمريض من قبل الممرض.

ولئن كانت هذه الخدمة متشابهة مع نظيراتها في سائر المستشفيات خارج الولايات المتحدة الأمريكية إلا أن هذه الغرفة تتميز بتزويدها بما يصعب حصره من التجهيزات الموجودة فيها، أو الجاهزة للوصول إليها من شتى الجهات الأخرى الموفرة للخدمات الطبية الأخرى، وتقديراً للحالة الصحية لبقية المرضى والمريض نفسه يقتصر عدد الأشخاص المسموح لهم بالبقاء مع المريض على اثنين من الزائرين كحد أقصى في آن واحد، فضلاً عن عدم السماح بتشغيل الهواتف النقالة لما يمكن أن تسببه من إزعاج داخل جناح العناية المركزة.

ورغم ذلك كان التعامل إنسانياً حين اشتد الأمر بعبدالله رحمه الله وأطبق الورم على سائر أجزاء المخ، وفقد الوعي، وصعب الحال سمح الأطباء والممرضون لكل العائلة أن تتواجد من حوله حيث بلغ عددنا ثمانية أفراد في وقت واحد، بل أحضروا لنا الكراسي، وعرضوا إحضار الماء والعصير وسائر العوامل التي تهيئ لنا الجو المناسب للوداع، وتقديراً للحالة النفسية العصيبة لنا في تلك الفترات أغلقوا علينا الباب وأرخوا الستائر

وبدءوا يستأذنوننا لحركتهم بعد أن كانوا في الأوضاع الطبيعية يطلبون منا إخلاء الغرفة لأي خدمة طبية يرغبون بإجرائها لعبدالله رحمه الله.

والحق يقال: إننا كنا أسرة مثالية تمتثل التعليمات الطبية والتوجيهات العامة طوال فترة العلاج متجنبين أي مظهر من مظاهر الإزعاج في تعاون كبير مع الهيئة التمريضية.

والجدير بالذكر أن الممرضين في هذه الغرف وفي هذا الجناح بشكل عام قد تم انتقاؤهم بعناية بعد خبرة طويلة تؤهلهم لحسن تقديم الخدمة باقتدار وثقة وبمفردهم في كثير من الأحيان.

غُرف العناية المتوسطة والعادية:

لقد تم تخصص الجناح الثامن في جزئه الجنوبي من المستشفى بشكل مركَّز لغرف العناية المتوسطة التابعة لتخصص جراحة الأعصاب (Neurology) وهي تلك الغرف التي ينقل إليها المريض بعد انتهاء علاجه في غرف العناية المركزة، وقبل تحويله إلى الغرف العادية، وتتميز هذه الغرف أيضاً بكادر طبي متخصص مؤهل يتناسب مع المرحلة الطبية المهمة التي يمر بها المريض، مع أخذ القراءات الطبية كل أربع ساعات بدلاً من أخذها كل ساعتين كما في غرف العناية المركزة، مع ارتباط الأجهزة فيها بمركز التمريض في وسط الجناح بحيث تظهر لديهم القراءات أولاً بأول.

ويقاس عليها غرف المستشفى العادية حيث تتم أخذ القراءات الطبية اللازمة كل ثمان ساعات.

بلاغ الولادة الحقيقية... في رسالة هاتفية[١]

هذه رسالة لها خصوصية عندي لما احتوته من بلاغ الوفاة الذي اعتبره البلاغ الحقيقي للولادة الجديدة باعتبارها تنتهي ببيت الحمد بفضل الله ورحمته ووعده الحق.

والقصة بدأت في الصباح الباكر يوم السابع والعشرين من سبتمبر عام ٢٠١٤م حين فاضت الروح الطاهرة للحبيب عبدالله رحمه الله.

وقد سهرنا نحن أفراد أسرته كاملة طوال الليل معه في لحظاته الأخيرة وتكاد تخرج أرواحنا معه من الحزن عليه وعلى شبابه والحمد لله على كل حال.

فلما قضى الله سبحانه أمره ولا راد لقضائه طلبت من أفراد الأسرة الكريمة أن لا يخبروا أحداً بوفاته حتى أكتب رسالة بوفاته تليق بمقامه لدينا، ولا تكون مجرد رسالة تقليدية تحمل خبر وفاته لأن «عبد الله عندنا غير».

وهو يستحق نعياً يليق به وبقيمته لدينا فانفردت في غرفة الانتظار لبضع دقائق لأكتب ما وفقني الله إليه من تعبير عفوي عن شعوري وشعورنا جميعاً حينها، ووجهتها إلى أخي الأكبر «ناصر» ليبلغ سائر الأهل والأحباب، ولم أتوقع أنها وخلال ساعات تبلغ الآفاق من خلال وسائل التواصل الاجتماعي ويعلم الله سبحانه أنها كانت عفوية للأهل غير مقصودة بهذا الانتشار الكبير في وسائل التواصل الاجتماعي، وقد انطلقت خصوصيتها من خصوصية الحبيب عبدالله.

---

(١) تم نشر هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/١٢/٦.

وفيما يلي نص تلك الرسالة بعد الوفاة التي اعتبرتها البلاغ الحقيقي للولادة:

«الحمد للـــه على ما اختار لعبدالله أن يبنـــي لوالديه في الجنة بيتاً اســـمه بيـــت الحمد كما وعدنا ربنا على لســـان نبيه صلـــى الله عليه و سلم:

عن أبى ســـنان قال: دفنت ابني ســـناناً وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر، فلما أردت الخروج أخذ بيدي، فقال: ألا أبشرك يا أبا سنان؟

قلـــت: بلى، قال: حدثني الضحاك بن عبد الرحمن عن أبى موســـى الأشعري عن النبي ﷺ قال:

إذا مات ولد الرجل يقول الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟

فيقولون: نعم.

فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟

فيقولون: نعم.

فيقول: ماذا قال عبدي؟

قال: حمدك واسترجع.

فيقول: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه «بيت الحمد»[1].

ومعنى استرجع: قال إنا لله و إنا إليه راجعون.

---

(١) أخرجه الترمذي: ح (١٠٢١) وحسَّنه الألباني (انظر ص ١٧٦ تسع روايات للحديث نفسه).

وإني لعلى يقين بحسن ظني بربي أنه سيستضيفني و والدته الحنونة أم عبدالله هناك بوعد الله وبرحمته وفضله، وسنستضيف عندئذ كل أحبابنا وأحباب عبدالله الذين ضجوا بالدعاء له وغمرونا بمشاعرهم الصادقة الفياضة ونعدهم أننا لن ننساهم في ذلك اللقاء الموعود في ذلك البيت المشهود.

وقد أكرمه الله سبحانه و أكرمنا معه بذلك قبل قليل و حسب توقيتكم في الكويت في الساعة الخامسة من مساء اليوم السبت الثالث من العشر المباركات من ذي الحجة.

كما أبشرك دون سرد التفاصيل بعظم التيسير الذي لاقاه عبدالله في جميع مراحل مرضه وعلاجه فقد كانت أمور علاجه ميسرة بشكل منقطع النظير يشبه شخصيته الوديعة الطيبة التي تعرفونها جيداً دون تزكية مني حتى انه لم يعاني إلا بقدر ما شاء الرحمن ان يتفضل به عليه من تكفير الذنوب ورفع الدرجات بإذنه وفضله وكرمه وهو أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله على كل حال.

والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

وإنا لله وإنا إليه راجعون».

أو «والدٍ» صالح يدعو له![1]

قد يختلط الأمر على القارئ في البداية فيظن أن العنوان به خطأ لغوي واضح، وهو أنه استبدل «والد» بـ«ولد»، ولكن الأمر ليس كذلك، فإنني قصدت ما ورد بهذا العنوان تمامًا، وهذا هو تفصيل ما دفعني إلى ذلك:

حين مات ابني الحبيب عبدالله - رحمه الله - وجدتني أتشوق إلى أن أبره بعد وفاته وفاءً له وحبًا، وكنت كلما جلست أفكر في ذلك يرد إلى خاطري على الفور حديث النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[2].

فأقول في نفسي: سبحان الله، وماذا عن الوالد الذي يُتوفى ولده، هل منحه الإسلام الفرصة ليبرَّ ولده بعد وفاته حتى لا ينقطع عمله الصالح عن الدنيا، مثلما هو الحال بالنسبة للولد تجاه أبيه بعد موته؟

إن الله سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم وهو العدل كذلك، فليس معقولاً أن يبخس حق الأب الذي فقد ابنه في حياته ويجعله مكبَّل اليدين عن أي عمل لولده يخفف عنه آلامه، ويسعى به إلى زيادة ثوابه حتى لا ينقطع عمله عن الدنيا، مثلما هو الحال بالنسبة للأب المتوفى الذي يخلفه ولد صالح يدعو له.

---

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٤/١٢/١٤م.

(٢) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١).

كما أنه سبحانه هو العدل، ومقصده من إرسال الرسل بالبينات هو تحقيق العدل كذلك، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[١]، وليس من العدل التفرقة بين الولد الصالح الذي يموت والده، والوالد الصالح الذي يموت ابنه في حياته، ومن ثم فمن المؤكد أن الحق عز وجل قد فتح الباب للوالد الصالح كما فتحه للولد الصالح، فإنه سبحانه لا يظلم مثقال ذرة.

وزاد الأمر إلحاحًا في ذهني أنني كنت أتلقى اتصالات بعض أصدقاء ابني ويزورونني وأجد في نفسي الحاجة إلى أن أكرمهم إكرامًا لابني، وأشتاق إلى الجلوس معهم لأشعر بقربه لأنني أراه فيهم، مما كان يستدعي إلى ذهني كذلك، قوله ﷺ: «إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الأب»[٢]، وكذلك ما رواه الصحابي مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه، قال: «بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»[٣].

فماذا عن وصل الأب بأهل ودِّ ابنه المتوفى، وإكرام أصدقائه؟!

---

(١) سورة الحديد الآية (٢٥).

(٢) رواه مسلم: ح (٢٥٥٢) في صحيحه، والبخاري في الأدب المفرد: ح (٣٦٦٤).

(٣) رواه أبو داود: ح (٥١٤٢)، وأحمد في مسنده: ح (٣٦٦٤).

بحثــت عن إجابــات تريحني، وتريح من هم في مثــل حالي، يرجون رحمة ربهم، فوجدت ما كنت أوقن به من عظمة الإســلام دين الرحمة، ورأيت مبشــرات لا تدع الأب المكلوم في ابنه حيرانًا آسفًا، بل مستبشرًا مسروراً، ومن تلك المبشرات على سبيل المثال لا الحصر:

١) إن دعوة الأب لولده مستجابة سواء كان الولد حيًا أم ميتًا، مصداقًا لحديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهــن: دعوة المظلوم، ودعوة المســافر، وَدَعْوَةُ الْوَالِــدِ لِوَلَدِهِ»[١] فقد وردت الدعــوة هنا من الوالد لولــده غير مقيدة بأن يكون الولد حيًا يرزق، بل من باب أولى حين يذهب للقاء ربه، فيدعو الأب ملء قلبه، بعين باكية وقلب متضرع، وبخشــوع كامــلٍ، يرجو أن يغفر لابنه وأن يسكنه فسيح الجنات ويزوجه بحور العين عوضاً عن عدم زواجه من إحدى نساء الدنيا بعد أن حال الموت بينه وبين ذلك.

٢) إن الدعوة التي تنفع الميت لا تقتصر فقط على ولده الصالح بل تتسع لتشمل المسلمين جميعًا، وآية ذلك هذا الدعاء الذي من المستحب أن يدعو به المسلمون جميعًا لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان حتى يوم القيامة. فــي: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[٢].

(١) صححه الألباني في كتابه: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، وهناك أحاديث صحيحة أخرى وردت بالمعنى نفسه، مثل قوله ﷺ: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، دعوة الصائم، دعوة المسافر» (البيهقي ٣٤٥/٣ ، الضياء المختارة (١٠٨/١)، صححه الألباني في الصحيحة ١٧٩٧)، وقوله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات: الوالد، المظلوم، المسافر» (أبو داود ١٥٣٦ المسند ١٥٤/٤، صححه الألباني في الصحيحة ٥٩٦).

(٢) سورة الحشر الآية (٥).

فضلاً عن أن مفهوم الولد الصالح نفسه يتسع للابن والابنة ولكل محب للمتوفى حتى ولو كان أحد والديه أو أقربائه، فها هو العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز -رحمه الله- يذهب إلى أن الوالد المتوفى تنفعه دعوة ولده الصالح، كما تنفعه دعوة المسلمين أيضاً، وإذا دعا له إخوانه، أو تصدقوا عنه نفعه ذلك[١].

أما الاقتصار في الحديث على ذكر الولد الصالح على الرغم من قبول دعاء كل صالح من المسلمين لمن مات دون أن يتوقف ذلك على صلة القرابة أو غيرها، فقد فسره الإمام السبكي بقوله: «وفائدة تقييده بالولد مع أنَّ دعاء غيره ينفعه تحريض للولد على الدعاء»، أي أن الهدف هو حث الولد بالذات على الدعاء لأبيه حتى لا تلهيه الحياة عن الدعاء له، وهو أولى الناس بالدعاء لأبيه[٢].

٤) إن بر الإنسان بأخيه الإنسان هو من المعروف الذي أمر به الدين، ولا يصح التوقف عند ظاهر بعض النصوص دون أن نغوص إلى مقاصدها، ونفسرها بالتكامل مع نصوصٍ أخرى كذلك؛ فعلى سبيل المثال حين نقرأ الحديث النبوي الذي رواه الإمام مسلم «إن أبر البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه» فينبغي ألا نفهم من ذلك أن البر هنا يقتصر على الابن وحده، وإلا فماذا عن برِّ الزوج مثلاً بأهل ودِّ زوجته، فانظر ماذا كان يفعل النبي ﷺ مع صديقات زوجته السيدة

(١) انظر الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، على هذا الرابط:
http://www.binbaz.org.sa/mat/113832

(٢) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، ج ٢، ص ٢٠٨.

خديجة ﵂، وكيف كان يكرمهن وفاءً لها وامتنانًا، مثلما ورد في حديث عن عائشة ﵂ قالت: «ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة ﵂، وما رأيتها قط، ولكن كان يُكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا إلا خديجة فيقول: «إنها كانت وكان لي منها ولد»[١].

إذا كان هذا يتعلق ببر الزوج بزوجته فما بالك ببر الأب بابنه! فالباب مفتوح للوالد على مصراعيه للتواصل مع أحباب ابنه رغم فارق السن، ولعل أقل المشتركات بينهم أن موضوع الحديث يتمحور حول مآثر الفقيد وذكرياتهم جميعًا معه، وترتيب المشروعات الخيرية التي تبرع بها الجميع لصالحه.

٥) إن حق الوالد في دعاء ولده له من بعده محفوظ، فمن مات ولده قبله، وفاتته فرصة دعاء ولده له من بعده، عجَّل الله سبحانه من البشارة بحمده الله تعالى وصبره واحتسابه فبشره ببيت في الجنة اسمه بيت الحمد على النحو السابق ذكره.

فالحمد لله على نعمة الإسلام: الشهادة للولد وبيت الحمد للوالدين في الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري: ح (٣٨١٨)، والترمذي: ح (٣٨٧٥)، وأحمد في المسند: ح (٢٦٣٧٩).

اكتشاف رصيد الثروة: أنا ملياردير![١]

جرت العادة على تصنيف الناس بين أغنياء وفقراء بحسب حالاتهم المادية، ومقدار أرصدتهم في البنوك، حتى أن إحدى المجلات الأمريكية تخرج علينا سنويًا بترتيب أغنى الأغنياء على مستوى العالم وتستعرض ثرواتهم، مما يثير انتباه الناس وأحلامهم كذلك.

فالغنى المادي هو حلم من أحلام البشر الأساسية، وأغلبهم يحلم لو يُغمض عينيه ويفتحها فيجد نفسه وقد امتلك كنزاً من الأموال والذهب، وهو الحلم الذي استغلته بعض الشركات فأجرت مسابقات تعتمد على الحظ للفوز بمبلغ كبير من المال أطلق عليها «اليانصيب»!

وليس هذا غريبًا على ابن آدم وطباعه، فكما قال النبي ﷺ: «لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له ثانياً، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»[٢].

ومعظم خلافات الناس وصراعاتهم تدور لأجل الصراع على المال والثروات المادية المختلفة، بل وكثيرًا من حروب الدول في الماضي والحاضر كانت نتيجة الطمع في ثروات الشعوب والهيمنة على مصادرها.

وقد كشفت واقعة وفاة مرض ابني عبدالله ثم وفاته رحمه الله، أنني قد فزت «باليانصيب» بالفعل، غير أنه لم يكن عبارة عن أموال زائلة، بل حب جارف من الناس الذي بلغ عددهم الآلاف على مستوى العالم الإسلامي

---

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/٢/١٥م

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري: ح (٦٤٣٦)، ومسلم: ح (١٠٤٨).

والحمد لله، منهم من كانوا داعين لابني بالشفاء والرحمة، ومنهم من ترجموا ذلك إلى التصدق من مالهم ومن وقتهم كذلك، ومنهم من حجُّوا عنه، ومنهم من أرسلوا لي رسائل هاتفية تحثني على الصبر والشكر والالتجاء إلى الله، وأخرى تتضمن آيات وأحاديث تقرأ على المريض، وثالثة تقترح تلاوة آيات معينة يرون أنها تشفي من مرض السرطان الذي توفي ابني به بعد ذلك.

ومنهم من خصني وابني - رحمه الله- بل وسائر أسرتي بدعوات صالحات رغم أنه لم تجمعني بهم معرفة مسبقة، وغاية ما هنالك أنهم سمعوا عني من أبنائهم وذويهم، فما كان منهم إلا الدعاء الخالص لوجه الله- كما أخبرني ذووهم.

ولم يقتصر الأمر على إرسال الرسائل على هاتفي، بل امتد إلى وسائل الإعلام المختلفة، وكذلك إلى وسائل التواصل الاجتماعي التي تناقلت خطورة مرض ابني عبدالله وحثت الناس على الدعاء له بالشفاء من مرضه، ثم على طلب الرحمة له والمغفرة بعد وفاته، وكل ذلك دون طلب مني، بل ودون علمي في وقتها في أغلب الأحوال.

يا الله!

إنها السعادة الحقيقية التي لا تضاهيها سعادة أخرى، أن تشعر بحب كل هؤلاء الناس لك حبًا صادقًا وإيجابيًا، دون أن ينتظروا منك جزاءً ولا شكورًا، بل وهم قد يغلب عليهم الظن أنك لن تعرف به غالبًا نظرًا لانشغالك في مصابك، وانشغالك - أيضاً - بمتابعة المرض وآلامه، ثم في مصيبة الموت، وإجراءات الدفن والعزاء وما يصاحب كل ذلك من انشغال القلب عن الناس بعد أن ذهب به الفقيد رحمه الله.

وكل مـا أرجوه من الله سـبحانه أن يكون ناتجًا عن حسـن المعاملة مـع الناس وصدقها وأن تكون خالصة لوجهـه الكريم، نظرًا لأن «الدين المعاملة» وهي المقولة المشـهورة التي أوجزت كثيـرًا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي حثت على حسـن التعامـل مع الناس، مثل قوله تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، وقـول النبي ﷺ: «وخالق الناس بخلق حسن»[2]، وغيرهما من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة.

كما أرجو منه سـبحانه أن تكتب عنده شهادة لي توضع في ميزان حسـناتي، وتوجب لي السـكن فـي جناته؛ فقد روى عن أبي الأسـود الدؤلي رضي الله عنه أنه قال: «قدمت المدينة وقد وقع بها مرض فجلسـت إلى عمـر بن الخطاب، فمرت بهم جنـازة فأُثني على صاحبها خيراً، فقال عمـر: وجبت ثم مُرَّ بأخـرى فأُثني على صاحبها خيـراً، فقال عمر: وجبت، ثـم مُر بالثالثة فأثنى على صاحبها شـراً، فقال عمر: وجبت، فقال أبو الأسـود: فقلت: وما وجبت يـا أمير المؤمنين؟ قال: قلت: كما قال رسول الله ﷺ: أيما مسلم يشهد له أربعة بخير، أدخله الله الجنة، فقلنا وثلاثة؟ قال: وثلاثة، فقلنا: واثنان، قال: واثنان، ثم لم نسـأله عن الواحد»[3].

---

(١) سورة النحل الآية (٩٠).

(٢) جزء من الحديث الذي أخرجه أحمد: ح (٢١٣٥٤)، والترمذي: ح (١٩٨٧).

(٣) رواه البخاري: ح (١٣٦٨).

إنني بالغ الامتنان لكل من ساندني في هذه المحنة حتى بدت وكأنها منحة من الله عز وجل تبين لي مدى ما أمتلكه من ثروة لا تقدر بثمن، وهي ثروة حب الناس، التي أرجو أن تكون معبرة عن حب الله عز وجل الذي إذا أحب عبداً أدخل حبه في أفئدة خلقه.

فقد ورد في الحديث النبوي الشريف: أنه إذا أحبَّ الله تعالى العبد، نادى جبريل، إن الله تعالى يحب فلاناً، فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»[1].

فقيمة حب الناس النابع من القلب هي في أنه قد يكون تعبيراً عن حب رب الناس، وهو الحب الأسمى، والثروة الخالدة التي لا تنضب، والتي لا تضاهيها ثروة في الدنيا.

لأجل ذلك فأنا - والحمد لله - ملياردير في الدنيا، وأرجو أن يكون ذلك مؤشراً على أنني من أغنياء الآخرة كذلك.

والحمد لله رب العالمين.

إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث
الشيخ محمد راتب النابلسي (١٨ : ١٤)

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: ح (٣٢٠٩)، ومسلم: ح (٢٦٣٧).

من علامات القبول[١]

الرحمة بيد الله تعالى.

بشَّر بها عباده.

أفاض بها على الخلائق كلها.... الإنسان فيها والحيوان.

وما مجموع كل هـــذه الرحمات إلا بما لا يتجاوز جزءاً من مائة جزء من رحمة الله تعالى.

وقبوله لعباده جزء من هذه الرحمة الواسعة التي وصفها الله سبحانه أنها وسعت كل شيء....

الإنس والجن والحيوان والجماد... كلها داخل تحت وصفه ســبحانه «كل شيء».

ولعله ســبحانه قد بشَّــر عباده بعلامات القبول عنده سبحانه، وهي مظنة الإشارة إلى رضاه وتيسيره جلَّ وعلا.

وفيمــا يلي بعض علامــات القبول أتحرى أنها تيســرت بفضل الله تعالى لعبدالله رحمه الله سبحانه وتغمده بواسع رحمته:

أولاً: ضجيج الأحباب والناس بالدعاء له:

لقد لفت نظري الدعاء الكثير الذي تيسَّر لعبدالله خلال مرضه وبعد وفاته رحمه الله.

---

(١) نشرت هذه المادة على ثلاثة مقالات في جريدة القبس أيام ١١ و١٢ و١٤ أكتوبر ٢٠١٥م.

قد يكون طبيعياً أن يدعو له معارفه من الأهل والأحباب والأصدقاء.... ولكن الملفت للنظر الدعاء له من الكثيرين الذين لا نعرفهم، ولكنها الخيرية عندهم وحبهم للناس ورغبة الخير، والشعور بالمشاركة في الهمِّ رغم أنهم معذورون لعدم معرفتهم بعبدالله رحمه الله ولا بأحد من أهله... إلا أنهم يتحرون بهذه المشاركة الشعورية الأجرَ والثوابَ، فضلاً عن كونها نابعة من أصالتهم ومعدنهم الطيب، فتقاطرت منهم الرسائل على مواقع التواصل لي ولوالدته ولمن يعرفونه من الأهل والأحباب حتى عجزت عن الرد على هذه الرسائل لكثرتها من جهة، ولانشغالي بالحبيب في علاجه ثم في وفاته من جهة أخرى، ملتمساً منهم العذر الجميل وتقديرهم للظرف.

فالحمد لله رب العالمين... وما أظن ربي سبحانه الرحمن الرحيم واسع العطاء وجزيله أن يردهم خائبين، ولرُب دعوة مخلصة من واحدٍ أو واحدةٍ منهم يستجاب لها، ولكفت إن شاء الله.

ثانياً: تيسير الصدقات له:

بحمد الله وتوفيقه تيسر له خلال مرض عبدالله وبعد وفاته رحمه الله ما يستجلب به الرحمة والشفاء تأولاً للحديث النبوي الشريف.

«داووا مرضاكم بالصدقة»[1] والذي أشرنا إليه في موضع سابق في هذه السلسلة الطيبة من المقالات حين تحدثنا عن فضل الصدقات في دفع البلاء.

---

(١) المعجم الكبير: ح (١٠١٩٦).

ولعله من غير المناسب ذكر التفاصيل والأسماء حفظاً للأجر والثواب ونية المتصدقين، إلا أن الذي يسر الخاطر هو تقاطر الصدقات له.... ولكن الله غالب على أمره.

ولا يمضي إلا قضاء الله سبحانه وحسبنا وحسب المتصدقين بذل السبب، والتقرب إلى الله تعالى، وإظهار النية الطيبة في أرض الواقع ليستفيد منها الفقراء والمعوزِين.

ولعل أجر هذه الصدقات مدخر له عند الله سبحانه؛ لأنها نويت له، وكما نعلم أن النية مكتوبة لمن قصد بالخير، فهذه عبادة أخرى وهي الدعاء إذا خرجت من قلبٍ صادقٍ لله سبحانه وتعالى، فإما أنها يستجاب لها، أو ترفع في الدرجات بمثلها، أو تحط السيئات بمثلها كما ورد في الشرع الحنيف.

ثالثاً: الحجات الثماني عنه:

لقد كان من رحمة الله وتوفيقه أن يختار له موعد وفاته في الثالث من شهر ذي الحجة الحرام ليتم دفنه في السابع من ذي الحجة بعد استغراق نقل جثمانه الطاهر من الولايات المتحدة الأميركية والإجراءات الرسمية اللازمة عدة أيام، والحجيج إلى بيت الله تعالى قد شدوا الرحال إلى بيت الله الحرام، فتيسر لهم بحمد الله سبحانه أن يعطوا الحبيب عبد الله رحمه الله أفضل العطايا ويهدوه أجزل الهدايا حين حجَّ عنه ثمانية رجال ونساء أفاضل دون أن نطلب منهم ذلك، بل لم نعلم عنهم إلا بعد عودتهم من الحج، ولعل غيرهم قد حجَّ عنه ولم يعلمنا بذلك أصلاً.

ومن اللطيف الطريف أن كثيراً من المعزين الحجيج قد اعتذروا لي عن عدم قدرتهم على الحضور إلى الدفن أو العزاء بسبب سفرهم إلى الحج فكنت أشكرهم وأقول لهم بلا تردد: بارك الله فيكم، أيهما أنفع للحبيب رحمه الله، هل الدعاء له في اليوم السابع من ذي الحجة على صعيد مقبرة الصليبخات بالكويت أم في يوم التاسع على صعيد عرفة؟ فلا مقارنة في الفضل والخصوصية في الزمان والمكان والمناسبة، وكم بشرني بعض الحجيج العائدين بأن الحملة كلها كانت تدعو له رحمه الله بعد أن تواصوا بذلك مشكورين مأجورين تقبل الله منهم وآجرهم.

ولعل الباعث لذلك بعد محبتهم وأصالتهم ووفائهم وحبهم للخير دون أن يعرفوا عبدالله رحمه الله هو استشعارهم أنه الولد الوحيد بين أخواته حديث التخرج من الجامعة في ريعان شبابه مع سيرة طيبة يعرفها جميع من حوله ولله الحمد والمنة دون مبالغة أو تحيُّز.

رابعاً: الرضا والقناعة بقضاء الله وقدره:

لقد كان تقبُّل الحبيب عبدالله رحمه الله لمرضه كبيراً ملفتاً للنظر، ولعله بذلك من علامات القبول إن شاء الله، فلم يضجر، ولم يمتعض من قضاء الله وقدره حين علم أنه مصاب بداء عضال في أحد أصعب المواضع في جسمه، وهو عمق المخ ولبُّه، ورغم الأسلوب الصريح الذي يتخذه المستشفى الأمريكي حيال جميع المرضى إلا أنه يقابل مصارحة الأطباء له بتفاصيل مرضه واحتمال نهاية الفرص المتاحة لحياته وبوقت قريب بكل رحابة صدر وتقبل الحقيقة والواقع دون ضجر، ولعل هذا أيضا من علامات القبول، والله أعلم. والحمد لله على كل حال.

خامساً: السهولة والتيسير الكبيرين في العلاج والوفاة:

لا أزال أذكر التيسير الكبير لعلاجه رحمه الله فقد كان الفاصل بين أول اكتشاف لإصابته وعرضه على الطبيب المختص في مستشفى جامعة سان فرانسيسكو أسبوعاً واحداً وهو نسبياً من أسرع المواعيد، ومن أعظم التيسير أن يرشح لنا أطباؤه المختصون في الكويت هذا المستشفى بالذات دون آلاف المستشفيات الأميركية باعتباره واحداً من أعظم المراكز الطبية في اختصاص جراحة أورام المخ.

ولم يعلم هؤلاء الأطباء حين رشحوا هذا المستشفى أنهم اختاروا المدينة التي تدرس فيها شقيقته وزوجها لنيل درجة الزمالة في طب الأسنان، وقد استقر الاثنان هناك وعرفا المدينة، فاختصرا بذلك علينا عناءً كبيراً هوَّن علينا عناء الغربة والابتداء من الصفر في الانشغال بالبحث عن السكن ووسائل النقل منه إلى المستشفى والعكس، والأهم من هذا وذاك الخلفية الطبية التي يتمتعان بها حتى أصبح التواصل مع الأطباء ليس فقط سهلاً بل مفهوماً بأدق التفاصيل الطبية، وهذا لعمري من التيسير الكبير، فضلاً عن تعاون الطاقم الطبي وجميع من تعامل مع الحبيب عبدالله رحمه الله في المستشفى وخارجه.

لقد كان من التيسير أنه لم يتعذب ولم يعذب أحداً من محبيه، ففي الوقت الذي كان يستغرق العلاج وتداعياته لمثل هذه الحالات والانتكاسات الطبية التي كثيراً ما تحدث معه سنوات عديدة، إلا أن فترة مرضه وعلاجه ووفاته لم تستغرق خمسة أسابيع رغم تهيئنا لمدة أطول حسب خبرات الأطباء.

وهكذا كان شأنه كله حتى في الأمور المعيشية التفصيلية له ولمرافقيه من أهله كانت – وبلا مبالغة– مزيجاً من السهولة والتيسير وبشكلٍ ملفتٍ للنظر يدفع المتأمل فيها إلى اليقين بالله سبحانه وتعالى أنه وراء كل هذا التيسير.

علامات قبول العمل
الشيخ صالح المغامسي (١ : ٢٢)

سبل الوصول وعلامات القبول
الشيخ محمد راتب النابلسي (١ : ١٤)

الرؤى الصالحة المبشرة بحسن الخاتمة

لعل مما ترتاح له النفس بحمد الله وتوفيقه تواتر الرؤى التي وردتني من أشخاص مختلفين رأوا الحبيب عبدالله في منامهم بصورة طيبة على اختلاف تفاصيلها في كل رؤيا، الأمر الذي جعلني أضيف هذه الفوائد إلى هذا الكتاب الطيب إن شاء الله المفيد في محتواه.

إن الرؤى إدراكات واعتقادات يضعها الله سبحانه وتعالى في قلب العبد أثناء نومه، فما يسُرّ منها فهي البشرى من الله، وما يضر فهو أضغاث أحلام.

وكان ﷺ حريصاً على إخبار أصحابه عن بعض ما يراه في منامه، وتأويله لهم، ويقول «ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة»[١].

وفي الصحيح «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاثة: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس[٢]». ويتبين أن صدق الرؤيا في ذاته فضل لصاحبها ولذلك وصفت بأنها من النبوة؛ لأنها تنبئ بشيء من الغيب وهي ما حظي به الأنبياء.

---

(١) أخرجه أبو داود: ح (٥٠١٧).

(٢) أخرجه مسلم: ح (٢٢٦٣).

ويظهر أن الرؤيا الصالحة المقصودة هي المبشـــرة وليست هي الرؤيا الصادقة التي تتحقق بخير أو شر وذلك لعدة أسباب:

أولاً: وصفها في الحديث أنها من المبشرات يستلزم أنها تبشر بخير، وعلى ذلك قول كثير من أهل التعبير أنها قد تحمل إما بشارة أو إنذار فيه نظر، إذ أن الإنذار عكس البُشـــرى، وعلـــى ذلك لا يجب القول بأن الرؤيا الصالحة التي وصفها الحديث بأنها من المبشـــرات «المنبئات بالخير» بأنها تشمل أيضاً عكس المبشرات وهي المنبئات بالشر.

ثانيـــاً: قوله ﷺ في الحديث «إنه لم يبق من مبشـــرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المســـلم أو تُرى له»[1]. فعبارة تُرى له دليل على أن المقصود بها الرؤيا المبشرة بالخير.

ثالثاً: أن صدق الرؤيا يقع للكافر أيضا كما يقع للمسلم وقد وردت أمثلة من القرآن والأحاديث على هذا أشهرها:

ما جاء في سورة يوسف في رؤيا ملك مصر وكان كافراً: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾[2].

بقي من النبوة المبشرات، وأهمها الرؤيا الصالحة:

هـــذه الرؤيا جزءٌ من النبوة، ففـــي الصحيح: «لَمْ يَبْقَ مِـــنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّـــرَاتُ» قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَة، يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ».

---

(١) أخرجه مسلم: ح (٤٧٩) من حديث ابن عباس.

(٢) سورة يوسف الآية (٤٣).

ومما لا شـــك فيه أن المؤمن يستبشر بالرؤيا الصالحة، ولكن لا ينبغي عليه أن يبني عليها الكسل في العمل، وعدم تحري أسباب التوفيق والنجاح، وعليه الجد والاجتهاد في طلب الخير ودفع الشر، ووضع الخطط اللازمة لتدبير الأحوال مع اليقين بالله، فقد تكون الرؤيا صادقة ولكن شابها خطأ المعبِّـــر في التأويل، وابتنائه عليها أمـــوراً لا تقتضيها، وليعلم بأن التأويل ظن واجتهاد قد يصيب، وقد يجانبه الصواب، فهو ليس يقيناً، وعليه عدم الغرور بها والله أعلم، وقد قال الإمام مالك: الرؤيا تسر ولا تضر.

رحمك الله يا عبدالله، و بشـــرنا برؤياك علـــى الأحوال الطيبة التي رآك فيها أولئك الأحباب الذين نقلوا لنا رؤاهم الطيبة فيك.

وقد جاء في منار القاري شـــرح مختصر صحيـــح البخاري في معنى قولـــه ﷺ: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها، فإنما هي من الله» «فليحمد الله» أي: فليشـــكر الله عليها؛ لأنها تبشره بنعمة «وليحدث بها» من يوده، ويثق به لما رواه أبو قتادة عن رســـول الله ﷺ في الرؤيا: «فإن رأى رؤيا حســـنة فليستبشر، ولا يخبر إلاّ من يحب»[1].

رؤيا النبي ﷺ في المنام:

تدل الأحاديث الصحيحة على ثبوتِ رؤيا النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، وبخاصة من أهلِ الصَّلاح، وأنَّ الشيطانَ لا يمكنه أن يتشبَّه به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن هذه الأحاديث: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَخَيَّلُ بِي»[2].

(١) أخرجه البخاري: ح (٦٩٩٤).
(٢) أخرجه مسلم: ح (٢٢٦١).

جواز رؤية الله تعالى مناماً:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالإنسان قد يرى ربه في المنام ويخاطبه، فهذا حق في الرؤيا، ولا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام، فإن سائر ما يرى في المنام لا يجب أن يكون متماثلاً، ولكن لا بد أن تكون الصورة التي رآها فيها مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه، فإن كان إيمانه واعتقاده مطابقاً أتي من الصور وسمع من الكلام ما يناسب ذلك، وإلا كان بالعكس[1]».

روى أحمد وغيره حديث رؤية النبي ﷺ ربه مناماً في أحسن صورة، ونصه: أن رسول الله ﷺ خرج عليهم غداة وهو طيب النفس، مسفر الوجه أو مشرق الوجه، فقلنا: يا رسول الله إنا نراك طيب النفس مسفر الوجه أو مشرق الوجه، فقال: «ما يمنعني وأتاني ربي الليلة في أحسن صورة، فقال: يا محمد. قلت: لبيك ربي وسعديك. فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري أي رب. قال ذلك مرتين أو ثلاثاً.

قال: فوضع كفه بين كتفي، فوجدت بردها بين ثديي حتى تجلى لي ما في السماوات وما في الأرض. ثم تلا هذه الآية «وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض» الآية، قال: يا محمد: فيم يختصم الملأ الأعلى؟. قال: قلت: في الكفارات. قال: وما الكفارات؟ قلت: المشي على الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد خلاف الصلوات «بعد الصلوات» وإبلاغ «اسباغ» الوضوء في المكاره. قال: من

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/٧٣).

فعــل ذلك عاش بخير، ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. ومن الدرجات: طيب الكلام، وبذل الســلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام.

فقــال: يا محمد إذا صليت فقل: اللهم إني أســألك الطيبات، وترك المنكرات وحب المســاكين، وأن تتــوب علــي، وإذا أردت فتنة في الناس فتوفني غير مفتون»[1].

نقف هنا وقد قدمنا للقارئ الكريم ما تيسر لنا من الأمور المهمة في عالم الــرؤى، تاركين المجال لمن أراد التفاصيل لأن يســتفيد من التراث المتوفر في المكتبة الإسلامية.

(١) أخرجه أحمد: ح (١٦٦٢١)، والترمذي: ح (٣٢٢٣).

عظمة الإسلام في مشروعية إهداء ثواب الأعمال الصالحة للميت[١]

كم منَّا من قصَّر في حق أحد والديه أو كليهما ويريد أن يستدرك ما فاته بأن يبرهما بعد وفاتهما!

وكم منا من مات له حبيب، سواء كان ولدًا أو صديقًا أو أحدًا غيرهما، ويريد أن يسهم في نفعه في آخرته رغبة منه في أن يعوض تقصيره في حقه في الدنيا، أو رغبة في الإحسان إليه بشكل عام!

الإسلام ديننا العظيم لم يدع هذا الأمر دون أن يعالجه، كيف لا وهو دين الحكيم الخبير الرحيم بعباده، أحياءً وأمواتًا.

لقد فتح الإسلام الطريق إلى برِّ الإنسان بأخيه الإنسان في حياته، بمعاملته بالحسنى، وبالدعاء له بظهر الغيب، وعيادته في مرضه وبأن يحب له ما يحب لنفسه وأن ينصره في الحق ويحجزه عن الباطل ويسدي له المعروف دون مَنٍّ ولا أذى، وبالصبر عليه حين ينال منه الأذى، وبالعفو عنه حين يكف عن أذاه وغيرها من وسائل البر التي تكاد تفوق العدّ والحصر.

كما أن الإسلام العظيم لم يخيّب ظن الإنسان الوفي لأخيه الإنسان المتوفى بأن يمنحه فرصاً هائلة ليبره ويحسن إليه، ويسهم في عدم انقطاع عمله الخير عن الدنيا عن طريق الحث على الدعاء له، وإجازته

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٤/١٢/٧م.

إهداء ثواب بعض أعماله الصالحة لأخيه المتوفى، سواء كان من أقاربه أو من غيرهم، طالما كان العمل خالصًا لوجه الله، صحيحًا من الناحية الشرعية.

ومن ذلك -مثلاً- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[1][2].

فهذه الآية دليل على تضامن وتكافل آخر الأمة وأولها وأجيالها، وعلى وجوب محبة الصحابة ﷺ أجمعين، وتقدير أخوتهم في الدين وسبقهم إلى الإيمان، والحث على الدعاء لهم بخير، وعلى صفاء القلوب من أمراض الحقد والحسد لأي مؤمن.

ففي الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «جاء رجل إلى النبي فقال يا رسول الله أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها قال: «نعم فَدَيْن الله أحق أن يقضى»[3].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من مات وعليه صيام صام عنه وليُّه»[4].

وعن بريدة رضى الله عنه قال: «بيّنا «أي بينما» أنا جالس عند رسول الله إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية وأنها ماتت،

(١) سورة الحشر الآية (١٠).

(٢) د. وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق: دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ، ح ٢٨، ص ٨٥.

(٣) أخرجه البخاري: ح (١٩٥٣) ومسلم : ح (١١٤٨).

(٤) أخرجه البخاري: ح (١٩٥٢) ومسلم: ح (١١٤٧).

فقال: وجب أجرك وردها عليك الميراث «أي وجب لك الثواب وردت إليك الجارية ضمن نصيبك من الميراث»، فقالت: يا رسول الله إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها، قال: صومي عنها، قالت: إنها لم تحج قط أفأحج عنها، قال: حِجِّي عنها»[١].

وقد أوجز الإمام ابن قيم الجوزية عظمة موقف الإسلام من هذه المسألة حين بيَّن أن أرواح الموتى تنتفع من سعى الأحياء بأمرين مجمع عليهما بين الفقهاء وأهل الحديث والتفسير، أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته، والثاني: دعاء المسلمين له واستغفارهم له والصدقة والحج، على نزاع ما الذي يصل من ثوابه هل ثواب الإنفاق أو ثواب العمل؟، فعند الجمهور يصل ثواب العمل نفسه وعند بعض الحنفية إنما يصل ثواب الإنفاق، واختلفوا في العبادة البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر[٢].

بينما قسم الإمام القرافي القربات باعتبار وصول ثوابها للغير اتفاقا وعدم وصول ثوابها للغير اتفاقا والخلاف في وصوله له وعدم وصوله إلى ثلاثة أقسام:

«**القسم الأول**» ما اتفق الناس على أن الله حجر على عباده في ثوابه ولم يجعل لهم نقله لغيرهم كالإيمان والتوحيد والإجلال والتعظيم لله سبحانه وتعالى، وكذلك حكي في الصلاة الإجماع نظراً في الخلاف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب من مات وعليه صوم، برقم ١٨١٦، ومسلم في كتاب الصيام، باب قضاء الصوم عن الميت، برقم(١٩٣٥).

(٢) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية – بيروت، ص ١١٧.

الذي نقل في مذهب الشافعي فيها عن الشيخ أبي إسحاق قد يقال: إنه مسبوق بالإجماع كما تقدم

«**القسم الثاني**» ما اتفق الناس على أن الله تعالى أذن في نقل ثوابه للميت وهو الدعاء والقربات المالية كالصدقة والعتق.

«**القسم الثالث**» ما اختلف فيه هل فيه حَجْر أم لا كالصيام والحج وقراءة القرآن؟ فقيل: لا يصل ثواب شيء من ذلك لمن أَهْدَى له وهو المعروف من مذهب مالك، وكذا هو مشهور مذهب الشافعي في القراءة فقط، وقيل: يصل، وبه قال أحمد بن حنبل وأبو حنيفة، وهو الأصح عند الشافعي في الحج عن الميت حجة الإسلام[1].

وخلاصة القول: مشروعية إهداء ثواب الأعمال، كالحج والعمرة والاستغفار والصيام والصدقة والدعاء وقراءة القرآن الكريم والعتق، على خلاف بين الفقهاء في بعض من هذه القربات على النحو السالف ذكره.

وفي رحلتي هذه مع عبدالله إلى بيت الحمد مَنَّ الله عليَّ بإدراك كم هي قيمة هذه النعمة الكبيرة، حين وجدت أن وفاة ابني عبدالله لا تعني توقف انتفاعه رحمه الله من ثواب العمل الصالح سواء قام به أحد من أقاربه أو من غيرهم من أحبابه بشكل عام- وما أكثرهم بحمد الله

---

(١) أنوار البروق في أنواء الفروق، عالم الكتب، بدون طبعة وبدون تاريخ، ج ٣، ص ٢٢١، وانظر كذلك: أبو معاذ ظافر بن حسن آل جبعان، البينات في حكم إهداء ثواب الأعمال للأموات، بحث منشور على موقع «صيد الفوائد» يمكن تنزيله من هذا الرابط:

http://www.saaid.net/book/open.php?cat=4&book=4634

وتوفيقه، وقد جاءت وفاته -رحمه الله- قبيل يوم عرفة، فاستطاع بعض الخيريـــن أن يحجوا عنه، حيث قاموا بالحج عن عبدالله دون طلب مني البتة، ولكنه حب الخير الذي دفعهم إلى ذلك، وحزنهم عليه، فآثروه على أنفســـهم ولو كان بهم خصاصة، مما جعلني بالـــغ الامتنان لهذا الفضل العظيـــم علي وعلى عبدالله، حيث اعتبرتها - فضلا عن الدعاء له- من أعظم العطايا وأجزل الهدايا وأثمن «صوايغ الحج» «هدايا الحجاج عند عودتهم من الحج»، فضلاً عن تثويب العمرة من عدة أشـــخاص، وتثويب ختمات القرآن الكريم، والصدقات، والمشـــاريع الخيرية كالمســـجد وبئر الماء العادي والبئر الارتـــوازي ومحطة تصفية المياه وتقطيرها، والحملة الإغاثية للأسر السورية اللاجئة، والأضاحي والذبائح للفقراء سواء من أهله وأقربائه أو أصدقائه الأوفياء.

أسأل الله العظيم أن يتقبل منهم حجاتهم وأعمالهم الصالحة ويضعها فـــي ميزان عبداللـــه وميزانهم، وأن يغفر لموتى المســـلمين جميعاً بفضله ورحمته إنه أرحم الراحمين.

ما الأعمال التي يصل ثوابها للميت؟
الشيخ صالح المغامسي (٢ : ١٠)

كيف نمنح السرور لأهل القبور؟[١]

الأدلة على إحساس أهل القبور بزائريهم كثيرة، ومن ذلك - على سبيل المثال - ما جاء في صحيح البخاري[٢]: من حديث نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما أخبره قال: اطَّلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أهل القليب فقال: «وجدتم ما وعد ربكم حقا؟»، فقيل له: تدعو أمواتاً؟ فقال: «ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون». وكذلك ما رواه ابن عبد البر بسنده إلى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه: «ما من أحد مرَّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا، فسلَّم عليه، إلا عرفه ورد عليه السلام»[٣]. وما ورد عن النّبي ﷺ - كذلك - أنّه قال: «إنّ العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه وإنّه ليسمع قرع نعالهم»[٤].

وكان - صلوات الله عليه وسلم - يعلّم زوار القبور أن يقولوا: «السّلام عليكم أهل الدّيار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء اللّه للاحقون»[٥].

واستدل الإمام العزّ بن عبد السّلام بذلك - في فتاويه - على معرفة الميت لزائريه فقال: «والظّاهر أنّ الميّت يعرف الزّائر، لأنّا أُمرنا بالسّلام عليهم، والشرع لا يأمر بخطاب من لا يسمع». بينما ذهب الإمام ابن

(١) تم نشر هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/٦/٧م.
(٢) صحيح البخاري: ح (١٣٧٠).
(٣) الاستذكار لابن عبد البر (١٨٥/١)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١: ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
(٤) أخرجه البخاري: ح (١٣٧٤)، ومسلم: ح (٢٨٧٠).
(٥) أخرجه مسلم: ح (٩٧٥).

القيم إلى أن السلف «مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به»[١].

ولكن ليس معنى ذلك أن هناك إجماعاً على أن الموتى يسمعون كل ما يدور حولهم، فهذا أمر غيبي ينبغي ألا نتجاوز فيه عن المرويات الموثوقة، مثل المرويات السابقة التي نلاحظ أنها لم تزد على إثبات أن الموتى يشعرون بزائريهم ويردون عليهم السلام، دون أن تجزم بأن الموتى يسمعون كل ما يقوله الزائرون.

وقد أورد ابن القيم في - كتابه «الروح» - قصة تعبر عن سرور أهل القبور بزيارة أحبابهم لهم، لم أجد فيها تعارضاً مع ما سبق ذكره، فقال: حكى عثمان بن سواد الطفاوي وكانت أمه من العابدات، وكان يقال لها: راهبة، قال: لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء وقالت: يا ذخري ويا ذخيرتي ومن عليه اعتمادي في حياتي وبعد مماتي، لا تخذلني عند الموت، ولا توحشني في قبرى. قال: فماتت، فكنت آتيها كل جمعة وأدعو لها، وأستغفر لها ولأهل القبور، فرأيتها ليلة في منامي فقلت لها: يا أماه، كيف أنت؟ قالت: يا بني، إن الموت لكرب شديد، وأنا بحمد الله في برزخ محمود، يفترش فيه الريحان، ويتوسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور. فقلت: ألك حاجة؟ قالت: نعم، لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا فإني لأسر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك، فيقال لي: يا راهبة! هذا ابنك قد أقبل، فأسر ويسر بذلك من حولي من الأموات».

---

(١) الروح لابن القيم ص(٥).

أخـــي القارئ وأختي القارئـــة، لا تحرموا أمواتكم مـــن زيارة القبور فتســـعدوهم، وهذا ليس فيه أنس وســـرور لهم فقط، بـــل إن فيه عبرة وتذكرة لكم بأن الدنيا ســـتفنى، وأننا ســـنفارق الأحباب عاجلاً أو آجلاً، أطال الله في أعماركم ولا حرمكم من أحبابكم.

أما أنا فلله الحمد قد مارســـت ذلك بنفســـي قبل أن أقدم لكم هذه النصيحة، فما إن أنصرف بعد تطبيق الســـنة النبوية الشريفة من تشييع جنازة ودفنها والدعاء لصاحبها إلا وعرجت على الحبيب عبدالله وسلمت عليه وبشرته بقدوم حبيب أو جار في بيت الحمد ثم دعوت له، ثم ذهبت إلى الوالدة والوالد وســـلمت عليهما ودعوت لهما بما تيسر لي، وعساني أن أرد لهما أطراف فضلهما علي منذ نعومة أظفاري.

اللهم اجمعنـــا بهم جميعاً في بيت الحمد، فوعدك الحق وأنت الحق سبحانك.

نعيم المرأة المسلمة في الجنة
الشيخ محمود المصري (٥٥ : ٢٢)

هل الأموات في حياة البرزخ يشعرون بالأحياء
الشيخ صالح المغامسي (١٦ : ٧)

الجنة ليست «حور عين فقط»![١]

يكاد يتصور البعض أن نعيم الجنة يكاد يقتصر على الحور العين وحدهن، وهذه، فضلاً عن أنها نظرة تختصر النعم في شهوة حسية وحيدة، فإنها نظرة فردانية، لا تراعي نفسية المؤمنات الصالحات، وتصور الجنة وكأنها ستكون نعيماً للرجال فقط!

والواقع أن الجنة، بما فيها من بيوت الحمد وغيرها، فيها من النعم المعنوية أولاً ما قد تفوق في قيمتها نعمها الحسية، التي تكون في متناول الرجال والنساء على التساوي، وهي نعم قلَّ من يركز عليها، ومنها مثلاً:

١ - أن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أي سيتمتعون بنعمتي الأمن والسعادة دائماً أبداً، وهي من أهم النعم التي يتلهف إليها الخلق في الدنيا، انظر على سبيل المثال إلى قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٢].

٢ - أن أهل الجنة سينعمون بحسن الرفقة مع الأهل والأحباب: «على سرر متقابلين»، بعد أن ينتزع من صدورهم الغل والشحناء والبغضاء، وهي من أكبر النعم كذلك، يقول تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[٣].

٣ - أن أهل الجنة سيلحق بهم ذرياتهم الصالحون، وأكثرنا يخشى أنه لن يلتقي بأبنائه بعد الموت، ولكن الله سبحانه طمأننا إلى أنهم

---

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/٤/١٢م.

(٢) سورة الأعراف الآية (٤٩).

(٣) سورة الحجر الآية (٤٧).

سيلحقون بنا أو نلحق بهم في الجنة بإذن الله تعالى بشرط الإيمان، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾[١].

٤ - أن أهل الجنة لا يشعرون بأي تعب أو مشقة، وسيظلون على هذه الحال دون أن يخرجوا من الجنة أو يكونوا مهددين بذلك، يقول تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴾[٢].

٥ - أن أهل الجنة سيعيشون فيها معززين مكرمين، لا يرهق وجوههم قتر (أي غبار) ولا ذلة، وهذه نعمة كبرى يتمناها كل إنسان، أن يعيش معززاً مكرماً، يأمن على نفسه من المذلة والمهانة، انظر إلى قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٣].

٦ - أن أهل الجنة سيمنُّ الله تعالى عليهم بنعمة لم يمنها على أحدٍ من خلقه قط، وهي تفوق كل النعم السابقة جميعها، إنها نعمة رؤية وجهه الكريم سبحانه في الجنة، وقد أجمع الصحابة وأهل السنة وأهل العلم جميعهم على ذلك، واستندوا في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾[٤][٥].

---

(١) سورة الطور الآية (٢١).

(٢) سورة الحجر الآية (٤٨).

(٣) سورة يونس الآية (٢٦).

(٤) سورة القيامة الآية (٢٢-٢٣).

(٥) راجع: العواصم والقواصم: ابن الوزير، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٣: ١٤١٥هـ-١٩٩٤م. تفسير ابن كثير: (٨/ ٢٨٠)، دار طيبة- ط٢: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

بشرى عظيمة للمرأة المسلمة في الجنة[١]

هنـــا نتحدث حول نعيم الجنة في بيت الحمد وغيره، وكيف أن النعم المعنوية فيها تفوق كل النعم الحسية الأخرى.

ومن النعم الحســـية التي سينعم الله تعالى بها على أهل الجنة توجد نعمـــة الحور العين، وهي نعمة خاصة بالرجـــال، غير أنها لن يكون فيها أي إجحاف بالنســـاء؛ لأن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة، فالنســـاء- مثل الرجـــال- لن يصبن بالحزن أصـــلاً في الجنة، لوعد اللـــه بأن أهلها لا يحزنـــون، كما أنهنَّ ســـيكُنَّ أجمل مـــن الحور العين وأفضل، وســـتكون الواحـــدة منهـــن مع زوجها التـــي أحبته في الجنـــة، وإن كانت قد تعدد أزواجها فإنها ستكون مع أحســـنهم خلقًا حسب اختيارها، والدليل على ذلك كله حديث أم ســـلمة « رضي الله عنها»، حين سألت النبي ﷺ فقالت: « ..قلت: يا رسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟». قال: «بل نساء الدنيا أفضـــل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة». قلت: «يا رســـول الله وبما ذاك؟» قال: «بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن ألبس الله وجوههن النور، وأجســـادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفراء الحلي مجامرهن الدر، وأمشـــاطهن الذهب يقلن: ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدا، ألا ونحـــن الناعمات فلا نبؤس أبداً، ألا ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ألا ونحن الراضيات فلا نســـخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا».

---

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/٥/٣م.

قلت: «يا رسول الله المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكون زوجها؟»، قال: «يا أم سلمة إنها تخيّر فتختار أحسنهم خلقاً، فتقول: أي رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقا في دار الدنيا فزوجنيه، يا أم سلمة، ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»[١].

فهنيئًا لأهل الجنة، نساء ورجالاً، جعلنا الله من أهلها وأسكننا قصورها التي تجري من تحتها الأنهار، وبلغني وعبدالله ووالدته ما وعدنا برحمته وفضله في بيت الحمد، وكأني أراه رأي العين بحسن ظني بربي سبحانه وبحوله وقوته، حيث لن ينقص بيت الحمد من ملكه مثقال ذرة، وهو الغني الوهاب المنعم الرزاق الكريم القادر العظيم، وعلى كل شيء قدير.

إن من يملك هذه الصفات إذا وعد بشيء أنجز وعده، سواء كان بيت الحمد أو غيره؟! ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[٢]. وقبلها في السورة نفسها: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[٣].

أما الفرق بين التعبيرين «قيلاً وحديثًا» فلنا معه محطة أخرى من محطات الرحلة مع الحبيب عبدالله إلى بيت الحمد.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ح (٢٧٣٣٤)، والطبراني في المعجمين الكبير والأوسط: ح (٣١٤١) واللفظ له.

(٢) سورة النساء الآية (١٢٢).

(٣) سورة النساء الآية (٨٧).

النفس المطمئنة: الراضية المرضية[١]

كثيراً ما نصدر رثاءنا ونعينا للمتوفين بالآية رقم ٢٨ من سورة الفجر: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾[٢] والكل يتمنى أن يكون هو ومتوفاه من أصحاب هذه النفس المطمئنة الراضية المرضية.

وسبحان الله: لقد أتى ذكر هذه النفس المطمئنة مباشرة بعد ذكر ذلك المفرِّط الذي يقول «يا ليتني قدمت لحياتي» فذكر الله سبحانه بالمقابل من اطمأنت نفسه بوعد الله الذي وعد به أهل الإيمان به في الدنيا من الكرامة في الآخرة، وهذا قول سعيد عن قتادة.

كمال قال قتادة والحسن: إنها النفس المطمئنة إلى ما قال الله تعالى والمصدِّقة به.

وقال مجاهد: إنها النفس التي أيقنت أن الله ربها وضربت جأشاً لأمره وطاعته.

كما قال الحسن البصري: إنها إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يقبضها اطمئنت إلى الله تعالى واطمأن الله إليها.

وقال ابن عباس ﷺ إنها النفس المطمئنة بثواب الله تعالى.

فيأمرها الله سبحانه أن ترجع إلى جواره وثوابه وما أعدَّ لعباده،

---

(١) تم نشر قبس من هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٥/٩/٣٠م.

(٢) سورة الفجر الآية (٢٧-٣٠).

فبشـــرت بالجنة عند الموت ويوم الجمع وعند البعث، راضية في نفســـها مرضيـــة، أي قد رضيت عن اللـــه بعبادته وحده حق العبـــادة وبإيمانها بوعده، ورضى عنها وأرضاها[1].

وبالتالـــي فإن النفـــس المطمئنة هي النفس الراضيـــة فلا تفزع عند الملمـــات ولا تصخب في المصائـــب، ولا تغالي في الفرح والبهجة، بل هي ساكنة تعرفت على حقيقة الدنيا وحجمها فتعلقت بالآخرة.

ولعل أبسط مقومات هذه النفس المطمئنة وصفاتها:

الإخلاص لله ســـبحانه، والمتابعة لسنة رســـوله المصطفى - ﷺ -، وشدة حبه وتقواه سبحانه وحب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

تقواه ســـبحانه فـــي كل حال وانعكاس ذلك على شـــخصية صاحبها بالفاعلية والخيرية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحســـن الخلق، والإحسان إلى الناس، ومساعدتهم في قضاء حوائجهم، والصدق بأنواعه الثلاثة: مع الله سبحانه، ومع النفس، ومع الناس.

اللهم ارزقنا جميعاً النفس المطمئنة الراضية بقضاء الله تعالى وقدره، وأشـــهدك يارب أن عبدالله الحبيب - وبلا مبالغة- كان راضياً مطمئن النفـــس في مرضه ووفاته، فارزقه اللهـــم ما ترزق النفس المطمئنة، ومن يقرأ هذا الدعاء.

---

(١) انظـــر تفســـير الطبري: (٤٢٣/٢٤)، مؤسســـة الرســـالة، ط١: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، تفســـير ابن كثير: (٣٩٠/٨).

عبدالله[١]

بعد كتابة ستة وثلاثين مقالاً تمحورت حول رحلتي مع عبدالله رحمه الله إلى بيت الحمد، ولم يمنع فيها خصوص السبب من عموم الاستفادة، طفت فيها بين جوانب كثيرة يحتاجها المريض وذووه وأهل المتوفى.

وذلك من باب الإلمام العام بكل من ثقافة المرض وثقافة الوفاة.

غير أن عبدالله نفسه لم يأخذ حقه من الوصف الشخصي باعتبار أن شخصيته هي محور موضوع الكتاب، خصوصاً وانني اقترب من نهاية الرحلة إلى بيت الحمد.

ولعله من نافلة القول في البداية أن أذكر حديثي فيه مجروح، كما لا يخفى بحكم القرب والقرابة، إلا أنني - ويعلم الله بصدق مشاعري- أقدم المعلومة بموضوعية ولي فيها شواهد كثيرة على لسان الآخرين ممن تعاملوا معه وبالإجماع ولله الحمد.

لقد كان رحمه الله طيباً ليناً سهلاً في التعامل، يحترم الآخرين فضلاً عن والديه، يملأ حياته التسامح وعدم حمل شيء في قلبه تجاه الآخرين مهما أساء إليه أي منهم، وكان كل ما يفعل تجاه من يسئ إليه هو تجنب التعامل معهم حتى يشعروا بخطئهم بشكل تلقائي لا استفزاز فيه ولا احتكاك.

خدوم يحب مساعدة الآخرين سواء من أقربائه أو أصدقائه أو حتى معارفه، وله مع كل منهم علاقة خاصة يخصه فيها بالاهتمام والإصغاء وإظهار التقدير.

---

(١) تم نشر هذه المادة في مقالين في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٦/١/٣١ و٢٠١٦/٢/١.

ولــم يتكلم قط عن خدمتــه للآخرين رغم أن ذلك قــد يكون مغرياً وشــيقاً لمن هُم في ســنِّه. وهو بأدبه واحترامه لنفســه يفرض احترامه ومحبته على الآخرين بشــكل طبيعي حتى ترك ذكريات طيبة مع كل من تعامل معــه من الأقرباء والمعارف وغيرهم، بل إنهم افتقدوه في حســن معاملته لهم واحترامه وخدمته ونصحه.

جعــل رحمه الله بتواضعه الصداقــة بوابة انفتاح على الآخرين حتى والديــه وأخواته في الملاطفة والتســامر وتبادل الاهتمامات والشــعور بالمسؤولية تجاههم خصوصاً عند حاجتهم إليه.

لقد أحب الجميع كباراً وصغاراً.... وكان يحاول خدمتهم ما استطاع خصوصاً في ما يتقن المساعدة فيه.

كان رحيماً يشــعر بالعطف على الفقراء والمحتاجين ســواءً مادياً أو معنويــاً، وكان منكراً للذات فلم يســتغل كونه الولــد الوحيد بين أخواته البنات بأي مكتســبات مادية أو معنوية دونهن، بل - وبلا مبالغة - كان يخفض الجناح لهن حتى ترك الكويت وسافر مع إحداهن عندما اقتضت ذلك ظروف دراستها.

أما بين أصدقائه فقد كان مشهوداً له بما ذكرت أعلاه من ذكرٍ حَسَنٍ وشــخصيةٍ وديعةٍ، فقد أحســن اختيارهم من عائلات كريمة، وهم ذوو استقامة لا يعرفون سفاسف الأمور التي قد تشوب غيرهم في هذه السن الحرجة من العمر، وكان إذا ما أخطأ أحد في حقه أعرض عن من أخطأ حتى يعود إلى رشده، بينما إذا أخطأ أحد في حق أحد أصدقائه يدافع عنه بشده، ويحثه على عدم ترك الآخرين يخطئون في حقه.

ولقد روى أصحابه أنه ذات مرة دار نقاش حول مسألة دينية اختلفت فيها الآراء وأدت إلى بعض الحدية دون قصد، فما إن قال له صاحبه: «عبدالله أنا أكبر منك سناً ويمكن أعرف ما لا تعرف» فنقل لي أصحابه أنه حينها تغيرت ملامح وجهه وقال على الفور: «أنت أكبر مني وأنا احترمك مهما اختلف آراؤنا».

وكذا الحال بالنسبة للاحترام والتقدير الكبيرين الذين يرشِّدان علاقته منذ صغره بمدرسيه ومدربيه في جميع المواضع التي احتك بهم فيها مثل مدربي الجمباز والكراتيه والتايكواندو، فضلاً عن الاساتذة المشرفين المربين الأفاضل في دورات وبرامج مصابيح الهدى.

كان يحرص على الإتقان في كل شيء، مرتَّباً في أموره كلها، حتى في جلسته في الشالية أو الديوان أو غرفته الشخصية، وكان يبلغ به الحرص على الإتقان أنه كان يصحح أي خطأ لغوي أو كتابي لأصحابه بشكل فوري لما كانت لديه من حصيلة لغوية ثرية، وقدرة على التركيز والحفظ.

وبمناسبة التركيز والحفظ فإنه من الطريف أن أذكر نقلاً عن أصدقائه أنه كان مرجعيتهم الأساسية في طلب أنواع الطعام من المطاعم؛ لأنه كان يجمع بين حفظ الوجبات وأسمائها على اختلافها وبين حب اكتشاف المطاعم الجديدة فور فتحها، بل من الطريف أيضاً أن بعضهم إن لم يتواجد عبدالله رحمه الله معهم يتصل بعبدالله ويطلب منه أن يتحدث مع النادل (الجرسون) هاتفياً ليشرح له طلباتهم الخاصة، وكان يقوم بذلك بكل رحابة صدر وخدمة للآخرين رحمه الله.

وكذا الحال بالنسبة للطلبة الجامعيين الجدد حيث كان يبذل من نفسه المستطاع لخدمتهم وصب الخبرة المتواضعة التي حازها لصالحهم وبالمقابل كان يخدم بعض الطلبة الخريجين بالاندماج مع أفكارهم في مشاريع التخرج حتى وكأنها في تخصصه وهي في عالم الواقع بعيدة كل البعد عن تخصصه.

كان لا يغتاب أحداً أبداً، ولا يحب أن يمارس الغيبة أحد في حضوره، وحتى عندما يدخل في جدال وأحد أصدقائه - لما تتسم به مرحلتهم العمرية من حماسة وفورة شباب - فإنه سرعان ما يندم على ذلك ويسترضي أصدقاءه، ثم يلوم نفسه متسائلاً:

«كيف حدث ذلك!»؟

وكان من ذوقه مع الآخرين إذا لم يعجبه شيء لم يُعِبّه حرصاً على خواطرهم، فلو ذاق طعاماً أعدته والدته أو أخته لم يعجبه لم يبد ذلك مكتفياً بخطابها قائلاً: «أنتي العادة تطبخين أحلى من هذه المرة» وكان هذا على سبيل الاستثناء أما في العادة فيشجعهن دائماً بأفضل أنواع التعبير عن تذوقه للطعم اللذيذ.

ومقابل هذه الشخصية الخدومة للطلبة المستجدين والخريجين كان لا يجيز لنفسه أبداً أن يطلب المساعدة في تحسين الدرجة من مدرسيه مهما كانت ظروفه أو ما تعرض له، وبخاصة حين أصيب في رجله ذات مرة واضطر للمشي بجبيرته على عكازين!

أمـــا أخلاقـــه حين تعرض لذلك الـــداء العضال فقد كانـــت امتداداً للأخلاق الطيبة التي ذكرتها آنفاً.

فقد واجه هذا المرض بنفس مطمئنة سمتها الرضا والقناعة بقضاء اللـــه وقدره وعدم الضجر، عندما أصابه الألم الشـــديد في رأســـه من جهة، وعندما صارحه الأطباء بنوع مرضه واحتمال قرب وفاته من واقع معرفتهم وخبرتهـــم بهذا النوع من المرض العضال من جهة أخرى، حيث ان هذه المصارحة الكاملة هي سياستهم تجاه المريض وذويه.

بـــل بالمقابل كان يشـــغل باله أن لا يكون مصدر حـــزن وألم لمن حوله وبخاصةٍ والدته الرؤوم التي كانت تتمنى أن يبث لها أي شكوى، وأن يبوح لهـــا بأي نجوى يبث فيها ما قد يحيك في صدره، وكم كان مؤثراً عندما طلب من والدته الاقتراب منه فتوقعت أن يشكو لها ما ألمَّ به لتخفف عنه ففوجئت أنه كان يريد أن يريها في هاتفه ما يســـلي عنها الجو القاســـي الذي تعيشه معه بسبب ظرف مرضه.

لذلك كله لـــم يكن غريباً أن أرى من علامات القبول ضجيج الجموع بالدعاء له: من يعرفه ومن لا يعرفه ممن سمع به.

وليس غريباً أن يترك الذكرى الطيبة في كل دوائر حياته الاجتماعية في البيت والعائلة والديوان والجامعة.

رحمـــك الله يا عبدالله وجمعني ووالدتـــك بك - ووعده الحق - في بيت الحمد.

والحمد لله على كل حال

عبدالله في تأملات الشاعر الكبير الإنسان شريف حاج قاسم[١] إلى بيتِ الحمدِ

- إن شاء الله -

إلى روح الفقيد الشاب عبدالله بن عبدالمحسن بن عبدالله الجار الله الخرافي يرحمه الله

المؤثَرانِ: الصَّبرُ والإيمانُ ... والوعدُ: أنزلَ وحيَه الرحمنُ

فهما الحِمى للنفسِ من لأوائِها ... إن هاجت الضَّرَّاءُ والأحزانُ

لهما الثِّمارُ اليانعاتُ بجنّةٍ ... يُزجي أطايبَ قطفِها الشُّكرانُ

والخلدُ في دار النَّعيمِ كرامةٌ ... سينالُها مَنْ شُغْلُهُ القرآنُ

---

(١) الشاعر الكبير الإنسان الأستاذ شريف حاج قاسم الذي ولد في مدينة دير الزور عام ١٩٤٠م قرأ القرآن الكريم في الجامع المجاور للمنزل منذ صغره، كانت دراسته في دير الزور ثم في حلب ثم في الجامعة العربية في بيروت، كان خطيبا في مساجد دير الزور، وكان لخطابته في المساجد حضور كبير من الناس، شارك في عشرات الأمسيات الشعرية وغيرها في دير الزور وفي حلب مع الأدباء السوريين وغيرهم، نظم الشعر وهو في المرحلة المتوسطة، له أربعون مؤلفا ما بين شعر وقصة وكتب نثرية وأناشيد للاطفال ومسرحيات شعرية، وقد عمل في التدريس في دير الزور ثم في المملكة العربية السعودية، ومازال يعمل في الجمعية الخيرية في نجران، ومديرا لتحرير مجلة (مغني الخير) التي مازالت تصدر منذ عشر سنوات، ومن أبرز مؤلفاته الدواوين الشعرية المطبوعة التالية:

صدى ... وذكرى - متى تعودون - الربيع المنشود - نهر الضياء - من جانب الطور - أناشيد على الدرب - إلى فتيان الأترجة (مجموعة أناشيد) - بين نسيج البردتين - رحلة وقف النور الخيرية (صدر منها ثلاثة أجزاء ...) - شدو الناشئ في أسمى المرافئ (مجموعة أناشيد للأطفال) - نفثة مصدور.

فضلا عن خمسة عشر ديوانا شعريا مخطوطاً وثلاث مجموعات قصصية «حديث الثلاثاء»، واربعة كتب نثرية هي:

إذا دخل الإسلام البيوت - الأمة الإسلامية بين عالمية دعوتها ووهن أبنائها - دراسة عن الشاعرين: محمد منلا غزيل والشابي - على مدرج الكتابة.

إنَّ النَّوازلَ للتُّقاةِ رسالةٌ ... يُنفَى بنَفحَةِ شذوِها الخسرانُ

فالصَّبرُ يمنحُهم أكاليلَ الرضا ... ويقينُهُم - رغمَ الأسى - يزدانُ

قد غابَ عبدُاللهِ عن دنيا الورى ... ومضى يزفُّ شبابَه الرضوانُ

عاشَ الهدايةَ في الليالي شأنُه ... فيها الخِصالُ البيضُ والإحسانُ

قد عاشَ سهلا ليِّنًا ذا عِفَّةٍ ... وخُطاه بينَ المعوزين حنانُ

لم ينسَ أهلَ الفقرِ في حاجاتِهم ... فالجودُ بينَ صفاتِه عنوانُ

قد عاشَ عبدُاللهِ والقيمُ انجلتْ ... في وجهِه حيثُ السَّنا الهتَّانُ

باللطفِ والأُنسِ الجميلِ، وعنه إذْ ... عن قلبِه تتحدَّثُ الأجفانُ

ما رابَ مَن عرفوهُ عنه سجيَّةً ... فخصالُه: الإيثارُ لا البطلانُ

في سيرةٍ محمودةٍ ما لاكها ... بالموبقاتِ الزَّيعُ والشيَّطانُ

فالباقياتُ الصَّالحاتُ: فصولُها ... تحكي هُداهُ، ويشهدُ الأقرانُ

فكأنَّه عافَ الحياةَ، وشدَّه ... حُلْوُ الصدى قد أرسلَتْهُ جِنانُ

عرفَ الحقيقةَ فاجتلى آفاقَها ... ففؤادُه بجلالِها جذلانُ

والخلدُ في الجنَّاتِ في ميزانِه ... رغمَ الهوى الطاغي: له رجحانُ

ما غرَّه عيشٌ يزولُ نعيمُه ... أو جرَّه زيفٌ له خِلَّانُ

ناداهُ ربُّ العرشِ فاستحلى النِّدا ... وهفا يُثيرُ اليقظةَ الإيقانُ

قد ذاقَ طعمَ الفوزِ في مجلى النَّدى ... واللَّهُ - جلَّ جلالُه - الرحمنُ

لم يحرم الأبرارَ ممَّا قد بنى ... فالبيتُ بيتُ الحمدِ ليس يُشانُ

هو للتُّقاةِ الصَّابرين إذا دهى ... خطبٌ تشيبُ لهولِه الولدانُ

فالحمدُ للهِ الذي آلاؤه ... ليستْ تُعَدُّ وما بها نقصانُ

والحمدُ ثمَّ الحمدُ يبقى دائماً ... للصَّالحين، وبالرضا يزدانُ

فلقد حباه اللّهُ بالمُثُلِ التي ... من أهلِها الفضلاءُ والأعيانُ

حيثُ التسامحُ والمودةُ والإخا ... وبشاشةٌ، فهو الفتى المعوانُ

أغنى منابتَ رفعةٍ معهودةٍ ... في أهلِه ما شانَها نكرانُ

آلَ الخرافي والمآثرُ جَمَّةٌ ... والسؤدُدُ المشهودُ والعرفانُ

أهل التُّقى وبني الهدى مافرَّطوا ... في حقِّ أنفسِهم، وهذا الشَّانُ

خدموا العبادَ بما حباهم ربُّهم ... وإلى المنابعِ يُسرعُ الظمآنُ

ومكانُهم في المجدِ قِمَّة موئلٍ ... تأوي لباحةِ عزِّه الفرسانُ

مَن أكرم الرحمنُ شأنَ حياته ... فحياتُه للمعوزين مكانُ

مهلا أيا أهلِ الفقيدِ فإنَّكم ... صُبُرٌ إذا ما لاحت الأكفانُ

فالموتُ حقٌّ، والمصيبةُ محنةٌ ... وبها يفوزُ الصَّابرُ الإنسانُ

ومَن ابتغى يومَ الحسابِ ثوابَها ... فالبيتُ بيتُ الحمدِ والسِّلوانُ

حيثُ الصورُ بجنَّةٍ فوَّاحةٍ ... بالأُنسِ، والأفياءُ والأفنانُ

وهي الخيامُ وليس يُحصَى وصفُها ... ونسائمُ الرحماتِ والولدانُ

وجالسُ الخلدِ الظليلةِ بالمنى ... والحورُ والأعنابُ والرُّمَّانُ

دعها، فوصفُك للمنازلِ قاصرٌ ... فبها النعيمُ، وللنَّعيمِ بيانُ

بشراكُمُ آلَ الخرافي إنَّها ... جنَّاتُ عدنٍ غيدُهُنَّ حِسانُ

والجودُ من ربِّ الورى لم يحصِه ... عقلٌ ولا علمتْ به الأزمانُ

فالروحُ والريحانُ في أكنافِها ... والبِرُّ فاضَ، ومثلُه التَّحنانُ

يا أُمَّ عبدِالله فزتِ بجنَّة ... فالصَّبرُ فيه سكينةٌ وأمانُ

مـن قـبـلِـكِ الـعُـصُـرُ الـقـديـمـةُ خـلَـدَّت مَـن شـأنُـهُـنَّ الـصَّـبـرُ والإيمانُ
خـنـسـاؤُنـا وسـمـيَّـةٌ ونـسـاءُ مَـن سـادوا الـبـريَّـةَ كـلَّـهـا مـا هـانـوا
كُـنَّ الـمِـثـالَ الـعـذبَ إنْ حـلَّ الأسى أو هـاجـت الآلامُ والأشـجـانُ
عـيـشـي كـمـا أمـرَ الإلـهُ، وأبـشـري فـالـوعـدُ حـقٌّ، والـرضـا فـيـنـانُ
يـاربِّ فـارحـمْ مَـن مضى والـطـفْ بمَن عـاشـوا، وقـلـبُ حـنـانِـهـم حـرَّانُ
واجـعـلْ لـهـم فَـرَجًـا إذا مـا دَلْـهمتْ سُـحُـبُ الـعـنـا، أو أرعـدَ الـفـتَّـانُ!
فـبـكَ الـرجـاءُ، وأنـتَ خـيـرُ مؤمَّلٍ إن ضـاقَ بـالـكـرْب الـثَّـقـيـلِ مـكـانُ

شريف قاسم

عبدالله في تأملات سليمان ماجد الشاهين[١]

أعتز بالتفاعل الإيجابي لعدد كبير من القراء الكرام، وكم يسعدني مقدار التواصل الطيب من الكبار والصغار على السواء مع هذه السلسلة الطيبة لهذه الرحلة الطيبة، وكثير منهم يصرح لي أنه يقرأ هذه المقالات كاملةً ويقدر محتواها الذي يعتقد أنها تعبر عن شعور صادق بلا تكلُّف، وأما من افتقد أحد أبنائه منهم فشعوره بها أعمق وتفاعله معها أشد وآكد.

ولما كانت أسماء هؤلاء كثيرة يتعذر عليَّ حصرها سأكتفي بأحد أبرزها وهو الأخ الفاضل سليمان ماجد الشاهين، وهو غني عن التعريف بشخصيته الرزينة وتاريخه الوظيفي العريق.

فمنذ بداية سلسلة مقالات «رحلتي مع عبدالله إلى بيت الحمد» وهو من المتابعين الجيدين لمحطاتها من خلال المقالات المتتابعة فهو قارئ جيد، متفاعل إيجابياً، ويفاجئني دائماً بأبعاد جديدة للمعاني الواردة في مقالاتي، حين ينظر إليها من زوايا إضافية غير الزوايا التي وصفت بها الأفكار المطروحة في المقالات، الأمر الذي يمثل «تغذية راجعةً» جيدة لي.

يأتي كل ذلك في إطار خُلُقٍ جم دمث يشجعك على الاستماع مع اختيار أفضل الألفاظ للتعبير عن الفكرة التي يريد إيصالها لي بعيداً على التكلّف، وهذه طبيعته العفوية، وإن كان في مقام الأخ الأكبر الذي يُقبل منه النصح والتوجيه.

---

(١) تم نشر هذا المقال في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٤/١٠/٢٥م.

ويأتـــي هذا التفاعل الإيجابي مع مقالاتي عن رحلتي إلى بيت الحمد مع الحبيب عبدالله رحمه الله في سياق ثنائه القديم على منهجية التوثيق لأهل الكويت : الراحلين منهم والأحياء، وبخاصة من يقدر الله له ظروفاً وملابســـات تحتاج إلى دعم معنوي يذكر بالخير فيه، من خلال شـــهادة تاريخية محايدة أو نظره واقعية موضوعية بلا مبالغة.

وبمناســـبة الحديث عن أهل الكويت الطيبين لتبيان محاســـنهم وإبراز القدوات الحسنة من خلالهم فإن استحسان أهل الكويت وتشجيعهم منقطع النظير، ويمثله بشكل رمزي تشجيع الأخ الكبير سليمان ماجد الشاهين.

فأشكرهم جميعاً من خلاله لأقول:

«تسلم بوعمار»

واســـمح لي يا بوعمار أن أورد أبســـط أســـباب اعتزازي بشـــهادتك الكريمـــة ، ففضلاً عن ما ذكرته من صفاتـــك الحميدة أعلاه فقد كنت أول ســـفير لبلدي الكويت لدى مملكة البحريـــن ودولة الإمارات العربية الشقيقتين عامي ١٩٧١و١٩٧٣م حين كنت أنا وقتها طالباً في الثانوية.

ثم لم تتردد بلدي أن تشـــرفنا بتمثيلك ســـفيراً فـــي جمهورية مصر العربية الشـــقيقة ومندوباً دائمـــاً لدى جامعة الـــدول العربية ثم وكيلاً للخارجية ثم وزيراً لشؤنها.

فضلاً عن عضوياتك في مجموعة مجالس الإدارات واللجان والهيئات الاستشارية العديدة عالية المســـتوى بما يتناسب مع شخصيتك المتميزة وخبرتك الواسعة.

وكعادتي أحسن الظن بربي سبحانه وأثق بوعده الصادق فأتشرف أنا وابني عبدالله بدعوتك في بيت الحمد الذي تمحورت مقالاتي حوله وسعدت بمداخلاتك حوله.

وأشهدك أني عندما شرعت بكتابة هذه الفقرة الأخيرة في الأسطر السابقة من مقالي سقط القلم من يدي واهتز كياني، ولا أقولها تزكية للنفس، ولكني حين استشعرت و بما آتاني الله من يقين بوعده الصادق كيف أنني وعبدالله سنستقبلك في بيت الحمد بإذن الله تعالى، وعظيم رحمته، انتابني تأثر عظيم بهذا اللقاء المرتقب إن شاء الله، وقد امتزج هذا الشعور باستشعار أننا حين نستقبلك يا بوعمار سنستقبل النماذج الطيبة الأصيلة التي يزخر بها بلدي الحبيب الكويت.

شعر في فقد الابن
الشيخ نبيل العوضي (٤٥ : ٠٠)

حكم المنية في البرية جاري
عبدالعزيز الأحمد (٥١ : ١٠)

تجربة عملية
مي عبدالله عبدالعزيز الفارس

من المفيد الاستفادة من تجارب الآخرين، وأن لا يبدأ الإنسان من الصفر، وهذه تجربة واقعية سطرتها صاحبتها لتقدم كتيباً نافعاً صغيراً في حجمه كبيراً في نفعه طبعت منه إلى الآن آلاف النسخ في ثلاث طبعات، ألا وهي السيدة الفاضلة مي عبدالله عبدالعزيز الفارس بتشجيع وحث من زوجها د. حسن عبدالعزيز السند نقلت فيه إلى الآخرين تجربتها مع المرض والعلاج بحمد الله تعالى، وذلك في كتيب أنيق (٣٦ صفحة) لخَّصت لهم فيه خلاصة تجربتها الثرية، ولقد أصبح هذا الكتيب ولا يزال محل طلب متواصل من قِبل أقارب وأحباب المريضات المصابات بهذا المرض. وهنا اكتفي بالنقل الحرفي لفهرس المحتويات ففيه تعبير عام عن محتوى الكتيب:

- لماذا هذا الكتاب؟
- مقدمة
- تعريف سرطان الثدي ومفهوم الورم الحميد والورم الخبيث
- من هي المرأة المعرَّضة للإصابة بسرطان الثدي؟
- ما هي علامات وأعراض سرطان الثدي؟
- الفحص الذاتي للثديين
- ماذا بعد اكتشاف الورم؟
- كيف تُعالج الأورام السرطانية؟

- نصائح مفيدة بعد العلاج الجراحي
  - العلاج الجراحي
  - العلاج الكيميائي
  - العلاج الإشعاعي
  - العلاج الهرموني
- العلاج الكيميائي مضاعفات ووقاية
  - **أولاً**: الوهن العام للجسم
  - **ثانياً**: نقص المناعة
  - **ثالثاً**: مشكلة تساقط الشعر
  - **رابعاً**: الشعور بالغثيان
  - **خامساً**: جفاف الفم وظهور تقرحات اللثة
  - **سادساً**: الإمساك
  - **سابعاً**: تغيُّر في لون الأظافر
- العلاج الإيماني: العدة الحقيقية في مواجهة المرض
- قبل الدواء أكثري من الدعاء
- الرقية الشرعية
- العلاج البديل
- تعلَّمت درساً جديداً في الحياة

وكم هو أنيــق محتوى هذا الكتيب الصغير حجمــاً العظيم محتوى، ولعلي في هذا الســياق لفهرس المحتويات اكتفي بسرد محتوى الموضوع الأخير «تعلمت درساً جديداً في الحياة»:

تقول السيدة الفاضلة مي الفارس:

تعلمت من الابتلاء بالمرض دروساً قيِّمة ... وكنوزاً غالية ...

١- حمدت الله على نعمة الإيمان والإسلام «اللهم يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك، ويا مصرِّف الأبصار صرّف أبصارنا إلى طاعتك، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة».

٢- فتحت لي المحنة باب الاستغفار والذكر والاسترجاع، فالتزمت قول: «اللهمَّ أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها».

«إنا لله وإنا إليه راجعون».

«حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» فأرى نفسي تهدأ وقلبي يطمئن.

٣- تفكَّرت في النعم العظيمة التي أتقلَّب فيها صباحاً ومساءً: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1] فأكثرت من شكر الله على نعمه وآلائه ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[2] اللهم اجعلني من القليل الشكور.

٤- عشت غنية بثروة من الرضا والقبول ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3].

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٣٤).

(٢) سورة سبأ الآية (١٣).

(٣) سورة سبأ الآية (١٣).

٥- عرفت معنى طول الأمل وكيف يمكن أن يتبدل الحال من قمة الصحة والعافية والحيوية إلى الإصابة بأخطر مرض «من بين طرفة عين وانتباهتها يبدل الله من حال إلى حال».

٦- أيقنت وتفكرت بمعنى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وأنه سبحانه الشافي المعافي وهو وحده القادر على كشف الضر، فهو الله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

٧- شعرت بنعمة أن يكون للإنسان أهل - وبخاصة في أزمة الابتلاء - فكم أنست بوجود أحبتي حولي يغمرونني بفيض محبتهم ورعايتهم ودعائهم، وسألت الله أن يحفظهم، وأن يديم عليهم نعمة الصحة والعافية.

٨- عرفت أن الإنسان يمكن أن يعيش حياته ويبتسم رغم مروره بمحن مزلزلة إذا رضي بما قسم الله له.

٩- اكتشفت أن لي مكاناً في قلوب كثيرة جداً أحبتني وخصتني بدعاءٍ صادق مُلح، فكان حبهم ودعاؤهم لي بلسماً، وكان لهذا الحب أثر عظيم في التغلب على المرض.

١٠- تعلمت أن الابتلاء طريق للإقبال على الطاعة، وأن التقرب إلى الله لا ينتهي بزوال البلاء، فكان الابتلاء منحة قبل أن يكون محنة.

١١- استشعرت المعنى الحقيقي للأخوة في الله؛ فقد تفانى الجميع في شد أزري والسؤال عنّي والدعاء لي، وجلب كل ما يدخل السرور والسكينة إلى نفسي، كإحضار كتيبات الدعاء المختلفة، وإعداد

الوصفات الطبية الشعبية والتصدق عني، إضافةً إلى التسابق في إحضار الماء المبارك ماء زمزم، الذي لم ينقطع عني طوال فترة علاجي. فحمدت الله على هذه النعمة العظيمة وسألت الله أن يجعلهم من السابقين إلى الخيرات.

١٢- تعلمت أن الابتلاء بشرى من الله ودليل محبته لعبده، فرضيت بالمحنة، وحمدت الله على البلاء.

١٣- استشعرت معنى «داووا مرضاكم بالصدقة»[١]، وتلمَّست أثر الصدقة في الدواء والشفاء.

١٤- حمدت الله على المرض، فقد كان وقفة مع النفس لتجديد التوبة والإنابة واغتنام وقت الصحة، والتقرب إلى الله بالعمل الصالح.

١٥- عرفت حقيقة وصية الرسول الكريم ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما عندما أوصاه: «احفظ الله يحفظ، احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وأعلم أن ما أخطاك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، ...وأعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً»[٢].

١٦- استشعرت كرم الله سبحانه وعظيم رحمته؛ فقد أغدق عليّ من فيض كرمه وعطائه في حياتي كلها، وأنعم علّي بالشفاء، وعدت لممارسة حياتي الطبيعية، فلله الحمد والفضل والمنة.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (١٠/١٢٨)، ح (١٠١٩٦). والأوسط: (٢/٢٧٤)، ح (١٩٦٣).
(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء: ح (٤١).

دعوة إلى توثيق التجارب الأخرى:

كانــت هذه تجربتي المتواضعة، وتلك تجربة الأخت الفاضلة الســيد مي الفارس، والتي لم أتردد في الاســتفادة منها بإيــراد خلاصتها، وقد طُبعت فــي كُتيبٍ أنيقٍ تم طبعه عدة مرات، وتم توزيع آلاف النســخ منه لما فيه من فوائــد جمة وإن كان محتواه مركزاً ومتمحوراً حول نوع محدد وانطلاقاً من هاتين التجربتين أدعو كل أصحاب التجارب المماثلة في سياق المرض والوفاة أن يوثِّقــوا تجربتهم تعميماً للفائدة، خصوصاً أنهــا مهما كانت في مجملها معادة ومكررة إلا أن تفاصيلها ستكون – حسب توقعي- مختلفة ذات بصمة مســتقلة تختلف كل الاختلاف من شخص إلى آخر، وذلك بتفاوت طاقاتهم الإيمانية واختلاف تفاعلهم مع البيئة المحيطة بأحداثها المختلفة، والتفاعلات الإنسانية المختلفة، وأنماط التفكير المختلفة، وآفاق المعارف والمدراك.

وكــم هو مفيــد نقل التجارب إلى الآخرين لكــي لا يبدؤا من الصفر اكتشــاف معالم الرحلة الإيمانية والعملية التي قد تنتهي بالشفاء بحمد اللــه وتوفيقه، أو ببيت الحمد لمن حمد الله واســترجع لفقد حبيبه من ولده أو من ذويه الأقربين.

وكل ما تحتاج المســألة في سياق هذا التوثيق المطلوب هو قلم سيَّال، وشــجاعة أدبية لتوثيق التجربة، وهي مهمة أحســبها سهلة قد لا تحتاج بالضرورة إلى خليفة شرعية أو طبية، بل مهارة توثيقية معقولة.

وفَّق الله الجميع، وإنا على اســتعداد في هذا الصدد للأخذ بيد كل من يريد التوثيق المماثل لتجربته.

والله الموفق إلى كل خير، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وفاة الأبناء في قرائح الشعراء

أولاً: المقاطع الشعرية:

كفى بوفاة الولد محركًا للعاطفة ومهيجًا للوجدان.

فما بالنا بأن يحدث هذا الخطب الجلل لشاعر مرهف الإحساس؟

إنني أراه تفاعلاً عظيماً في وجدان الشعراء الذين تتزلزل عواطفهم من هذا المصاب العظيم لتنفتح قرائحهم فيتحفونا بأشعارهم المحركة للعقل والمغذية للروح، حتى نتفاعل معهم بدورنا فنحزن لحزنهم ونعتبر من تجاربهم الأليمة في فقدان أبنائهم.

وكيف لا وأبناؤنا هم أغلى الناس عندنا، أو كما يقول الشاعر حطان بن المعلى:

وإنما أولادنا بيننا ... أكبادُنا تمشي على الأرضِ

لو هَبَّتِ الريحُ على بعضِهم ... لامتنعَتْ عيني من الغمضِ

فمن تلك الأشعار التي تهز القلوب رثاء الشاعر الحارث بن عباد لابنه بجير، التي يقول فيها:

كُلُّ شَيءٍ مَصيرُهُ لِلزَّوالِ ... غَيرَ رَبِّي وَصالِحِ الأَعمالِ

وَتَرَى النَّاسَ يَنظُرونَ جَميعاً ... ليسَ فيهِم لِذاكَ بَعضُ احتِيالِ

قُل لأُمِّ الأَغَرِّ تَبكي بُجَيراً ... حيلَ بَينَ الرِّجالِ وَالأَموالِ

وَلَعَمري لأَبكِيَنَّ بُجَيراً ... مَا أَتَى المَاءُ مِن رُؤوسِ الجِبالِ

وها هو الشافعي يموت ابنه فينشد قائلاً:

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له ... رزية مالٍ أو فِراق حبيب[١]

وها هي الشاعرة أم السليك بن سلكه ترثي ابنها، بهذه الأبيات:

طاف يبغي نجوة من هلاك، فهلك ... ليت شعري ضله أي شئ قتلك

أمريض لم تعد أم عدو ختلك[٢] ... أم تولى بك ما غال في الدهر سلك

والمنايا رصّدٌ للفتى حيث سلك ... كل شيء قاتلة حين تلقى أجلك

وها هو الشاعر أبو ذؤيب الهذلي, يقول في رثاء أبنائه:

أمن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

قالت أميمة ما لجسمك شاحبا ... منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعا ... إلا أقض عليك ذاك المضجع

فأجبتها أن ما لجسمي أنه ... أودى بني من البلاد ودعوا

أودى بني وأعقبوني حسرة ... بعد الرقاد وعبرة لا تقلع

ولقد أرى أن البكاء سفاهة ... ولسوف يولع بالبكا من يفجع

وها هو الشاعر إبراهيم المهدي يرثي ابنه فيقول:

تولّى وأبقى بيننا طيب ذكره ... كباقي ضياء الشّمس حين تغيب

خلا أنّ ذا يفنى ويبلى وذكره ... بقلبي على طول الزّمان قشيب[٣]

كأن لم يكن كالدّرّ يلمع نوره ... بأصدافه لّا تشنه ثقوب

وريحان قلبي كان حين أشمه ... ومؤنس قصري كان حين أغيب

---

(١) الكبائر للذهبي: ص(١٩١)، دار الندوة - بيروت، بدون.

(٢) أي خدعك عن غفلة.

(٣) أي جديد.

وهـذا جـزء من القصيدة الرائعة التي كتبها الشـاعر أبو الحسـن التهامي في رثاء ابنه:

يـا كوكباً مـا كان أقصـر عمره ... وكـذاك عمـر كواكب الأسـحار
وهلال أيام مضى لم يُستدر بدراً ... ولـم يمهـل إلـى الأسـحار
عجـل الخسـوف إليـه قبـل ... أوانـه فمحـاه قبل مظنة الإبدار
واستُـل مـن أترابـه ولداتـه ... كالمقلة استُلت من الأشفار[1]
فكـأن قلبـي قبـره وكأنـه ... فـي طيّـه سـر مـن الأسـرار
إن الكواكـب فـي علـو مكانهـا ... لتـرى صغـاراً وهـي غير صغار
ولـد المعـزى بعضه فـإذا مضى ... بعـض الفتى فالكـل في الآثار
أبكيـه ثـم أقـول معتـذراً لـه ... وُفـقـتَ حيـن تركـتَ الأم دار
جـاورتُ أعـدائـي وجـاور ربـه ... شـتـان بيـن جـواره وجواري[2][3]

ولما مات جَعفر بن أبي جعفر الْمَنصور اشتدّ عليه حزنه، فلما فَرغ من دَفْنه التفت إلى الرّبيع فقال: يا ربيع، كيف قال مُطيع بن إياس في يحيى بن زياد؟ فأنشد:

يـا هـل دواء لِقَـلْـبـيَ الـقَـرِح ... ولـلـدُمـوع الـذوارِفِ الـسُـفُـح
راحُـوا بيحْيى ولو تَطاوعني الْـ ... أقـدارُ لـم يَـبْـتـكـر ولـم يَـرُح
يـا خيـر مـن يَحسُـن الـبُـكـاءُ به ... الْـيـومَ ومَـن كـان أمـس للمِدَح
قـد ظَفِـر الحُـزنُ بالسُـرور وقد ... أديـل مَـكْـروهُـه مِـنَ الـفَـرح

(١) وهي حروف الأجفان التي ينبُت عليها الشعر، وهو الهدب.
(٢) المرجع الرئيس: رثاء الأبناء في الشـعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، مقدمة من الطالب: محمد عبدالقادر حسن غنيم.
(٣) سنذكر القصيدة كاملة في الصفحات اللاحقة.

وقالت أعرابية تَنْدُب ابناً لها:

ابنـيّ غَيّبـك المَحـلّ المُلْحَـدُ ... إمّـا بَعُـدت فأيـن مـن لا يَبْعُـدُ

أنـت الـذي في كل مُمْسـىَ لَيْلـةٍ ... تَبْلـى وحُزْنـك في الحَشـىَ يتجدّد

وقالت فيه:

لئـن كنـتَ لهـواً للعُيـون وقُـوّةً ... لقد صِرْت سُقْماً للقُلوب الصّحائح

وهَـوّن حُزْنـي أنّ يومَـك مُدْرِكـي ... وأني غداً مـن أهـل تلك الضّرائح

وقال أبو الخطار يرثي ابنه الخطار:

ألا خَبّرانـي بـارك الله فِيكمـا ... مَتـى العَهْـدُ بالخَطّـار يـا فَتَيـان

فتـى لا يَـرى نَـومَ العِشـاء غَنِيمةً ... ولا يَنْثَنـي مـن صَوْلـة الحَدَثَـان

في رثاء أعرابي لولده:

أسـكّان بطن الأرض لـو يقبل الفدا ... فدينـا وأعطينا بكم سـاكني الظّهر

فياليـت مـن فيها عليهـا وليت من ... عليهـا ثـوى فيهـا مقيمـا إلى الحشر

وقاسـمني دهـري بنـيّ بشـطره ... فلمـا تقضّى شطره مـال في شطري

فصـاروا ديونـا للمنايـا ولـم يكن ... عليهم لها دين قضوه على عسـر

كأنهـم لـم يعـرف المـوت غيرهـم ... فثـكل علـى ثـكل وقبـر إلـى قبر

وقد كنـت حيّ الخوف قبـل وفاتهم ... فلمّـا توفّـوا مات خوفي مـن الدهر

فللـه مـا أعطـى ولله مـا حـوى ... وليـس لأيّـام الرّزيّـة كالصّبـر

وقال الفرزدق يرثي ابنيه:

بفي الشامتين الترب أن كان مسني ... رزية شبلي مخدرٍ في الضراغم
وما أحدٌ كان المنايا وراءه ... ولو عاش أياماً طوالا بسالم
أرى كل حي ما تزال طليعةً ... عليه المنايا من ثنايا المخارم

وقال عبدُ الله بن الأهتم يَرْثي ابناً له:

دَعوتُك يا بُنيّ فلم تجِبْني ... فَرُدّت دَعْوتي يأساً عليّ
بموتك ماتت اللّذات منّي ... وكانت حَيّةَ ما دُمتَ حياً
فيا أسفَا عليك وطُولَ شَوْقي ... إليك لو ان ذلك رَدّ شَيّا

أصيب أبو العتاهية بابن له، فلما دَفنه وقَف على قبره وقال:

كَفي حَزَناً بَدَفْنك ثم أنّي ... نَفَضْتُ تُراب قَبْرك مِن يَدَيّا
وكانت في حياتك لي عِظاتٌ ... فأنت اليومَ أوْعظُ منك حَيّا

ومات ابن لأعرابيّ فاشتد حُزْنه عليه، وكان الأعرابيّ يُكْنى به، فقيل له: لو صَبرتَ لكان أعظمَ لثوابك؟ فقال:

بأبي وأمّي من عَبَأْتُ حَنُوطَه ... بيدي وفارقَني بماء شَبابه
كيف السُلوّ وكيف أنسى ذِكْره ... وإذا دُعِيت فإنما أدْعَي به

جرير يرثي ابنه سوادة:

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلت لهم ... كيف العزاء وقد فارقت أشبالي
هذا سوادة يجلو مقلتي لحمٍ ... بازٍ يصرصر فوق المرقب العالي
فارقته حين غض الدهر من بصري ... وحين صرت كعظم الرمة البالي

ثانياً: القصائد المطولة:

القصيدة الأولى: من أشهر قصائد أبي الحسن التهامي في رثاء ولده[١] وهي على طولها... إلا أنها ممتعة وثرية بالعبر والعظات والحكم وهي من (البحر الكامل)

حكمُ المنيَّةِ في البريَّةِ جارِ ... ما هذه الدُّنيا بدار قرارِ
بينا يُرى الإنسانُ فيها مُخبراً ... حتَّى يُرى خبراً من الأَخبارِ
طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنت تريدها ... صفواً من الأقذار والأكدارِ
ومكلِّفُ الأيَّامِ ضدَّ طباعها ... متطلِّبٌ في الماءِ جَذوةَ نارِ
وإذا رجوتَ المستحيلَ فإنَّما ... تبني الرجاءَ على شفيرٍ هارارِ
فالعيشُ نومٌ والمنيَّةُ يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ سارِ
فاقْضوا مآربكم عِجالاً إنَّما ... أعمارُكم سَفَرٌ من الأسفارِ
وتراكضوا خيلَ الشبابِ وبادروا ... أن تُسْتَرَدَّ فإنَّهنَّ عَوارِ
فالدهر يخدع بالمنى ويُغِصَّ إن ... هَنَّا ويهدم ما بنى ببَوارِ
ليس الزمانُ وإن حرصتَ مسالماً ... خُلُقُ الزمانِ عداوَةُ الأحرارِ
إنِّي وُتِرْتُ بصارمٍ ذي رَوْنَقٍ ... أعددتُه لطلابةِ الأوتارِ
أُثني عليه بإثرِهِ ولو أنَّهُ ... لو يُغْتَبَط أثنيتُ بالآثارِ
يا كوكباً ما كانَ أقصرَ عمرَهُ ... وكذا تكون كواكبُ الأسحارِ

---

(١) وتعتبر من أروع ما قيل في رثاء الولد، وقد وردت نقولات في كتب الأدب أن أبا الحسن التهامي رؤي في المنام فقيل له: ماذا فعل الله بك ؟ فقال: غفر لي ربي بقولي:

«جاورت أعدائي وجاور ربه
شتان بين جواره وجواري» .

وهــلالَ أيَّــامٍ مضــى لـم يسـتدرْ ... بــدراً ولــم يُمْهَــلْ لوقــتِ سِــرار

عَجِــلَ الخُســوفُ عليه قبــل أوانِه ... فمحــاه قبــل مَظِنَّــةِ الإبــدارِ

واســتُلَّ مــن أترابــه ولِداتِــه ... كالمُقلَــةِ اســتُلَّتْ مــن الأشــفار

فكــأنَّ قلبــي قبــرُهُ وكأنَّــهُ ... فــي طيِّــهِ سِــرٌ مــن الأســرارِ

إنْ تَحْتَقِــرْ صغــراً فــربَّ مُفخَّــمٍ ... يبــدو ضئيــلَ الشــخص للنُّظَّارِ

إنَّ الكواكــبَ فــي علــوٍّ محلِّهــا ... لَتُــرى صِغــاراً وهــي غيــرُ صغــارِ

وَلَــدُ المعــزَّى بعضُــهُ فــإذا مضــى ... بعــضُ الفتــى فالكــلُّ فــي الآثارِ

أبكيــهِ ثــمَّ أقــولُ معتــذراً لــهُ ... وُفِّقْــتَ حيــنَ تركــتَ ألأم دارِ

جــاورتُ أعدائــي وجــاورَ ربَّــهُ ... شــتَّانَ بيــن جــوارِهِ وجــواري

أشــكو بعــادك لــي وأنــت بموضعٍ ... لــولا الرَّدى لسـمعتَ فيه سِـراري

ما الشــرقُ نحو الغرب أبعدَ شُــقَّةً ... مــن بُعد تلك الخمســةِ الأشــبارِ

هيهاتَ قــد علِقتكَ أســبابُ الرَّدى ... وأبــادَ عمــرَك قاصــمُ الأعمــارِ

ولقــد جريــتَ كمــا جريــتُ لغايةٍ ... فبلغتَهــا وأبــوكَ فــي المِضمــارِ

فــإذا نطقــتُ فأنــتَ أوَّلُ مَنطقي ... وإذا ســكتُّ فأنــت فــي إضمــاري

أُخفــي من البُرَحــاءِ نــاراً مثلَ ما ... يُخفــي مــن النــارِ الزنــادُ الواري

وأُخفِّــضُ الزَّفَــراتِ وهــي صواعدٌ ... وأُكفكِــفُ العَبَــراتِ وهــي جَــوارِ

وأكُــفُّ نيــرانَ الأســر ولربَّمــا ... غُلِــبَ التصبُّــرُ فارتمــتْ بشَــرارِ

وشــهاب زَنــد الحــزن إن طاوعتــهُ ... وارٍ وإن عــاصيــتــهُ متــوارِ

ثــوبُ الريــاء يشِــفُّ عمَّــا تحتــهُ ... فــإذا التحفــتَ بــهِ فإنَّــكَ عــارِ

قصُـرَتْ جفونـي أم تباعـد بينها ... أمْ صُـوِّرَتْ عينـي بـلا أشـفارِ

جَفَـتِ الكـرى حتَّـى كـأنَّ غِـرارهُ ... عنـد اغتمـاضِ الطرف حـدُّ غِرارِ

ولـوِ اسـتعارتْ رقـدةً لدحـا بها ... مـا بيـن أجفانـي مـن التيَّـارِ

أُحيـي ليالـي التِّمِّ وهـي تُميتُني ... ويُميتهـنَّ تبلُّـجُ الأسـحارِ

والصبـحُ قد غمـرَ النجـومَ كأنَّهُ ... سـيلٌ طغـى فطفـا علـى النُوَّارِ

لـو كنتَ تُمنـعُ خاض دونـك فتيةٌ ... منَّـا بحـار عوامـرٍ وشِـفارِ

فدَحَوْا فُويـقَ الأرضِ أرضـاً من دمٍ ... ثـمَّ انثنَـوا فبنَـوا سـماء غُبـارِ

قـومٌ إذا لبسـوا الـدروع حسـبتَها ... سُـحُباً مُـزَرَّرةً علـى أقمـارِ

وتـرى سـيوفَ الدارعيـنَ كأنَّهـا ... خُلُـجٌ تُمَـدُّ بهـا أكـفُّ بحـارِ

لـو أشـرعوا أيمانهم مـن طولها ... طعنـوا بها عِـوَضَ القنـا الخطَّارِ

شُوسٌ إذا عدِموا الوغى انتجعوا لها ... فـي كـلِّ آنٍ نُجعَـةَ الأمطـارِ

جنبوا الجيـادَ إلى المطـيِّ فراوحوا ... بيـن السـروج هنـاك والأكـوارِ

وكأنَّهـم مـلأوا عِيـابَ دروعهـمْ ... وغُمـودَ أنصُلِهـم سـرابَ قفـارِ

وكأنَّمـا صَنَـعُ السـوابغِ غَـرَّهُ ... مـاءُ الحديـدِ فصـاغَ مـاءَ قَـرارِ

زَرَداً وأحكـم كـلَّ مَوْصِـلِ حلقـةٍ ... بحَبابـةٍ فـي موضـع المسـمارِ

فتدرَّعـوا بمتـون مـاءٍ راكـدٍ ... وتقنَّعـوا بحَبـاب مـاءٍ جـارِ

أُسْـدٌ ولكـن يؤثـرون بزادهـمْ ... والأُسـدُ ليـس تديـن بالإيثـارِ

يتعطَّفـونَ علـى المُجـاورِ فيهمُ ... بالمُنْفِسـات تعطُّـفَ الأظئـارِ

يتزيَّـنُ النـادي بحُسـن وجوههمْ ... كتزيُّـنِ الهـالات بالأقمـارِ
مـن كلِّ مَـن جعل الظُّبـى أنصارَهُ ... وكَرُمْـنَ فاسـتغنى عـنِ الأنصـارِ
والليـثُ إن سـاورْتَهُ لـم يَتَّكِـل ... إلاَّ علـى الأنيـابِ والأظفـارِ
وإذا هـو اعتقـل القناةَ حسـبتَها ... صِـلاً تأبَّطَـهُ هِـزَبْـرٌ ضـارِ
زَرَدُ الـدِّلاصِ مـن الطِّعـان برمحِه ... مثـل الأسـاور فـي يـد الإسـوارِ
ويجـرُّ ثـمَّ يجـرُّ صعـدَةَ رمحِه ... فـي الجحفـلِ المتضايـقِ الجرَّارِ
مـا بيـن ثـوبٍ بالدمـاء مُضَمَّخٍ ... خَلَـقٍ ونقـعٍ بالطِّـراد مُثـارِ
والهُـونُ فـي ظِـلِّ الهُوَيْنـا كامنٌ ... وجلالـةُ الأخطـارِ فـي الإخطـارِ
تنـدى أسِـرَّةُ وجهـهِ ويمينـهُ ... فـي حالـةِ الإعسـارِ والإيسـارِ
يحـوي المعالـيَ خالِبـاً أو غالبـاً ... أبـداً يُـدارى دونهـا ويُـداري
ويمـدُّ نحـو المكرُمـاتِ أنامـلاً ... للـرزقِ فـي أثنائهـنَّ مجـارِ
قـد لاحَ فـي ليـل الشـباب كواكبٌ ... إن أُمهلـتْ آلـتْ إلـى الإسـفارِ
وتلَهُّـبُ الأحشـاءِ شـيَّبَ مَفْرقـي ... هـذا الضياءُ شُـواظُ تلـك النارِ
شـابَ القَـذالُ وكـلُّ غصـنٍ صائرٌ ... فَينانـهُ الأحـوى إلـى الإزهـارِ
والشـبه منجذبٌ فلِمْ بيضُ الدُّمى ... عـن بيـضِ مفرقـهِ ذواتُ نفـارِ
وتـوَدُّ لـو جعلـتْ سـوادَ قلوبهـا ... وسـوادَ أعينهـا خِضـابَ عِـذاري
لا تنفـر الظَّبيـات منـهُ فقد رأت ... كيف اختـلافُ النبت فـي الأطوارِ
شـيئان ينقشـعان أوَّلَ وهلـةٍ ... ظـلُّ الشـباب وصُحبـةُ الأشـرارِ

لا حبَّذا الشيبُ الوفيُّ وحبَّذا ... شرخُ الشبابِ الخائنِ الغدَّارِ

وَطَري من الدُّنيا الشباب ورَوقهُ ... فإذا انقضى فقد انقضتْ أوطاري

قَصُرَتْ مسافتُهُ وما حسناتُهُ ... عندي ولا آلاؤُهُ بقصارِ

نزداد همًّا كلَّما ازددنا غنًى ... فالفقر كلُّ الفقرِ في الإكثارِ

ما زاد فوق الزادِ خُلْفَ ضائعٌ ... في حادثٍ أو وارثٍ أو عارِ

إنِّي لأرحم حاسدِيَّ لحرِّ ما ... ضمَّت صدورهمُ من الأوغارِ

نظروا صنيع الله بي فعيونُهمْ ... في جنَّةٍ وقلوبهم في نارِ

لا ذنبَ لي قد رمتُ كتمَ فضائلي ... فكأنَّني بَرْقَعْتُ وجهَ نهارِ

وسترتها بتواضعي فتطلَّعَت ... أعناقها تعلو على الأستارِ

ومن الرجال مجاهلٌ ومعالمٌ ... ومن النجوم غوامضٌ ودراري

والناسُ مشتبهون في إيرادهمْ ... وتباينُ الأقوام في الإصدارِ

عَمْري لقد أوطأتُهم طُرُقَ العُلى ... فعمُوا ولم يطأوا على آثاري

لو أبصروا بعيونهم لاستبصروا ... لكنَّها عميتْ عن الإبصارِ

هلَّا سعَوا سعيَ الكرام فأدركوا ... أو سلّموا لمواقع الأقدارِ

ذهبَ التكرُّمُ والوفاءُ من الوَرَى ... وتصرَّما إلاَّ من الأشعارِ

وفشتْ جنايات الثقات وغيرهمْ ... حتَّى اتَّهمنا رؤيةَ الأبصارِ

ولربَّما اعتضد الحليمُ بجاهلٍ ... لا خير في يُمنى بغير يسارِ

لله دَرُّ النائباتِ فإنها ... صدأ اللئامِ وصيقل الأحرار

القصيدة الثانية لعائشة التيمورية في رثاء ابنتها:

إن سال من غرب العيون بحور ... فالدهر باغ والزمان غدور

فلكل عين حق مدرار الدما ... ولكل قلب لوعة وثبور

ستر السنا وتحجبت شمس الضحى ... وتغيبت بعد الشروق بدور

ومضى الذي أهوى وجرّعني الأسى ... وغدت بقلبي جذوة وسعير

يا ليته لما نوى عهد النوى ... وآفى العيون من الظلام نذير

ناهيك ما فعلت بماء حشاشتي ... نار لها بين الضلوع زفير

لو بث حزني في الورى لم يلتفت ... لمصاب قيس والمصاب كبير

طافت بشهر الصوم كاسات الردى ... سحراً وأكواب الدموع تدور

فتناولت منها ابنتي فتغيرت ... وجنات خد شأنها التغيير

فذوت أزاهير الحياة بروضها ... وأنقد منها مائس ونضير

لبست ثياب السقم في صغر وقد ... ذاقت شراب الموت وهو مرير

جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفا ... إن الطبيب بطبه مغرور

وصف التجرع وهو يزعم أنه ... بالبرء من كل السقام بشير

فتنفست للحزن قائلة له ... عجل ببرئي حيث أنت خبير

وارحم شبابي إن والدتي غدت ... ثكلى يشير لها الجوى وتشير

وارأف بعين حرمت طيب الكرى ... تشكو السهاد وفي الجفون فتور

لما رأت يأس الطبيب وعجزه ... قالت ودمع المقلتين غزير

أمـــاه قـــد عز اللقـــاء وفـــي غد ... ســـترين نعشـــي كالعروس يســـير
وســـينتهي المسعى إلى اللحد الذي ... هـــو منزلـــي ولـــه الجمـــوع تصير
قولـــي لـــرب اللحد رفقـــا بابنتي ... جـــاءت عروســـا ســـاقها التقدير
وتجلـــدي بـــإزاء لحـــدى برهـــة ... فتـــراك روح راعهـــا المقـــدور
أمـــاه قـــد ســـلفت لنـــا أمنيـــة ... يـــا حســـنها لـــو ســـاقها التيســـير
كانـــت كأحـــاوم مضت وتخلفـــت ... مـــذ بان يـــوم البيـــن وهـــو عســـير
عـــودي إلـــى ربـــع خـــلا ومآثـــر ... قـــد خلفـــت عنـــي لهـــا تأثيـــر
صونـــي جهـــاز العرس تذكـــارا فلي ... قـــد كـــان منه إلـــى الزفاف ســـرور
جرت مصائـــب فرقتي لـــك بعد ذا ... لبـــس الســـواد ونفـــد المســـطور
والقبـــر صـــار لغصن قـــدي روضة ... ريحانهـــا عنـــد المـــزار زهـــور
أمـــاه لا تنســـي بحـــق بنوتـــي ... قبـــري لئـــلا يحـــزن المقبـــور
فأجبتهـــا والدمع يحبس منطقي ... والدهـــر مـــن بعـــد الجـــوار يجور
بنتـــاه يا كبـــدي ولوعـــة مهجتي ... قـــد زال صفـــو شـــأنه التكديـــر
لا توصـــي ثكلـــى قـــد أذاب فؤادها ... حـــزن عليـــك وحســـرة وزفيـــر
أبكيـــك حتـــى نلتقـــي فـــي جنـــة ... بريـــاض خلـــدٍ زينتهـــا الحـــور
إن قيـــل عائشـــة أقول لقـــد فنى ... عيشـــي وصبـــري والإلـــه خبيـــر
ولهـــي على توحيدة الحســـن التي ... قـــد غـــاب بـــدر جمالها المســـتور
قلبي وجفنـــي واللســـان وخالقي ... راض وبـــاك شـــاكر وغفـــور
متعـــت بالرضوان فـــي خلد الرضا ... مـــا ازينـــت لـــك غرفـــة وقصـــور

القصيدة الثالثة: عينية أبي ذؤيب[1] في رثاء بنيه:

أَمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تَتَوَجَّعُ ... والدَّهْرُ ليسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

قالتْ أُمَيْمَةُ: ما لِجِسْمِكَ شاحِباً ... مُنْذُ ابْتُذِلْتَ ومثلُ مالِكَ يَنْفَعُ

أَمْ ما لِجَنْبِكَ لا يُلائِمُ مضْجَعاً ... إلاَّ أَقَضَّ عَليكَ ذَاكَ المضْجَعُ

فأَجَبْتُها: أَمَّا لجِسْمي أَنَّهُ ... أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ البِلادِ فَوَدَّعُوا

أَوْدَى بَنِيَّ وأَعْقَبونِي غُصَّةً ... بَعْدَ الرُّقَادِ وعَبْرَةً لا تُقْلِعُ

سَبَقوا هَوَيَّ وأَعْنقُوا لِهَواهُمُ ... فَتُخُرِّموا، ولُكلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

فَغَبَرْتُ بَعْدَهُمُ بِعَيشٍ ناصِبٍ ... وأَخالُ أَنِّي لاحِقٌ مُسْتَتْبَعُ

ولقد حَرَصْتُ بِأَنْ أُدافِعُ عنهمُ ... فإذا المَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لا تُدْفَعُ

وإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظفارَها ... أَلْفَيْتَ كلَّ تَمِيمةٍ لا تَنْفَعُ

فالعَيْنُ بعدَهُمُ كأَنَّ حِداقَها ... سُلِمَتْ بِشَوْكٍ فَهْيَ عُورٌ تَدْمَعُ

حتى كأَنِّي للحَوادِثِ مَرْوَةٌ ... بِصَفا المُشَرَّقِ كُلَّ يومٍ تُقْرَعُ

وتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ ... أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ

والنَّفْسُ راغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَها ... وإِذَا تُرَدُّ إلى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

ولَئِنْ بِهِمْ فَجَعَ الزَّمانُ ورَيْبُهُ ... إِنِّي بِأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفْجَّعُ

كَمْ مِنْ جَمِيعِ الشَّمْلِ مُلْتَئِمِ القُوَى ... كانوا بعَيْشٍ قَبْلَنا فَتَصَدَّعُوا

---

(١) درج العرب على تسمية القصيدة الطويلة المنتهية بحرف معين في سجعها باسم هذا الحرف، وهو في هذه القصيدة حرف العين، ومثلها النونية واللامية وهكذا.

والدَّهْـرُ لا يَبْقَـى عَلَـى حَدَثانِـهِ ... جَـوْنُ السَّـرَاةِ لَـهُ جَدَائِـدُ أَرْبَـعُ

صَخِـبُ الشَّـوارِبِ لايَـزَالُ كأَنَّـهُ ... عَبْـدٌ لآلِ أَبِـي رَبِيعَـةَ مُسْـبَعُ

أَكَـلَ الجَمِيـمَ وطاوَعَتْـهُ سَـمْحَجٌ ... مِثْـلُ القَنَـاةِ وأَزْعَلَتـه الأَمْـرُعُ

بِقَـرَارِ قِيعَـانٍ سَـقاها وَابِـلٌ ... وَاهٍ، فَأَثْجَـمَ بُرْهَـةً لا يُقْلِـعُ

فَلَبِثْـنَ حِينـاً يَعْتَلِجْـنَ بِرَوْضِـهِ ... فَيُجِـدُّ حِيناً فِـي العِلاَجِ وَيَشْـمَعُ

حتَّـى إِذَا جَـزَرَتْ مِيـاهُ رُزُونِـهِ ... وبِـأَيِّ حِيـنٍ مَـلاوَةٍ تَتَقَطَّـعُ

ذكَـرَ الْـوُرُودَ بِهـا وشَـاقَى أَمْـرَهُ ... شُـؤْمٌ وأَقْبَـلَ حَيْنُـهُ يَتَتَبَّـعُ

فَافْتَنَّهُـنَّ مِـنَ السـوَاءِ ومـاؤُهُ ... بَثْـرٌ، وعانَـدَهُ طرِيـقٌ مَهْيَـعُ

فكأَنَّهـا بِالجِـزْعِ بَيْـنَ نُبايـعٍ ... وأُولاَتِ ذِي العَرْجـاءِ نَهْـبٌ مُجْمَـعُ

وكـأَنَّـهُـنَّ رِبـابَـةٌ وكأَنَّـهُ ... يَسـرٌ يُفِيـضُ على القِـدَاحِ ويَصْدَعُ

وكأَنَّمـا هُـو مِـدْوَسٌ مُتقَلِّـبٌ ... فِـي الكَـفِّ إِلاَّ أَنَّـهُ هُـوَ أَضْلَـعُ

فَـوَرَدْنَ والعَيُّـوقُ مَقْعَـدَ رَابِـىءِ الـ ... ضُرَبـاءِ فَـوقَ النَّظْـمِ لا يَتَتَلَّـعُ

فَشَـرَعْنَ فِي حَجَـرَاتِ عَـذْبٍ بـارِدٍ ... حَصِـبِ البِطـاحِ تَغِيبُ فيـه الأَكْرُعُ

فَشَـرِبْنَ ثـمَّ سَـمِعْنَ حِسًّـا دُونَـهُ ... شَـرَفُ الحِجـابِ ورَيْـبَ قَـرْعٍ يُقْرَعُ

ونَمِيمَـةً مِـنْ قانِـصٍ مُتلَبِّـبٍ ... فِـي كَفِّـهِ جَـشْءٌ أَجَـشُّ وأَقْطَـعُ

فَنَكِرْتَـهُ ونَفَـرْنَ وامْتَرَسَـتْ بِـهِ ... سَـطعَاءُ هَادِيَـةٌ وهَـادٍ جُرْشَـعُ

فَرَمَـى فأَنْفَـذ مِـنْ نَجُـودٍ عائِطٍ ... سَـهْماً، فَخَـرَّ وَرِيشُـهُ مُتَصَمِّـعُ

فَبَـدَا لَـهُ أَقْـرَابُ هَـذَا رَائِغـاً ... عَجِـلاً، فَعَيّثَ فـي الكِنانَـة يُرْجِعُ

فَرَمَـى فأَلْحَـقَ صاعِدِيًّـا مِطْحَراً ... بالكَشْـحِ فاشْـتَمَلَتْ عليـهِ الأَضْلُعُ

فأَبَدَّهُـنْ حُتُوفَهُـنّ فَهـارِبٌ ... بِذَمائِـهِ أَو بـارِكٌ مُتَجَعْجَـعُ

يَعْثُـرْنَ فـي حَـدِّ الظُّبـاتِ كأَنّما ... كُسِـيَتْ بُـرُودُ بَنِـي تَزِيـدَ الأَذْرُعُ

والدَّهْـرُ لاَ يَبْقَـي علـى حَدَثانِـهِ ... شَـبَبٌ أَفَزَّتْـهُ الكِـلاَبُ مُـرَوَّعُ

شَـعَفَ الكِـلاَبُ الضّارِيـاتُ فُـؤَادَهُ ... فـإِذَا رأَى الصُّبْـحَ المُصَـدَّقَ يَفْـزَعُ

ويُعـوذُ بالأَرْطَـى إِذَا مـا شَـفَّهُ ... قَطْـرٌ ورَاحَتْـهُ بَلِيـلٌ زَعْـزَعُ

يَرْمِـي بِعَيْنَيْـهِ الغُيُـوبَ وطَرْفُـهُ ... مُغْـضٍ يُصَـدِّقُ طَرْفُـهُ ما يَسْـمَعُ

فَغَـدَا يَشـرّق مَتْنَـهُ فَبـدَا لَـهُ ... أُولَـى سَـوَابِقِها قَرِيبـاً تُـوزَعُ

فاهْتـاجَ مِـنْ فَـزَعٍ وسَـدّ فُرُوجَـهُ ... غُبْـرٌ ضَـوَارٍ وَافيـانِ وأَجْـدَعُ

يَنْهَشْـنَهُ ويذُبُّهُـنَ ويَحْتَمِـي ... عَبْـلُ الشَّـوَى بالطُّرَتَيْـنِ مُوَلَّـعُ

فَنَحـا لَهـا بِمُذَلَّقَيْـنِ كأَنّمـا ... بِهِمـا مِـنَ النَّضْـجِ المُجَـدَّحِ أَيْـدعُ

فكـأَنّ سَـفُّودَيْن لمّـا يُقْتِـرَا ... عجِـلاَ لَـهُ بِشِـوَاءِ شَـرْبٍ يُنْـزَعُ

فصَرَعْنَـهُ تحـتَ الغُبـارِ وجَنْبُـهُ ... مُتَتَـرِّبٌ، ولكـلِّ جَنْـبٍ مَصْـرَعُ

حتَّـى إِذا ارتَـدَّتْ وأَقْصَـدَ عُصْبَـةً ... منهـا، وقـامَ شَـرِيدُها يَتَضَـوَّعُ

فَبـدَا لَـهُ رَبُّ الكِـلاَبِ بِكَفِّـهِ ... بِيـضٌ رِهـابٌ رِيشُـهُنّ مُقَـزَّعُ

فَرَمَـى لِيُنْقِـذَ فَرّهـا فَهَـوَى لَـهُ ... سَـهْمٌ، فأَنْفَـذَ طُرّتَيْـهِ المِنْـزَعُ

فَكبَـا كمـا يَكْبُـو فَنيـقٌ تـارِزٌ ... بالخَبْـثِ إلاّ أَنّـهُ هُـوَ أَبْـرَعُ

والدّهْـرُ لا يَبْقَـى علـى حدَثانِـهِ ... مُسْتَشْـعِرٌ حَلَـقَ الحديـدِ مُقنّـعُ

حَمِيَـتْ عليـه الـدّرْعُ، حتّـى وَجْهُهُ ... مِـنْ حَرّهـا يـومَ الكريهَـةِ أَسْـفَعُ

تَعدُو بـهِ خَوْصـاءُ يَفْصِـمُ جَرْيُها ... حَلَـقَ الرّحَالَـةِ فَهْـيَ رِخْـوٌ تَمْـزَعُ

قَصَرَ الصّبُوحَ لها فَشُـرّجَ لَحْمُها ... بالنّـيّ فَهْـيَ تَثُـوخُ فيهـا الإِصْبَعُ

مُتفَلّـقٌ أَنْسَـاؤُها عـنْ قانِـىءٍ ... كالقُـرْطِ صَـاوٍ غُبْـرُهُ لاَ بُرْضَـعُ

تَأَبَـى بِدِرّتِهـا إذا مـا اسْـتُغْضِبَتْ ... إلاّ الحَمِيـمَ فـإِنّـهُ يَتَبَضّـعُ

بَيْنَـا تَعَنُّقِـهِ الكُمـاةَ ورَوْغِـهِ ... يَوْمـاً أُتِيـحَ لـهُ جَـرِيءٌ سَـلْفَعُ

يَعْـدُو بـهِ نَهْـشُ المُشَـاشِ كأَنّـهُ ... صَـدَعٌ سَـلِيمٌ رَجْعُـهُ لاَ يَظْلَـعُ

فَتنادَيـا وتَوَافَقَـتْ خَيْلاَهُمـا ... وكِلاَهُمـا بَطَـلُ اللّقـاءِ مُخَـدّعُ

متَحامِيَيْـنِ المَجْـدَ، كـلُّ وَاثِـقٌ ... بِبلائِـهِ، والْيَـوْمُ يَـوْمٌ أَشْـنَعُ

وعليهمـا مَسْـرُودَتانِ قَضَاهُمـا ... دَاوُودُ أَو صَنَـعُ السّـوَابِغِ تُبّـعُ

وكِلاَهُمـا فـي كَفّـهِ يَزَنِيّـةٌ ... فيهـا سِـنانٌ كالمنـارَةِ أَصْلَـعُ

وكِـلاَهُـمـا مُـتَـوَشّـحٌ ذَا رَوْنَـقٍ ... عَضْبـاً إذَا مَـسّ الضّرِيبَـةَ يَقْطَـعُ

فَتَحَالَسَـا نَفْسَـيْهِما بِنَوَافِـذٍ ... كَنَوَافِـذِ العُبُـطِ الّتـي لاَ تُرْقَـعُ

وكِلاهُمـا قـد عـاشَ عِيشَـةَ ماجِدٍ ... وجَنَـى العَـلاَءَ، لَـوَ أنّ شـيْئاً يَنْفَعُ

القصيدة الرابعة: لابن الرومي في رثاء ولديه:

بُكَاؤُكُمَا يَشْفِيْ وَ إنْ كَانَ لاَ يُجْدِيْ ... فَجُوْدَا فَقَدْ أوْدَى نَظِيْرُكُمَا عِنْدِي

بُنَيّ الذِي أهْدَتْهُ كَفّايَ لِلثّرَى ... فَيَا عِزّةَ المُهْدَى، وَيَا حَسْرَةَ المُهْدِي

ألاَ قَاتَلَ اللّهُ المَنَايَا وَ رَمْيَهَا ... مِنَ القَوْمِ حَبّاتِ القُلُوْبِ عَلَى عَمْد

تَوَخّى حِمَامُ المَوْتِ أوْسَطَ صِبْيَتِي ... فَلِلّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ العِقْدِ

عَلَى حِيْنِ شِمْتُ الخَيْرِ مِنْ لَمَحَاتِهِ ... وَ آنَسْتَ مِنْ أفْعَالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ

طَوَاهُ الرّدَى عَنّيْ، فَأضْحَى مَزَارُه ... بَعِيْدَاً عَلَى قُرْبٍ، قَرِيْبَاً عَلَى بُعْدِ

لَقَدْ أنْجَزَتْ فِيْهِ المَنَايَا وَ عِيْدَهَا ... وَأخْلَفَتِ الآمَالُ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ

لَقَدْ قَلّ بَيْنَ المَهْدِ وَ اللحْدِ لَبْثُهُ ... فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ المَهْدِ، إذْ ضُمّ فِي اللّحْدِ

ألَحّ عَلَيْهِ النّزْفُ حَتّى أحَالَهُ ... إلَى صُفْرَةِ الجَادِيّ عَنْ حُمْرَةِ الوَرْدِ

وَظَلّ عَلَى الأيْدِيْ تَسَاقَطُ نَفْسُهُ ... وَيَذْوِيْ كَمَا يَذْوِي القَضِيْبِ مِنَ الرّنْدِ

فَيَالَكِ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقَطُ أنْفُسَاً ... تَسَاقُطُ دُرٍ مِنْ نِظَامٍ بِلاَ عَقْدِ

عَجِبْتُ لِقَلْبِيْ كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ ... وَلَوْ أنّهُ أقْسَى مِنَ الحَجَرِ الصّلْدِ

بِوُدِيْ أنّي كُنْتُ قَدْ مُتُّ قَبْلَهُ ... وَ أنّ المَنَايَا، دُوْنَهُ، صَمَدَتْ صَمْدِي

وَلَكِنّ رَبّي شَاءَ غَيْرَ مَشِيْئَتِي ... وَلِلّرّبّ إمْضَاءِ المَشِيْئَةِ، لاَ العَبْدِ

وَ مَا سَرّنِي أنْ بِعْتُهُ بِثَوَابِهِ ... وَ لَوْ أنّهُ التّخْلِيْدِ فِي جَنّةِ الخُلْدِ

وَ لاَ بِعْتُهُ طَوْعَاً، وَلَكِنْ غُصِبْتُهُ ... وَ لَيْسَ عَلَى ظُلْمِ الحَوَادِثِ مِنْ مُعْدِ

وَ إنّي وَإنْ مُتّعْتُ بِابْنِيّ بَعْدَهُ ... لَذَاكِرُهُ مَا حَنّتِ النِيّبُ فِي نَجْدِ

وَأوْلاَدُنَا مِثْلُ الجَوَارِحِ، أيُّهَا ... فَقَدْنَاهُ، كَانَ الفَاجِعُ البَيّنُ الفَقْدِ

لِـكُـلِّ مَـكَـانٍ لاَ يَـسِّـدُ اخْـتِـلاَلَـهُ ... مَـكَـانُ أخِـيْـهِ فِي جُـزُوْعٍ وَلاَ جَلَدِ

هَلْ العِيْنِ بَعْدَ السَّمْعِ تَكْفِي مَكَانَهُ ... أمْ السَّمْعَ بَعْدَ العَيْنِ يَهْدِي كَمَا تَهْدِي

لَعَمْرِي لَقَدْ حَالَتْ بِيَ الحَالُ بَعْدَهُ ... فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِي

ثَـكَـلْـتُ سُـــرُوْرِيَ كُـلَّـهُ إذْ ثَكَلْتُهُ ... وَ أصْبَحْتُ فِي لَذّاتِ عَيْشِي أخَا زُهْدِ

أرَيْحَانَةُ العَيْنَيْنِ وَالأنْفِ وَ الحَشَا ... ألاَ لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَغَيَّرَتْ عَنْ عَهْدِي

سَأسْقِيْكَ مَاءُ العَيْنِ مَا أسْعِدْتُ بِهِ ... وَإنْ كَانَتْ السُقْيَا مِنَ العَيْنِ لاَ تُجْدِي

أعَيْنَيَّ جُوْدَا لِي، فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى ... بِـأنْـفُـسٍ مِمَّـا تُـسْـأَلاَنِ مِـنَ الرِّفْدِ

أقُـــرَّةَ عَـيْـنِـي، قَـدْ أطَـلْـتُ بُكَاءُهَا ... وَ غَادَرْتُهَا أقْذَى مِنَ الأعْيُنِ الرُّمْدِ

أقُـرَّةَ عَيْنِي، لَوْ فَدَى الحَيُّ مَيِّتاً ... فَدَيْتُكَ بِالحَوْبَاءِ أوَّلَ مَنْ يَفْدِي

كَأنِّي مَا اسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِضَمَّةٍ ... وَ لاَ شَمَّةٌ فِي مَلْعَبٍ لَكَ أوْ مَهْدِ

ألاَمَ لِمَا أبْدِيْ عَلَيْكَ مِنَ الأسَى ... وَ إنِّي لأخْفِي مِنْهُ أضْعَافَ مَا أبْدِي

مُحَمَّدٌ، مَا شَيءُ تَوَهَّمَ سَلْوَةً ... لِقَلْبِي إلاَّ زَادَ قَلْبِي مِنَ الوَجْدِ

أرَى أخَوَيْكَ البَاقِيَيْنِ كِلَيْهِمَا ... يَكُوْنَانِ لِلأحْزَانِ أوْرَى مِنَ الزَّنْدِ

إذَا لَعِبَا فِي مَلْعَبٍ لَكَ لَذَّعَا ... فُؤَادِي بِمِثْلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْدِ

فَمَا فِيْهِمَا لِيْ سَلْوَةٌ، بَلْ حَزَازَةٌ ... يُهَيِّجَانِهَا دُوْنِي، وَأشْقَى بِهَا وَحْدِي

وَأنْتَ، وَإنْ أفْرِدْتَ فِي دَارِ وَحْشَةٍ ... فَإنِّي بِدَارِ الأنْسِ فِي وَحْشَةِ الفَرْدِ

أوَدُّ إذَا مَا المَوْتُ أوْفَدَ مَعْشَراً ... إلَى عَسْكَرِ الأمْوَاتِ، أنِّي مِنَ الوَفْدِ

وَمَنْ كَانَ يَسْتَهْدِي حَبِيْبَاً هَدِيَّةً ... فَطَيْفُ خَيَالٍ مِنْكَ فِي النَّوْمِ أسْتَهْدِي

عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ مِنِّي تَحِيَّةً ... وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ البَرْقِ وَ الرَّعْدِ

كلمات طيبة: مقالات كتبت في رثاء عبدالله رحمه الله

آن الأوان[١]

د.عصام عبداللطيف الفليج

إن أكثــر ما يصيب المرء من بــلاء عندما يقترن بالأبناء، كيف لا وهم خلقــوا من أصلاب الآباء، ونزلت فيهم الآيات والأحاديث التي تؤكد على حســن تربيتهم وتنشــئتهم ورفقتهم والإنفاق عليهم!!، وكل ذلك يزيد من الارتبــاط الوجداني بينهم؛ لذا.. كانــت أحاديث الصبر على البلاء عند فقد الأبناء، ووعد الله الصابريــن والحامدين والثابتين بالأجر العظيم، وأكرمهم بالجنة، فيا له من كرم ونعيم.

وبالأمس فقدت الكويت أحد شبابها، وهو عبدالله ابن الأخ والصديق العزيــز د. عبدالمحســن الجارالله الخرافي، حيث توفي بســبب المرض رحمه الله، فكان صابراً على المرض كما ذكر والده، ووجدت والديه أكثر صبراً وثباتاً، فهو الابن الوحيد مع أربع شــقيقات أديبات حفظهن الله، وحديث التخرج في الجامعة، ويكنى والداه به، إلا أن قدر الله كان أسبق، فأراد لهم عز وجل الخير جميعاً ولا شك.

ودائما أســتذكر هــذه العبارة «إذا أحب الله عبــداً، جعل محبته بين عباده»، وأستشــهد بأخي د. عبدالمحسن بذلك، فهو محبوب بين الناس، وكتــب الله له القبول فــي الأرض، والمفاجأة أنني وجــدت القبول لابنه

(١) تم نشر هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٤/١٠/١م.

عبدالله لدى كثير من الناس، والتويتر خير شاهد على ذلك، وذكره أقرانه في الجامعة مـــن مختلف التيارات والقوائم الطلابية، فكانت محبته بين الناس أسوة بأبيه، فذاك الشبل من ذاك الأسد، وكان ذا خلق رفيع وأدب جم أسوة بوالدته الكريمة، فرحل شبلاً محبوباً بين الناس، يتوالى الدعاء لـــه بالرحمة والمغفرة، وكان نصيبه الرحيل إلى الدار الآخرة في العشـــر الأول من ذي الحجة، أفضل الأيام عند الله تبارك وتعالى.

رحم الله عبدالله، وجعل الجنة مثواه، وأســـأل الله الصبر والســـلوان لوالديه وشقيقاته وأحبابه، وهنيئا لكم ببيت في الجنة.

«إنا لله وإنا إليه راجعون».

***

قال رسول الله ﷺ: ما من رجُلٍ يَدعُو بِدعاءٍ الَّا اسْتُجِيبَ لهُ، فإمّا ان يُعَجَّـــلَ لهُ في الدنيا، وإمَا أن يُدَّخَرَ لهُ في الآخِرَةِ، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لمْ يَدْعُ بإثمٍ، أوْ قطيعةِ رَحِم، أو يَستعجِلُ، قالوا: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: دعوْتُ ربِّي فمَا اسْتجابَ لِي[1].

قصيدة ابوالحسن التهامي في رثاء ابنه الشيخ محمد العريفي (٠٥ : ٣)

(١) أخرجه الترمذي في سننه: ح (٣٦٠٤).

هكذا نتعلم الصبر[١]

بقلم: د. مطلق القراوي

شـــاءت أقدار الله أن يقطف ثمرة قلب عبدالله، ذلك الشـــاب اليافع الذي ترعرع في أســـرة محافظة ما بين والدتـــه ووالده وأخواته... ذكر بالطيبة وســـماحة الوجه وعُرف بالبر الذي يستشـــعره والداه من حسن المعاملة والخلق، لقد انتقل عبدالله من دار الشـــقاء إلى دار الراحة بإذن اللـــه تعالى وهذا فضل عظيم من رب كريم.. إنها مشـــيئة الله كتبت من الأزل فمالنـــا إلا أن نقول: إنا لله وإنـــا إليه راجعون، وإنا على فراقك يا عبدالله لمحزونون.

لقد كان لرســـالة أبـــي عبدالله أثر كبير، فقد حملت هذه الرســـالة معاني كثيرة تمخضت من هذا الحدث الجلل، فوجدته صابراً محتســـباً مؤمنـــاً بقضاء الله وقدره... اســـترجع ورضي بما قدره الله له، وهذا ما تعلمناه منه خلال تعاملنا معه في كثير من المشـــاريع، فدائماً ما يصبِّرنا ويهوِّن علينا العظيم من الأمور... ويســـهِّل علينا كل صعب، ويتجاوز عن الأخطـــاء مقابل تحقيق النتائج والأهداف، ثم ها هو يظل ثابتاً أمام هذا الحدث العظيم ليعلمنا الموقف الحقيقي للمسلم في الواقع الصعب.

يقول أبو عبدالله في رسالته:

بعد اســـم الله الســـلام أرجو أن تبلغ عني إخوانـــي وأهلي وأحبابي أحباب عبدالله هذه البشارة:

---

(١) تم نشر هذه المقالة بجريدة الأنباء بتاريخ ٢٠١٤/٩/٣٠م.

الحمـــد لله على ما اختـــار لعبدالله أن يبني لوالديـــه في الجنة بيتاً اسمه بيت الحمد، كما وعدنا ربنا على لسان نبيه ﷺ:

عن أبى ســـنان قال: دفنت ابني سناناً، وأبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر، فلما أردت الخروج أخذ بيدي، فقال: ألا أبشرك يا أبا سنان؟

قلـــت: بلى، قـــال: حدثني الضحاك بن عبدالرحمن عن أبي موســـى الأشعري عن النبي ﷺ قال:

«إذا مات ولد الرجل يقول الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟

فيقولون: نعم

فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟

فيقولون: نعم

فيقول: ماذا قال عبدي؟

قال: حمدك واسترجع.

فيقول: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسمّوه بيت الحمد»[1].

ومعنى استرجع: قال إنا لله وإنا إليه راجعون.

وإني لعلى يقين بحســـن ظني بربي أنه سيستضيفني ووالدته الحنون أم عبداللـــه هناك بوعد الله وبرحمته وفضله وسنســـتضيف عندئذ كل أحبابنا وأحباب عبدالله الذين ضجوا بالدعاء له، وغمرونا بمشـــاعرهم الصادقة الفياضة، ونعدهم بأننا لن ننســـاهم في ذلك اللقاء الموعود في ذلك البيت المشهود.

---

(١) رواه الترمذي: ح (١٠٢١)، وهو حسن.

وقد أكرمه الله سبحانه وأكرمنا معه بذلك قبل قليل وحسب توقيتكم في الكويت في الساعة الخامسة من مساء اليوم السبت الثالث من العشر المباركات من ذي الحجة.

كما أبشرك دون سرد التفاصيل بعظم التيسير الذي لاقاه عبدالله في جميع مراحل مرضه وعلاجه، فقد كانت أمور علاجه ميسرة بشكل منقطع النظير يشبه شخصيته الوديعة الطيبة التي تعرفونها جيداً دون تزكية مني حتى إنه لم يعان إلا بقدر ما شاء الرحمن أن يتفضل به عليه من تكفير الذنوب ورفع الدرجات بإذنه وفضله وكرمه وهو أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين

والحمد لله على كل حال.

إنه الصبر الذي ذكره الله تعالى في كتابه الكريم أكثر من تسعين مرة فقال: وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

أسأل الله أن يرحم عبدالله ويجعله في الفردوس الأعلى وأن يلهم ذويه الصبر والسلوان.

معنى الصبر

الشيخ محمد راتب النابلسي (٢٠٤١)

كلمة وفاء

فإنا على مصابكم لمحزونون وعلى صبركم لفخورون[١]

وفاء العماني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

نسأل الله تعالى أن يأجر ذوي المرحوم عبدالله الخرافي رحمة الله عليه، وأن يخلف على والديه خيراً، فقد قال عز جل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[٢]، ففضل الصبر عند الصدمة الأولى عظيم، فهناك الجزاء العاجل من الله للصبر والرضا بقضائه، فضلاً عن الأجر الآجل، الذي يتلخص في الفوز بالجنة، وما أدراك ما الجنة. قال تعالى في الحديث القدسي: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة[٣].

فهنيئا للسيد الفاضل د. عبدالمحسن عبدالله الخرافي، صبره على الابتلاء السريع والمفاجئ عند مرض ولده، وعند تلقي نبأ وفاته، فعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله

---

(١) تم نشر هذه المقالة بجريدة الأنباء بتاريخ ٢٠١٤/٩/٣٠م.

(٢) سورة البقرة الآية (١٥٥-١٥٧).

(٣) رواه البخاري: ح (٦٤٢٤).

لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولــون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده. فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد»[١].

فلقد عرف د. عبدالمحسن الخرافي بحبه للخير، ونصرته للضعفاء، وحنوِّه على كل العاملين معه دون تمييز، كما عرف بدماثة خلقه وتواضعه الشديد وحرصه على إعطاء كل ذي صاحب حق حقه، كما عرف بطيبته وكرمه.

وهو دائما إذا ما علم بخبر مرض أحد عاده، وإذا عرف بوفاة شخص ســابق أهله إلى دفنه، وذكَّــر الناس بالخير قولاً وكتابةً، وذلك بشــهادة الجميــع، وقد حزن الكل على مصابه الجلــل، وكأنه فلذة كبد كل عامل في الأمانة العامة للأوقاف، ولقد كانوا يتابعون حالة ابنه منذ سماع نبأ مرضــه ويبتهلون إلى الله العلي القدير أن يشــفيه إلى أن تلقى الجميع نبــأ وفاته في جو من الحزن والألم، ولكن لله أمانات يســترجعها وقتما يشــاء، فالله أعطى والله أخذ فهنيئا لوالــده ووالدته في صبرهما على هــذا الاختبار الصعب، فالدنيا دار ابتــلاء وبيان لثمرات وفوائد الصبر عليهــا، ونتذكر قول المولى عز وجل﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٢].

فعظم الله أجر الأسرة الكريمة على مصابها وصبرها وأثاب فقيدها خير الثواب وأحسن عزاءهم بإذن الله.

---

(١) رواه الترمذي: ح (١٠٢١)، وحسّنه أحمد والألباني.

(٢) سورة الرحمن الآية (٢٦-٢٧).

منتدى الآل والأصحاب
إلى لقاءٍ جديدٍ أيها الابن البار عبدالله[١]
محمد سالم الخضر

قليلة هي اللحظات التي يقف فيها اللسان متلعثماً وعاجزاً عن التعبير، وبالأخص حينما تقف أمام رجلٍ تحمل في قلبك له المودة والإجلال لتعزّيه بفقده الولد، من الصعب حينها أن تنتقي كلماتك، والأصعب من ذلك أن تكون تعزيتك ذات أثر في قلبه، لا كسائر التعازي العادية التي بالكاد تستطيع فكَّ عباراتها.

ها أنا أقف أمام قامة كبيرة من قامات العمل الخيري في الكويت، أقف أمام د. عبد المحسن الجار الله الخرافي الذي قدَّم للعمل الخيري، ولبلده الكويت الكثير.

إن كان قد أسمى كتابه عن رواد العمل الخيري في بلاده: «محسنون من بلدي»، وكتابه عن رواد التربية والتعليم في بلاده: «مربَّون من بلدي»، فهو من كبارهم، لا أقولها تحيّزاً – وإن كانت شهادتي فيه مجروحة – لكنها شهادة حق لرجلٍ قدَّم الكثير فأحسن، ومن حقه علينا أن نحمد صنائعه ونذكره بالخير، وفي الحديث: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس».

والحديث عن د. عبد المحسن الجار الله الخرافي –أمين عام الأمانة العامة للأوقاف– يطول، أمام سجل كبير من الإنجازات والتفاني في العمل، وليس المقام مقام تناولها. وبعيداً عن سجل إنجازاته الذي لم

(١) تم نشر هذه المقالة بجريدة الوطن بتاريخ ٢٠١٤/١٠/٨م.

أذكر منه إلا طرفاً، أقــف اليوم أمامه لأرى أباً رحيماً صبوراً حامداً لله تعالى على فقده ابنه الشاب البار «عبدالله».

ذكَّرنــي موقف د. عبد المحســن تجاه فقده ولــده، ورضاه التام على قضــاء الله تعالى وقدره، بما ذكره الإمام ابن الجوزي[١] عن العلامة أبي الوفاء ابــن عقيل الحنبلي من أنه ظهر منه عند فقده ولده صبرٌ جميلٌ، قلَّ أن تسمع عنه.

فقد دخل عليه بعض أصحابه وهو جالسٌ يروِّح ابنه بعد موته، فكأنه أحسَّ من الداخل عليه انكاراً لما يفعل، فقال له: إنها جثة علي كريمة، فما دامت بين يدي لم يطب قلبي إلا بتعاهدها، فإذا غابت فهي في استرعاة من هو لها خير مني.

وقــال العلامة ابن عقيــل الحنبلي - رحمه الله- مــرة متحدِّثاً عن نفســه: «لما أصبت بولدي عقيل خرجت إلى المسجد إكراماً لمن قصدني من الناس والصدور، فجعل قارئ يقــرأ: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا ﴾[٢]، فبكــى الناس وضجَّ الموضع بالبكاء، فقلت له: يا هذا إن كان قصدك بهــذا تقبيح الأحزان فهو نياحة بالقــرآن، وما نزل القرآن للنوح، إنما نزل ليسكن الأحزان، فأمسك).

وأعظم من هذا كله، ما قاله مخاطباً ولده بعد موته: «لولا أن القلوب توقن باجتماع يا بني، لتفطَّرت المرائر لفراق الأحباب»[٣].

---

(١) المنتظم (١٤٨/١٧).

(٢) سورة يوسف الآية (٧٨).

(٣) المنتظم: (١٤٨/١٧).

وفي الحديث-على ضعف فيه- ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسمّوه بيت الحمد»[1].

فنسأل الله تعالى أن يرزق حبيبنا «عبدالله» الفردوس الأعلى، برحمة الله تعالى وكرمه، ثمَّ ببره لأبيه، وصبره على ما أصابه، وأن يكون شفيعاً لأهله.

عظَّم الله أجرك يا د. عبد المحسن، وآجرك في مصيبتك، وأخلفك خيراً منها.

وإلى لقاءٍ جديدٍ يا عبدالله، فإنّ القلوب موقنة بفضل الله تعالى ورحمته وكرمه.

حكمة في الابتلاء

د. عمر عبدالكافي (٠٨ : ٥)

(١) سنن الترمذي: ح (١٠٢١) ومسند أحمد: ح (١٩٧٢٥) بالإضافة إلى ثلاث عشرة رواية أخرى للحديث يعضد بعضها بعضاً.

حصر ببيولوغرافي للمراجع (الكتب) القديمة والحديثة التي تكلمت عن موضوع الكتاب (المرض والموت) بشكل كلي أو جزئي:

يلاحظ أن هذا هو حصر لبعض الكتب والمراجع التي أوردت كلاً من المرض والموت وما يتعلق بهما من آداب وفضائل من جهة، وعبر نصائح من جهة أخرى، علماً بأنه قد تمت الاستعانة ببعض هذه المصادر كمراجع لمادة هذا الكتاب فضلاً عن كتب التفسير والحديث والتعليق عليها في مواقع مختلفة من الشبكة العنكبوتية «الإنترنت».

والفكرة من تقديمها بين يدي القارئ الكريم هو توفير طيف واسع من الكتب والمراجع التي قد يجد فيها بغيته في حالة حدوث حالات المرض أو الوفاة وما بعدهما، الأمر الذي يسهل نقل الفكرة التي نحن بصددها في رحاب رحلتنا مع عبدالله إلى بيت الحمد.

والله الموفق إلى كل خير، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وفيما يلي سرد لأسماء المراجع والكتب لموضوع الكتاب «المرض والوفاة» بشكل كلي أو جزئي:

م	العنوان [١]	المؤلف	بيانات النشر [٢]
١	٦ خطوات للتعامل مع المرض والأزمات	محمد بشناق	الأردن: د.ن[٣]، ٢٠١٢
٢	ابتلاء الآباء بموت الأبناء	علي رضا	ط١. الكويت: دار الوراقين، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م
٣	الابتلاء وكيف تستفيد منه الدعوات؟	مجدي الهلالي	ط١. القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
٤	برد الأكباد عند فقد الأولاد	الحافظ محمد بن عبدالله المعروف بابن ناصرالدين الدمشقي	ط١. الأردن- عمان: دار النفائس، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م
٥	بشرى المخبتين بفضل الصبر والصابرين	محمد بن حمد الحمود النجدي	ط٣. الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي- فرع ضاحية صباح الناصر، ١٤٢٨ هـ- ٢٠٠٧م
٦	تبريد حرارة المصيبة عند موت الأحباب وفقد ثمرات الأفئدة وفلذات الأكباد في ضوء الكتاب والسُّنَّة	سعيد بن علي بن وهف القحطاني	الرياض: طبعة سفير، ١٤٢٢هـ
٧	التبيين لدعوات المرضى والمصابين	عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر	ط٢. المدينة المنورة: مطابع أضواء المنتدى، ١٤٢٥هـ

(١) روعي الترتيب الهجائي لعناوين الكتب والمراجع.

(٢) بيانات النشر: رقم الطبعة - مكان النشر - الناشر - سنة النشر.

(٣) تبسيطاً لبعض المصطلحات المستخدمة في السرد الببليوغرافي:

المصطلح د. ت يعني دون ذكر تاريخ النشر، د. م يعني دون ذكر مكان النشر، د. ن يعني دون ذكر الناشر.

م	العنوان	المؤلف	بيانات النشر
٨	تحفة المريض	عبدالله بن علي الجعيثن	ط١. المملكة العربية السعودية: مدار الوطن للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م
٩	تذكير المبتلى بالصبر والذكر عند البلاء- ويليه الرقى الشرعية والأذكار النبوية	خالد بن سعيد العتيبي	د.م: د.ن، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م
١٠	تسلية المصاب عند فقد الأحباب	ندا أبو أحمد	د.م: د.ن، د.ت
١١	تسلية أهل المصائب	محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي (المتوفى: ٧٨٥هـ)	ط٢. لبنان – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
١٢	تسلية نفوس النساء والرجال عند فقد الأطفال	زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي تحقيق: الوليد بن عبد الرّحمن الفريان	د.م: دار المقتبس، د.ت
١٣	تعلمت درساً جديداً في الحياة: تجربة واقعية	مي عبدالله عبدالعزيز الفارس	ط٣. الكويت: د.ن، ٢٠٠٨م
١٤	الجنة والنار وفقد الأولاد	جلال الدين السيوطي، تحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب	ط١. القاهرة: دار الأمين، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م
١٥	الخوف من الموت	محمد شريف سالم	الإسكندرية: دار القمة – دار الإيمان، د.ت

م	العنوان	المؤلف	بيانات النشر
١٦	الدعاء	عبدالله أحمد الخضري	ط٣. الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي- لجنة العالم العربي، ٢٠١٠م
١٧	دليل المواطن في مواجهة المرض	قسم الأبحاث والترجمة جامعة AUST	د.م: دار كريدية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠م
١٨	رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس الهجري	مخيمر صالح موسى يحيى	ط١. الأردن – الزرقاء: مكتبة المنار، د.ت
١٩	رثاء الأحبة	بدر عبدالله المديرس	ط١. الكويت: المؤلف، ٢٠١٤م
٢٠	الروضة البهية في المسائل المرضية	جعفر أحمد بن أبي يحيى	لبنان – بيروت: دار المناهل للطباعة والنشر، ١٩٨٧م
٢١	سلوة الحزين على فقد الأحبة والبنين	مصطفى محمد البناني	ط١. دمشق: دار سعد الدين، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م
٢٢	سلوة الفؤاد في موت الأولاد	جلال الدين السيوطي	مخطوط (يمكن تحميله من هذا الرابط: http://al-mostafa.info/data/arabic/depot3/gap.php?file=m002121.pdf)
٢٣	سلوة الكئيب بوفاة الحبيب ﷺ	ابن ناصر الدين، تحقيق: صالح يوسف معتوق - هاشم صالح مناع	الإمارات: دار البحوث للدراسات الإسلامية، د.ت

م	العنوان	المؤلف	بيانات النشر
٢٤	شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور	جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالمجيد طعمة حلبي	ط١. لبنان: دار المعرفة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م
٢٥	الصبر والثواب عليه	أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا المتوفى ٢٨١ هـ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف	ط١. لبنان – بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
٢٦	صفة الجنة	أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: علي رضا عبدالله	سوريا – دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م
٢٧	صفة الجنة	ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبدالواحد المقدسي، تحقق: صبري ابن سلامة شاهين	ط١. الرياض: دار بلنسية، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م
٢٨	صفة الجنة	أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم	السعودية – جدة: مكتبة العلم، د.ت

م	العنوان	المؤلف	بيانات النشر
٢٩	الطب الروحاني وعلم النفس الديني- المرض والموت	حشلاف حميد	لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٤
٣٠	عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين	ابن قيم الجوزية	ط٣. دمشق، بيروت: دار ابن كثير، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م
٣١	فقه الابتلاء, وأقدار الله المؤلمة	أبو فيصل البدراني	كتاب منشور على موقع «مشكاة- شبكة المشكاة الإسلامية» على هذا الرابط: http://www.almeshkat.net/books/open.
٣٢	فلسفة الموت	أمل مبروك	لبنان – بيروت: دار التنوير، ٢٠١٠م
٣٣	قصتي مع العلاج بالعنب: الاستشفاء بالعنب وطرق التداوي به	أيمن الحسيني	القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٢م
٣٤	قلق الموت	أحمد محمد عبد الخالق	الكويت: عالم المعرفة، ١٩٩٨م
٣٥	الكلمات البينات في أحكام حداد المؤمنات- ويليه مختصر في آداب وأحكام الجنائز	محمد بن حمد الحمود النجدي	الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م
٣٦	كيف شفيت من السرطان؟	جين بلانت	ط١. لبنان: شركة دار الفراشة، ٢٠٠٢م

م	العنوان	المؤلف	بيانات النشر
٣٧	لك يا ولدي (الجزء الأول)	علي رضا	ط١. الكويت: د.ن، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م
٣٨	لك يا ولدي (الجزء الثاني: العقيدة)	علي رضا	ط١. الكويت: د.ن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م
٣٩	لك يا ولدي (الجزء الثالث: العبادات)	علي رضا	ط١. الكويت: د.ن، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
٤٠	المرض أحكام وعظات	محمد الجبالي	بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٩٩٨م
٤١	مرض السكر والتعايش معه	بهجت عباس	عمان: دار الشروق، ٢٠٠٢
٤٢	مرض الموت	مارغريت دوراس	لبنان - بيروت: دار المطبوعات، ٢٠١٢م
٤٣	المرض والكفارات	ابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)	ط١. الهند- بومباي: الدار السلفية، ١٤١١ - ١٩٩١م
٤٤	مقدمة لفلسفة الموت	وسيم خليل	بيروت: منتدى العروبة اللبناني، ١٩٩٦م
٤٥	من عاش بعد الموت	ابن أبي الدنيا	ط١. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٣هـ
٤٦	موجبات الجنة	أبو أحمد القرشي العبشمي السمرقندي الأصبهاني، تحقيق: ناصر ابن أحمد بن النجار الدمياطي	ط١. القاهرة: مكتبة عباد الرحمن، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

الخاتمة[١]

بادئ ذي بدء،

وقبل كل خاتمة،

نؤكد أن هذه خاتمة مؤقتة لتوثيق هذه الرحلة مع الحبيب عبدالله إلى بيت الحمد وأبرز معالمها، ولكنها البداية إن شاء الله للوعد الحق وللالتقاء جميعاً في بيت الحمد لما ذكرناه من اعتبارات مهمة في ثنايا هذا الكتاب المبارك إن شاء الله بمحتواه مدعماً بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

الكتاب في تفسيره الصريح، والسنة بما ورد فيها من الحديث الصحيح.

لذا يطمئن القارئ الكريم إلى صحة ما ورد فيهما من حقائق شرعية أحرى بالمريض وذويه معرفتها، وأحرى بذوي المتوفَّى يرحمه الله معرفتها، وقد تخفى على كثير منهم، وهذا ما حرصت عليه من خلال تجميع أبرز الموضوعات التي قد يحتاجها هؤلاء في سياق رحلتهم مع مريضهم شفاه الله، أو مع متوفيهم رحمه الله.

إنها خلاصة تجربة متواضعة دفعني إلى تقديمها الشعور بالمسئولية عن نقل التجربة المفيدة إلى الآخرين الذين قد يحتاجون تفاصيلها دينياً ودنيوياً، أقدمها بكل تواضع وبلا تعالم عليهم وأحسب أني أدناهم في العلم والمعرفة، ورب ناقل علم إلى من هو أعلم منه، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، وحسبي من الأجر والثواب معلومة تضاف أو عبرة تستشعر، أو تجربة تكتسب، أو ذكرى لمن كان له

(١) تم نشر هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٦/٢/١٤.

قلب، وكلي يقين بأني شريك إن شاء الله في الأجر والثواب دون إنقاص أجور من استفاد منها، وأسأل الله تعالى أن ينال منها الحبيب عبدالله الحظ الوافر إن شاء الله، كيف وهو محور الحديث في هذا الكتاب، وسبب كتابته، وما ذلك على الله بعزيز.

وعلى كل حال، فلكل مجتهد نصيب، أسأل الله تعالى لي الأجرين، أجر العمل والسعي، وأجر الصواب والتوفيق.

والله اسأل ان يكون القارئ الكريم قد استفاد من هذا الكتاب، خصوصاً القارئ المعني بموضوعاته.

والحمد لله رب العالمين

الخلجة الأخيرة في النفس

مـــا بعد الخاتمة ينتهي الكتاب ولا تنتهـــي رحلتي الطيبة مع عبدالله إلى بيت الحمد، ولعلي وثَّقت ما تيسَّـــر لي من معالم الرحلة، بيَّنت فيها التجارب التي قد يحتاجها السائر في مثل هذه الرحلة.

ولكن ثمة خلجة أخيرة في نفسي أشكر فيها روح عبدالله وهو هادئ هانئ إن شاء الله في قبره:

شكراً يا عبدالله...

شكراً لك حياً وميتاً

آنستني بذكر ربي

وجعلتني أسرد ما اعتز من خلاله بديني وعقيدتي، وحفزتني بروحك الطيبـــة لإخراج مثل هذا الكتاب إلى ســـائر من يحتاجـــه، وجمعت فيه ما لم يتم جمعه- حســـب علمي المتواضـــع - بين دفتي كتاب واحد فيما قد يحتاج إليـــه أمثالي ممن يمرون بالتجربة نفســـها ممن ابتلاهم الله سبحانه. وبالمقابل وعدهم ببيت الحمد.

شـــكراً يا حبيبي يا عبدالله،... فيكفيك أنك بعد رحيلك سهَّلت على مقلتيَّ إخراج دمعهما، بعد أن شغلتني الحياة بمشاغلها الكثيرة وواجباتها العديدة، وأوقفتني مع نفســـي وأحسست أن دمعتي أصبحت صديقة لي بشكل أكثر من ذي قبل وبخاصة في ساعات التجلي في صلاة القيام أو لحظات الذكرى.

ولن أقول لك أيها الحبيب: وداعاً...

بل: إلى اللقاء

في ربوع بيت الحمد إن شاء الله

وما ذلك على الله صادق الوعد بعزيز.

هل انتهت محطات الرحلة[١]؟

وبصيغة أخرى: هل انتهت موضوعات هذا الكتاب؟

الإجابــة واضحة تنطلق من أصل مُنطلق الكتاب، وهو أنه في مجمله مجموعة خواطر جاشت بها النفس، ومجموعة حقائق وخبرات متواضعة أحببــت نقلها إلى كل ذي صاحب تجربة مماثلة، وهم في أغلب الأحوال ثلاثة على وجه الخصوص:

- المريض.
- ذوو المريض.
- ذوو المتوفى.

بالإضافة إلى ثلاثة على وجه العموم:

١- اللبيب الفطن الذي يريد الاستفادة من تجارب غيره.

٢- الداعية الذي يحتاج إلى الزاد المعرفي في نشر دعوته.

٣- المتعامل بحكم طبيعة عمله مع المريض، وذوي المتوفى كالطبيب والمريض والاخصائي الاجتماعي والنفسي في المستشفيات ودور الرعاية.

لذلك فإن من الطبيعي بعد طباعة هذا الكتاب أن تبرز بعض الخواطر الأخرى والتي قد تســتحق الإبراز في هذا الســياق، ولكن لعله من غير المناســب تأخير طباعة الكتاب بسبب هذه المواد الإضافية الجديدة؛ لأن المواد الأساسية والرئيسة قد تمَّ ذكرها بحمد الله وتوفيقه.

---

(١) تم نشر هذه المادة في جريدة القبس بتاريخ ٢٠١٦/١/٣١.

وبذلك تكون طباعة هذا الكتاب بشـــكله الحالي هي اجتهاد للضرورة الظرفية والزمنية، وكما يقال: فلابد مما ليس منه بدّ، فلابد للتجربة أن تصل إلى منتهاها، ولعل فيها النفع والإرشـــاد ولو لشخصٍ واحدٍ يستفيد من إحدى المعلومات والخبرات الواردة في هذا الكتاب.

والله ولي التوفيق

والحمد لله رب العالمين.

وأين الصور؟

قد يتساءل القارئ الكريم سؤالاً مشروعاً متوقعاً في أمثال هذه الكتب التوثيقية ألا وهو: «وأين صور المرحوم بإذن الله تعالى عبدالله؟»

فمن الطبيعي أن يُطعَّم مثل هذا الكتاب بصور للشخصية التي تمحور حولها الكتاب أو أن يلحق به ملحق خاص للصور التي تلخص حياة عبدالله رحمه الله من الطفولة إلى المرض والوفاة، ولكني اكتفيت بصورة الغلاف التي تشرح عنوان الكتاب، آخذاً في الاعتبار ما يلي:

- خصوصية الصور الاجتماعية والشخصية.
- تركيز الأنظار على جوهر الفكرة من خلال معالم الرحلة إلى بيت الحمد.
- العمل بمبدأ «خصوص السبب لا يمنع عموم الاستفادة» بما يجعل الكتاب معنياً بالعموم من الناس ممن قد تمر عليهم ظروف المرض، ويستقبل أقرباؤهم ظروف الوفاة.
- وبالتالي الخروج من خصوصية الحدث إلى عموم الاستفادة ، عندها سيشعر القارئ أنه يقرأ ما يستفيد منه هو وليس فقط الحديث عن ذكريات الآخرين.

ولا استنكف في النهاية أن أضيف سبباً لعدم إيراد هذه الصور في الكتاب – رغم توفرها – ألا وهو أنني بذلك احترمت الرغبة الجماعية لأسرتي الكريمة «والدة عبدالله وأخواته»، لأن الكتاب يعنيهم.

ما تفرَّد وتميَّز به الكتاب

كما أسلفت في بداية هذه الرحلة الطيبة مع الحبيب عبدالله إلى بيت الحمد تحت عنوان «إشارة إلى ما تفرد وتميز به الكتاب» أنني لم أفضل أن استهل كتابي بأوجه التفرد والتميز التي ذكرها لي الأخ المفضال د. أحمد سيد أحمد على هامش تدقيقه اللغوي للكتاب.

يقول د. أحمد مشكوراً:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدي رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فبعد قراءتي للكتاب جيداً تكشفت لي عدة أمور لعلها من مميزات هذا الكتاب الطيب، ومواطن جدته وجودته -رحم الله واضعه ومَن كان سبباً فيه- وقد رأيت أن أوثِّق بعضها بغية إفادة الآخرين، وهي على النحو التالي:-

سلامة ألفاظ الكتاب، وسهولة عباراته، ووضوح معانيه، فلا تجد الغريب الوحشي، ولا المستهجن المبتذل، ولا خفي الدلالة والمضمون.

تنوُّع مواضيعه، وتعدد أهدافه، فتجد بين دفتيه التسلية في المصاب، والتعزية بفقد الحبيب، والحث على الصبر والرضا، وحكاية المعاناة بغية الإفادة، وبذل النصح والتوجيه، وتقديم العون والمساعدة، والبُعد الروحي المبشِّر والمتمثل في بيت الحمد، وبكاء مجد تليد بأيدينا أضعناه، وقبسات من الشعر العربي... فكان بهذا واحة غنَّاء، في أفيائها علم وأدب ونصح وتوجيه وروح وريحان، فرحم الله من كان سبباً في هذا الكتاب، ورحم الله من جادت به قريحته وخطَّه يراعه وأهله وذويه ومحبيه.

الكتاب توثيق لرحلة من المعاناة عاشتها أسرة كاملة أباً وأماً وأخوات «بين الخوف والرجاء» وكل سطرٍ فيه إنما يحكي فصلاً من فصول تجربة قاسية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، تجربة تزلزل الجبال الرواسي، لولا منّ الله وفضله، فكان بهذا جديراً بالقراءة الفاحصة المتأنية.

بين دفتي الكتاب تجد مزجاً ضافياً بين لوعة الفراق بفقد الولد، ولهفة الاشتياق إلى موعود الصمد ببيت الحمد لمن استرجع وحمد، عند فقد ولده، ومهجة روحه، وأنيس دنياه، ورصيد حسناته في أُخراه.

الكتاب يستهدف شريحة كبيرة وقطاعاً عظيما طالما غلَّفه النسيان، ألا وهم أصحاب الابتلاء سواء في أنفسهم أو ذويهم، فهو بمثابة بلسمٍ لقلوب أضناها الألم، وإشراقة أمل لنفوس آيست من اللقيا بعد الرحيل، سطرها يراع القلب، وأمدها دمع المُقل.

في الكتاب تصوير دقيق ورصد حثيث لحال نفسية مريض استحكم به المرض في وقتٍ وجيز من الزمن، وأيقن بالفراق إلا أنه ما فقد صبره، ولا ترك رضاه، ولا فارقت بسمته محيَّاه، وكأنه يقول لأهله وذويه بلسان الحال قبل القال: أبشروا أحبائي فبيت الحمد الموعد.

طرق الكتاب أبواباً معهودة بأسلوب جديد جامع بين الصبغة الشرعية والتجربة الشخصية، من نحو: البلاء والصبر عليه والرضا به، والنهي عن النياحة والبكاء، وكأنه إعلان بأن في مقدور النفس مع شدة الألم أن تصبر، والقلب مع قسوة الفراق أن يرضى إذا اطمئن إلى موعود الرب جل وعلا وأيقن به، ناقلاً مؤلِّفه تجربته ومعاناته وما استفاده، ولك أن تقرأ محتوى عنوانه: علمتني الرحلة إلى بيت الحمد، فستجد فيه خيراً كثيراً.

في الكتاب استرواح لنسائم بيت الحمد، وغوص في معانيه، وتطواف في أوصافه وما أعده الله فيه لعباده الصابرين الحامدين المسترجعين المحتسبين، عبر رحلة إيمانية لُحمتها الصبر وسُداها الرضا.

تعرض الكتاب إلى الحديث عن فلسفة المرض والموت والأدعية والرقى في الإسلام، وكان بطرقه لهذا المنحى خارجاً عن إطار التقليد، إنه بمثابة حديث للقلب والعقل يقرب إليهما الحقائق ولكن هذه المرة بطريقة يأنسان معها المرض، ويتشوفان إلى الثواب المرجو منه، ويدركان حقيقة اللطف الإلهي حتى في أحلك الظروف التي يمر بها الإنسان، وهل هناك أقسى من المرض العضال، والموت المفرِّق للأحباب.

عقد الكتاب مقارنة فريدة بين المنظومة الطبية عند العرب قديماً والمنظومة الأوربية آنذاك، مظهِراً أوجه التمايز الطبي عند المسلمين حينها بدءاً من الوقف الصحي ودوره في الرعاية الصحية، مرورا بنشأة البيمارستانات عند المسلمين والخدمات التي كانت تقدمها آنذاك في قبالة المنظومة الأوربية حينها ومدى ما كانت عليه من تخلف وضحالة.

مبينا كيف تم تبادل الأدوار حديثاً، وكيف انسحب الدور الطبي الإسلامي لصالح المنظومة الطبية الغربية الحالية، تاركاً لها الساحة بلا مقارنة تذكر في الأغلب، حيث تخلفت منظومتنا الطبية وافتقرت إلى الشفافية والخدمات المتطورة والكفاءة في كثير من المناحي المتعلقة بها، وأضحت في ذيل القافلة بعد أن كانت تقودها بجدارة واقتدار، في حين تسمنت المنظومة الطبية الغربية ذرى المجد والتقدم العلمي مرتقية بالإنسان والبنيان، وجامعة بين التعمق التخصصي وتكامل

التخصصـــات، وكيف طورت منظومة التأمـــين لديها ودوره ومقدار ما يقدمه من نفقات، ومراعاتها للجانب الإنســـاني في تعاملها مع روادها مـــن المرضى وذويهم، من حيث الشـــفافية التامة فـــي حجم المعلومات المقدمة لهم، والغرف الحضارية التي أنشـــؤها لمواكبة تطلعات المريض وذويـــه من نحو: غرفة الاجتماع العائلـــي بعائلة المريض، غرفة التأمل والعبـــادة، غرفة انتظار العمليـــات، غرف العناية المركزة والمتوســـطة والعاديـــة، إلى غير ذلك من أوجه التقدم والعناية والرعاية، وهي أمور يجدر بمراكزنا الطبية الاهتـــداء بها، ولا غرو، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها. كل ما ســـبق وغيره تجده واضحاً في ثنايا هذا الكتاب الطيب.

من مواضـــع جدة الكتاب وتميـــزه أنه يضع القـــارئ على الخطوات العمليـــة الواجب اتباعهـــا عند حدوث المرض العضـــال، إن مؤلفه يوثِّق تجربتـــه وينقلها للآخرين بغية الإفادة، إنه يجعـــل من محنته التي مرت به منحة للآخرين ييســـر بها الدرب، ويعبِّد بها الطريق، وهذا من مزايا الكتاب وحسناته؛ ولذا يقال: لو لم يكن للسابق فضل على اللاحق إلا أنه عبَّد له الطريق لكفاه.

أعطى الكتاب إجابة شـــافية لتساؤل يكثر إيراده وبخاصة ممن فقد ولده، أو بعبارة أخـــرى ادخره عند ربه، وحُرم أجر دعائه «أو ولدٍ صالحٍ يدعـــو له» هل إذا تبدلـــت الأدوار يقع اتصال الأعمـــال؟ وهذا ما تجده واضحاً تحت عنوان: أو والدٍ صالح يدعو له.

صحَّح الكتاب مفهوماً خاطئاً طالما تعلق به كثير ممن أساء الفهم بقصد أو بغير قصد واعتبر أن الثروة الحقيقية تكمن في جمع المال وحيازة الممتلكات، مبيناً أن الثروة الحقيقية تكمن في محبة الخلق التي هي نتاج محبة الرب كما جاء في الحديث المشهور، ولهذه المحبة صور تحدث عنها الكتاب باستفاضة، وهذا ما تجده واضحاً تحت عنوان: اكتشاف رصيد الثروة، أنا ملياردير.

أراح الكتاب بال وقلب كثير من النساء المسلمات اللاتي استولت الغيرة على قلوبهن، وأجاب عن تساؤل طالما كثر ترداده من كثيرات منهن، بل لقد سئلت عنه شخصياً مرات ومرات، ألا وهو: مَن الحور العين؟ وهل يغار منهن؟ فأعطى الكتاب إجابة شافية مبيناً أنه لا غيرة في الجنة، وأن حال المؤمنة في الجنة أفضل من حال الحور العين وأعلى درجة وأكثر جمالاً، وهذا ما تجده تحت عنوان: بشرى عظيمة للمرأة المسلمة في الجنة.

لم يهمل الكتاب الحديث عن الشعر والشعراء فيما يتعلق بموضوعه، وقد خصص فيه مؤلفُه فصلاً أعطانا فيه صورة حية عن وفاة الأبناء في قرائح الشعراء، وهذا ما تجده في الكتاب وتحت هذا المسمى نفسه.

في الكتاب دعوة صريحة إلى الآباء والأمهات ليكتشفوا عوالم أبنائهم الخفية، ومواهبهم الحبيسة داخل طيات أنفسهم، وفتح قنوات التواصل بين جيل الأبناء وجيل الآباء.

الكتاب صيحة إنذار وتحذير وتنبيه وتذكير لأصحاب العافية ليحمدوا ربهم على نعمه وآلائه التي يتقلبون فيها ليل نهار.

الكتاب فـي مجمله دعوة للصبر والرضا بقضـاء الله وقدره والثقة فـي موعوده لأوليائه، ولكن الدعـوة هذه المرة من نفسٍ خاضت التجربة وعاينت فصولها فصلاً فصلاً، فكان بهذا جديداً في بابه.

الكتـاب في بعض فصوله صيحة تحذيـر من أصحاب الدعوات إلى ولوج أبواب الخرافات والسـحر والشـعبذة، ودعوة إلى التمسك بالعلم الشـرعي ومعرفة أثره في الوقاية من الفتن والوسـاوس وبخاصة عند المريض.

تطرق المؤلف في كتابه إلى الشـق الفقهـي والمتمثل في طرحه لعدة مسـائل فقهية وتأصيله لهـا، وهذا ما تجده تحت عـدة عناوين، منها: المتوفَّى بمرض السرطان شهيد، مشروعية رفع أجهزة الإنعاش عن الميت دماغياً، مشروعية إهداء ثواب الأعمال الصالحة للميت.

حرص الكاتب - نفع الله به - على تقديم أكبر قدر من الأمور النافعة للقارئ؛ ولذا لم يغفل في جولته عن المرض وفلسفته الحديث عن بعض الآداب المتعلقـة بالمرض والمرضى ومنهـا: ما ينبغي لمن يرافق المريض أو يزوره، أجر مرافق المريض، استحباب عدم الإطالة عند المريض...

وفي الختام فلا يسعني إلا أن ألهج بخالص الدعوات إلى رب الأرض والسـماوات أن يرحم حبيبنا عبد الله وأن يجعل الفردوس الأعلى مثواه، وأن يربط على قلوب أهلـه وذويه ومحبيه، ويجمعهم به في بيت الحمد موعود الرب جل وعلا.

ملحق المقالات في حلقات سلسلة «رحلتي مع بيت عبدالله إلى بيت الحمد» في جريدة القبس

كلمة شكر بين يدي الرحلة	(١)	٢٠١٤/١٠/١٢
التعريف ببيت الحمد	(٢)	٢٠١٤/١٠/١٩
المتوفَّى بمرض السرطان شهيد	(٣)	٢٠١٤/١٠/٢٦
فلسفة المرض في الإسلام	(٤)	٢٠١٤/١١/٢
فلسفة الموت	(٥)	٢٠١٤/١١/٩
فلسفة الأدعية والرقي في الإسلام	(٦)	٢٠١٤/١١/١٧
علاج المرض بالصدقات	(٧)	٢٠١٤/١١/٣٠
عظمة الإسلام في مشروعية إهداء ثواب الأعمال الصالحة	(٨)	٢٠١٤/١٢/٧
أو ولدٍ صالح يدعو له	(٩)	٢٠١٤/١٢/١٤
الأسلوب الأمريكي في التعامل المعلوماتي مع المريض	(١٠)	٢٠١٥/١/٤
غرف حضارية في المستشفيات الأمريكية	(١١)	٢٠١٥/١/٢٦
اكتشاف رصيد الثروة: أنا ملياردير	(١٢)	٢٠١٥/٢/١٥
مشروعية رفع أجهزة الإنعاش عن الميت دماغياً	(١٣)	٢٠١٥/٣/٨
أهلاً بجارنا في بيت الحمد: خالد عبداللطيف الشايع	(١٤)	٢٠١٥/٣/٢٢
الجنة ليست حور عين فقط	(١٥)	٢٠١٥/٤/١٢
بشرى عظيمة للمرأة المسلمة في الجنة	(١٦)	٢٠١٥/٥/٣
كيف نمنح السرور لأهل القبور؟	(١٧)	٢٠١٥/٦/٧
حول إكرام الميت	(١٨)	٢٠١٥/٧/١٢
اكتشفوا العوالم الأخرى في حياة أبنائكم	(١٩)	٢٠١٥/٨/١٠
أي دراما تجذب أبناءنا؟	(٢٠)	٢٠١٥/٨/١٧

الأم الرؤوم... ماما أنيسة	(٢٩)	٢٠١٥/٨/٢٣[1]
وفاة الأبناء والأحباب في قرائح الشعراء	(٢٣)	٢٠١٥/٩/١٣
النفس المطمئنة: الراضية المرضية	(٢٤)	٢٠١٥/٩/٣٠
من علامات القبول (١)	(٢٦)	٢٠١٥/١٠/١١
من علامات القبول (٢)	(٢٧)	٢٠١٥/١٠/١٢
من علامات القبول (٣)	(٢٨)	٢٠١٥/١٠/١٣
عبدالله في تأملات سليمان ماجد الشاهين	(٢٩)	٢٠١٥/١٠/٢٥
اعذرني حينها يا عبدالله الحبيب ولكن إلى حين	(٣٠)	٢٠١٥/١١/١
ومن أصدق من الله قيلا ؟!	(٣١)	٢٠١٥/١١/١٥
تلقين المحتضر كلمة التوحيد	(٣٢)	٢٠١٥/١١/٢٢
بلاغ الولادة الحقيقية... في رسالة هاتفية	(٣٣)	٢٠١٥/١٢/٦
رد الوسواس الخناس	(٣٤)	٢٠١٥/١٢/٢٠
تزاحم النصائح الطبية على المريض وذويه ومدى صحتها	(٣٥)	٢٠١٦/١/٣
شكر وتقدير للأمير الانسان	(٣٦)	٢٠١٦/١/١٧
عبدالله (١-٢)	(٣٧)	٢٠١٦/١/٣١
عبدالله (٢-٢)	(٣٨)	٢٠١٦/٢/١
هل انتهت محطات الرحلة ؟	(٣٩)	٢٠١٦/٢/١٤
الخاتمة	(٤٠)	٢٠١٦/٢/٢٨

(١) تم الإلتزام بذكر أرقام الحلقات كما وردت في جريدة القبس عند نشرها رغم الأخطاء المطبعية التي حدثت عند نشرها ، فاقتضى التنويه .

تم بحمد الله

وكان الفراغ من توثيق هذه المادة في الذكرى السنوية الأولى

لوفاة الحبيب عبدالله رحمه الله سابقنا إن شاء الله إلى: «بيت الحمد»

المستفيدون من هذا الكتاب

١- المبتلون بالمرض و ذووهم والمرافقون لهم.

٢- المعالجون للمرض.

٣- المبتلون بوفاة أبنائهم وأحبابهم.

٤- المغتربون للعلاج في الكويت ، أو الخارج عموماً ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً.

٥- الراغبون من الأصحَّاء بالتزود بثقافة المرض ، وثقافة العلاج ، وثقافة الابتلاء بوفاة الأبناء والأحباب.

و نلتمس منهم الدعاء مأجورين مشكورين لا مأمورين

مُنطلق الكتاب

ينطلق الكتاب من اليقين التام - و بلا أدنى ريب - بتحقق وعد الله سبحانه الوارد في الحديث الذي فصَّلنا روايته في ثنايا الكتاب، والذي ينص على أن الله سبحانه وتعالى يأمر ملائكته الكرام بأن يبنوا بيتاً في الجنة ويسموه بيت الحمد لكل مَن فقد ولده ، فصبر وحمد الله سبحانه وتعالى واسترجع « أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ».

فهي رحلة مباركة في رحاب الكتاب والسنة -إن شاء الله تعالى- نتحرى بها نقل التجربة المتواضعة في مراحل المرض والعلاج والوفاة لمن يرغب بالاستفادة منها.

وكم شجعني على المضي قدماً في منطلقي لإصدار هذا الكتاب التفاعلُ الكبيرُ والطيِّبُ من قِبَل القراء الكرام ومتابعتهم حلقات السلسلة الطيبة لمقالاتي في جريدة القبس تحت عنوان « رحلتي مع عبد الله إلى بيت الحمد » والتي هي المكوِّن الأساس لهذا الكتاب.

المؤلف